القلزم للدراسات التاريخية والحضارية
مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
بالتشارك مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك
ISSN:1858-9952

هذا العدد :

- المدن الإسلامية في الأندلس (الشاطبة و بطليوس أنموذجاً)
  د. أمل مطر العصيمي
- العرب في كتابات الأجانب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة (دراسة تاريخية تحليلية)
  د.شيخه عبيد الحربي
- دولة الأندلس (91 - 897هـ / 711 - 1492) (دراسة تاريخية تحليلية)
  د.علي أحمد عباس محمد
- جوانب من مظاهر الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد المماليك الجراكسة (784 – 923 هـ/ 1383-1517م) (دراسة تاريخية تحليلية)
  د.شريع سعيد علي الشهراني
- لمحات من مشاركات البادية في جيوش الملك عبدالعزيز في منطقة عسير وخارجها
  أ.سعيد بن عبدالله بن علي جفشر
- إسهامات تجار مكة المكرمة في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر ميلادي
  أ. ليلى عبداللطيف مثبت القريقري
- حملة أبرهه الحبشي لهدم الكعبة المشرفة وموقف القبائل العربية منها(دراسة تاريخية تحليلية)
  أ.هنوف سعود هاشم القرشي

العـــدد السادس والعشـــرون- ربيع الأول1445هـ - سبتمبر 2023م

مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية علمية دولية محكمة العدد السادس والعشرون - ربيع الأول 1445هـ -سبتمبر2023م

ردمك ISSN: 1858 - 9952

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم:Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2023
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان

أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية

أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان

أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان

أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية

أ.د. السماني النصري محمد أحمد - السودان

د. أحمد الياس الحسين - السودان

د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان

د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية

د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر

د. محمد أحمد زروق- المغرب

د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان

د . أحمد محمد مركز- السودان

د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا

د. عزة محمد موسى - السودان

د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان

د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

د. أمل عبد المعز صالح الحميري- جامعة صنعاء اليمن

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

المدن الإسلامية في الأندلس (الشاطبة و بطليوس أنموذجاً).....(7-22)

د. أمل مطر العصيمي

العرب في كتابات الأجانب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة (دراسة تاريخية تحليلية).....(23-44)

د.شيخه عبيد الحربي

دولة الأندلس (91 - 897هـ / 711 - 1492) (دراسة تاريخية تحليلية).....(45-74)

د.علي أحمد عباس محمد

حملة أبرهه الحبشي لهدم الكعبة المشرفة وموقف القبائل العربية منها(دراسة تاريخية تحليلية).(75-86)

أ.هنوف سعود هاشم القرشي

جوانب من مظاهر الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد المماليك الجراكسة(784 – 923 هـ/ 1383 - 1517م (دراسة تاريخية تحليلية).....(87-96)

د.شريع سعيد علي الشهراني

لمحات من مشاركات البادية في جيوش الملك عبدالعزيز في منطقة عسير وخارجها(1338- 1373هـ/1920 - 1953م) (97-118)

أ.سعيد بن عبدالله بن علي جفشر

إسهامات تجار مكة المكرمة في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر ميلادي(119-144)

أ. ليلى عبداللطيف مثبت القريقري

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو العدد السادس والعشرون من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد أن نجحت المجلة بواسطة هيئتها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار خمسة وعشرون عدداً من المجلة الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدٍ كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير والتحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله تعالى.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي.

وأخيراً نجدد شكرنا وامتنانا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجلات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

المدن الإسلامية في الأندلس
(الشاطبة و بطليوس أنموذجاً)

د. أمل مطر العصيمي

دكتوراه -قسم التاريخ - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

مستخلص:

تهدف الدراسة للتعرف على المدن الإسلامية في الأندلس من خلال البحث والتنقيب في مدينتي الشاطبة وبطليوس ، وهما من المدن الأندلسية القديمة ، وكان لهما دور علمي وثقافي كبير في الأندلس وخارجه. تنبع أهمية الدراسة من كونها تتناول مدينتين من مدن الأندلس من خلال البحث في جغرافية ، وتاريخ، وتطور المدينتين. اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول لنتائج والتي من أهمها: أسهم العرب في إحداث نقلة حضارية وثقافية في الأندلس، تميزت مدينة شاطبة بموقعها الجغرافي وخصوبة أرضها ووفرة المياه فيها ما ساعدها على أن تصبح مركزا زراعياً مهماً الأمر الذي انعكس على نشاطها التجاري ، ومن خلال الدراسة اتضح لنا أنه كان لمدينة شاطبة العديد من الأدوار العلمية والاقتصادية والسياسية والفكرية مستفيدة من موقعها الاستراتيجي المهم، ووضح أن نشأة وظهور مدينة بطليوس يرجع الفضل فيه إلى عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي الذي أسهم في ترى هذه المدينة النور وتصبح واحدة من أهم المدن في الأندلس، وأصبح للمدينة أهميتها الاقتصادية والثقافية والسياسية بمرور الوقت.

الكلمات المفتاحية: الأندلس ، المدن الإسلامية، الشاطبة ، بطليوس.

Islamic cities in Andalusia
(El Shatbeh and Badajoz as an example)

Dr. Amal Matar Al- Osaimi

Abstract:

The study aims to get acquainted with the Islamic cities in Andalusia through research and excavations in the cities of Al-Shataba and Badajoz, which are two of the ancient Andalusian cities, and they had a great scientific and cultural role in Andalusia and abroad. The importance of the study stems from the fact that it deals with two cities of Andalusia by examining the geography, history, and development of the two cities. The study followed the historical, descriptive and analytical approach in order to reach results, the most important of which are: The Arabs contributed to bringing about a civilized and cultural shift in Andalusia. the studyIt became clear to us that the city of Shativa had many scientific, economic, political and intellectual roles, taking advantage of its important strategic location. And it became the cityTheir economic, cultural and political importance over time.

Keywords: Andalusia, Islamic cities, Shativa, Badajoz.

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله . وبعد:

فتح العرب المسلمون أرض الأندلس فتح حضارة لأنهم حملة رسالة سماوية مقدسة وهي رسالة الاسلام السامية حملوها بقلوبهم وعقولهم وأعمالهم إلى أرض الأندلس يشهد على ذلك تاريخ فتحهم لهذه البلاد وسجل وجودهم فيها ٠ إذ إبتدأ العرب المسلمون بنشر تعاليم هذا الدين السامي بين أهل البلاد الأندلسية سلماً وأقاموا على أرضها صروحاً حضارية مدهشة، بطليوس إنها من المدن التي تم اكتشافها من ٤ ألاف عام قبل الميلاد، ومع غزو الرومان أصبحت المدينة جزءًا من مجتمع هيسبانيا .بلغت المدينة أهمية بالغة في عهد الحكام المغاربة مثل الخلفاء الأمويين في قرطبة، والمرابطين والموحدين في شمال أفريقيا.تم غزو المدينة من قبل الحكام المسيحيين بقيادة ألفونسو السادس من قشتالة، مما قضى على حكم المغاربة. وأن من بعض المدن الإسلامية بالأندلس كذلك والتي لها نصيب كبير في اشعاع علومها ، وهي بمقدمة الحواضر هي مدينة شاطبة التي لم يكن لها دور علمي فقط بل كان لها دور كبير في جوانب أخرى كالسياسية والاقتصادية والفكرية من خلال موقعها الاستراتيجي إذا أنها تقع في شرق الاندلس , وإن لمدينة شاطبة دورها الحضاري والعلمي لذلك نتطرق لدور علمائها وما قدموه داخل وخارج مدينتهم , بعد ذكر موقعها ونشأتها وتسميتها وأهم معالمها العمرانية.

أولاً: مدينة الشاطبة :- شاطبة بفتح الشين وألف ، بعدها طاء مهملة مكسورة ثم ياء مفتوحة وهاء في الأخر [1] ، قال أبو عبيد في تفسير اسم شاطبة « فان الشطب أصلها ما شطب من جريد النخل، وهو سعفة، وذلك أنه يشقق منه قضبان دقاق تنسج منه الحصر ، يقال للمرأة التي تفعل ذلك : شاطبة ، وجمعها: شواطب [2] وذكر ابن منظور « الشطب من الرجال والخيل الطويل الحسن الخلق وجارية شطبه طويلة[3]وذكر أيضا يقال غلام شطب حسن الخلق ليس بطويل ولا قصير ورجل مشطوب [4] ,وأما ياقوت الحمودي فقد ذكر « أن اشتقاقها من الشطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة وشطب المرأة الجريدة شطبا إذا شققتها لتعمل حصيرا والمرأة شاطبة[5] وتعود هذه التسمية إلى الأصل القديم Buts Sait ثم حرفت إلى saeyabi [6] وصارت هذه التسمية تعرف باسم شاطبه Jativa [7] وصف الحموي بلاد الأندلس بأنها على هيئة مثلث[8] لكنها تنقسم إلى قسمين شرقي وغربي ، تقع مدينة شاطبة في القسم الشرقي ، وهي من أعمال بالنسبة حسب التقسيمات الإدارية للأندلس [9] وقد أخذ بهذا الوصف الحميري [10]

أما موقع مدينة شاطبة بين مدن شرق الاندلس ن فهي تقع بين المدينتين الساحليتين بلنسية * ودانية ** لكنها غير ساحلية ، قريبة نسبيا من البحر الرومي المتوسط لأنها تقع على قيد نحو خمسين كيلو متر منه[11] أما المسافة بين مدينة بالنسية ومدينة شاطبة فتقدر بست وخمسين كيلو متر ومن ناحية مدينة دانية فالمسافة تقارب من المسافة بين بلنسية وشاطبة [12]

أن أهمية مدينة شاطبة ازدادت بمرو الزمن ، لأن هناك حصونا وجزرا ومدنا ارتبطت بالمدن الساحلية، وأصبحت لديها دروب وسكك يسلكها المارة جيوش وتجار أو علماء باتجاه اوريوله وقرطاجنة

وغرناطة وطليطلة إلى الجنوب والجنوب الغربي وباتجاه الشمال مع ساحل البحر أيضا ، فضلا عن كون مدينة شاطبة مدينة محصنة وقربها من الجزر التي تقع في هذا الجزء الاستراتيجي (عسكريا تجاريا) [13] وتعد مدينة شاطبة من القواعد الاندلسية العريقة ، وهي مدينة حسنة [14] من أهم حصون شرق الاندلس ، ولها معاقل في غاية الامتناع ، وفيها عدد من المتنزهات مثل البطحاء والغدير[15] ، وتضم عددا من السهول كما أن موقعها في شرق الاندلس وقربها من الثغر الاعلى والثغر الأوسط أصبحت من المناطق الثغرية القريبة من البحر [16] أضافة إلى البعد الاستراتيجي المهم لأنها حلقة وصل بين الثغر الاعلى وجنوبه وقلب الاندلس المتمثل بمدينة طليطلة ، وسيطرتها على الطرق الممتدة إلى القواعد الكبرى وباتجاهين الأول مع المدينتين الساحليتين بلنسية ودانية وصولا إلى مرسية والمرية ، وهذا الاتجاه جنوبي غربي والثاني باتجاه الشمال الشرقي والغربي[17] ومن مميزات مدينة شاطبة وطبيعتها الجغرافية خصوبة ارضها ووفرة مياها ما ساعدها على أن تنبوا مركزا زراعيا ممانعكس على نشاطها بالتجارة حيث تنمو فيها محاصيل الذرة والارز والبقول وغابات الزيتون وحدائق البرتقال وأشجار النخيل والفواكه بمختلف انواعها ،وعلى مدار السنة تنتشر في ظاهرة المدينة بشكل بساط اخصر يقع على ضفة نهر البيضاء [18] حيث وصفها الحميري أنها مدينة جليلة كريمة البقعة ، كثيرة التمر عظيمة الفائدة طيبة الهواء [19] ، ويعمل بها الكاغد لا نظير له بمعمورة الارض يعم المشرق والمغرب ، فاشتهر بصناعة الكاغد الشاطبي [20]

فقد اكد المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال على أن الثلاثين سنة التي سبقت الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة « في السنوات العجاف بالنسبة لما نعرفه عن تاريخ اسبانية القوطية تبدو لنا في الواقع غاية الفوضى والاضطرابات هذه الفترة القصيرة مشحونة كلها بالنزاع والصراع ، ضمن منافسات دموية بين المرشحين للعرش ومن ثورات محلية ومن دسائس يقوم بها النبلاء وكبار القساوسة الذين كانوا يسعون إلى زيادة التغلغل في الشؤون السياسية [21]

أما عن الواقع الإداري ن فقد وضع تقسيم في عهد الإمبراطور دقلديانوس * أخذ الرازي منه ما يخص اسبانيا ونقله العذري [22] حيث جعلها ستة أقسام ، كانت مدينة شاطبة ضمن القسم الرابع قاعدته طليطلة ، وفي العصر القوطي استمر هذا النظام الإداري ، وعندما استقر المسلمون بعد الفتح اهتموا بالنظم الإدارية التي تضمن الأمن والاستقرار[23] وتطور في عصر الامارة [24] أما مدينة شاطبة فقد كانت مرتبة ببلنسية منذ الفتح العربي ، وطرأ تعديل على الكور فصارت بلنسية كورة مستقلة عن طليطلة في عهد الإمارة ظلت بلنسية وأعمالها مثل شاطبة خاضعة للسلطة المركزية حتى ظهور دويلات الطوائف [25]

لقد رحل عدد كبير من علماء الاندلس إلى أقاليم العالم الاسلامي ، كان في مقدمتهم علماء مدينة شاطبة خرج قسم منهم من مدينة شاطبة مباشرة ن وخرج القسم الاخر بعد أن تجولوا في مدن الاندلس .

من أبرز هؤلاء العلماء الشاطبيين :

تميزت الشاطبة بكثرة العلماء ، وقد رحل عدد منهم إلى العراق ومن هؤلاء العلماء :

أحمد بن هارون بن عات ت 580 هـ /1134 م) :

يكني أبو عمر ، وهو من جلة علماء مدينة شاطبة اشتهر بالعلوم الدينية سمع من جميع شيوخها وبنفس الوقت سمع منه عدد كبير من العلماء في مدن شرق الاندلس وغربة [26] فقد زار العراق ووصل إلى

مدينة الموصل وسمع من فقهائها وأخذ عنهم [27] وتفقد جميع مساجدهم والتقى بشيوخ المدينة ، فعدت بعض الدراسات .

أن زيارة الشيخ ابي عمر بن عات إلى الموصل من الرحلات والزيارات العلمية بين الأندلس (شاطبة) والعراق [28] التي لها ثمرة كبيرة في التواصل الفكري والثقافي والأدبي الذي انعكس على الحضارة العربية والإسلامية [29]

حسين بن محمد بن فيره بن حيوة بن سكره (ت 514 هـ /1120 م)

يكني ابا علي الصدفي كان من أبرز العلماء الذين زاروا العراق ، يعرف أيضا بابن سكرة اشتهر في مجال الفقه والحديث وعلومه ، كثير الرواية ، درس على يده عدد كبير من علماء الاندلس ، كما سمع منه جميع العلماء الذين قدموا اليها وله رحلة إلى الشرق ذكرها بأنها رحلة واسعة سنة 490-481 هـ زار فيها جميع مدن الشرق ، أقام في بغداد خمس سنين ثم عاد إلى مرسيه واستقر بها ، تولى بها خطة القضاء ، ثم استعفي منها وخرج إلى المرية فأقام بها وقبل قضاءها دون رغبة [30]

ومن العماء الشاطبيين الذين كان لهم نصيب في زيارة العراق والانتقال إلى الشام ومصر والمغرب والذي كانت وفاتهم بهذه الحواضر الثقافية والعلمية أو العودة إلى مدينة شاطبة كان في مقدمتهم ابن جبير [31] حيث توجه إلى العراق وزار الكوفة وبغداد والموصل أقام بها فترة من الزمن ، سمع من شيوخها وعلمائها ثم توجه إلى الشام [32] وتوجه إلى العراق أيضا من علماء شاطبة ابن سيد الناس المعافري [33] الذي رحل إلى المشرق وحج ولقي بمكة ابا عبد الله الحسين بن علي الطبري وسمع منه ، ثم توجه إلى بغداد أثناء وصوله اليها أخذ من علمائها كان في مقدمتهم الشيخ الجليل ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي وأبو محمد رق الله بن عبد الوهاب التميمي ، وأبو بكر بن طراخان وغيرهم اجاز له الشيخ أبو عبد الله الحميري ، قدم قرطبة واجاز لعلمائها وكتب بخطه ما وراه كانت عنده فوائد كثيرة كان يميل إلى مسائل الخلاف والحديث متجردا من الدنيا [34]

علماء رحلوا من شاطبة إلى بلاد الشام :

اوردت المصادر التاريخية عددا من علماء الاندلس الذين زاروا بلاد الشام وخاصة علماء شاطبة فقد كان للبلاد نصيب كبير منهم ، حيث تفقهوا على علمائها وسمعوا من شيوخها ، ومن أشهر هؤلاء الشاطبين ، أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبه السعدي ت 465هـ/1072م [35]

كذلك زار الشام الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد خلف الانصاري [36] وهو أحد علماء مدينة شاطبة حيث يعد من علماء الشاطبية الذين قدموا إلى دمشق ، قرأ القرآن فيها وتفسيره بعدة روايات لفترة طويلة وكان قد قرأ على ابي عبد الله الحسين بن موسى بن هبة الله الدينوري وابي الحسن عللي بن محمد بن خموش الصقلبي وابي الحسين يحي بن علي الفرج الخشاب المصري وغيرهم [37]

ثانياً: مدينة بطليوس:

تقع في بطليوس أو بادوخوث (بالإسبانية:Badajoz) تقع في منطقة «إكستريمادورا» في غرب «إسبانيا» على مقربة من الحدود مع «البرتغال» وعلى بعد 404 كم من العاصمة «مدريد». وسبب نشأتها كانت بطليوس حتى النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي محلة قوطية خربة، لم يعن بها المسلمون، حتى

كان اضطرام الفتنة الكبرى ضد حكومة قرطبة في تلك الفترة، فالتجأ إليها أحد زعماء الثورة المولدين، وهو عبد الرحمن بن مروان الجليقي الثائر بماردة، وبناها وحصنها سنة 875 م وأطلق عليها اسم بطليوس، وذلك في عام 875 م إبان حكم الأمير محمد الأول [38], ومعنى بطليوس في قاموس المعجم الوسيط وفي لسان العرب والقاموس المحيط بلدالاندلس وهي مدينة إسلامية. ويتميز مناخ بطليوس بمناخ البحر الأبيض المتوسط، حيث انه يشبه المناخات الساحلية حيث الشتاء البارد الخفيف، والصيف الحار , وإن أكثر شهور السنة انخفاض في درجة الحرارة شهري ديسمبر ويناير، حيث تصل درجات الحرارة فيهما حوالي ٧ درجة مئوية تقريبا,أما أكثر شهور السنة ارتفاع في درجة الحرارة هو شهر يوليو، حيث تصل درجات الحرارة فيه الى ٤٥ درجة مئوية تقريبًا,وأن أكثر شهور السنة التي تتساقط فيها الأمطار هي شهور أكتوبر و نوفمبر وديسمبر وأحيانًا يناير . [39]

شهدت الأندلس في عهد الخلافة الأموية التقدم في كل مجالات الحياة فقد إهتم خلفاء هذا العهد بتشييد المنشآت المعمارية والقصور الفخمة وبناء العديد من المدن (والضواحي الزاهرة التي مازال بعضها قائماً إلى وقتنا الحالي,روعي في تخطيط المدينة الإسلامية في الأندلس أمور عدة منها ضرورة توفر الماء وسهولة الطرق وإعتدال مناخ المكان وجودة الهواء والقرب من المرعى والاحتطاب إضافة إلى ضرورة تمتع موقعها بالحصانة والقدرة على دفع الأخطار عند هجوم الأعداء ، إذ إتخذ تخطيط المدينة الإسلامية في الأندلس شكلاً جديدًا. فما حققه العرب في الأندلس من تطور بفضل فكرهم المتألق لم تستطع شعوب كثيرة أخرى أن تحققه [40].

بطليوس أمر ببنائها الأمير عبدالله بن محمد (275-300/888-912),إذ أعطى الإذن بالبناء لعبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي, فأنفذ له جملة من البناة يصرف لهم الأموال فشرع بداية في بناء الجامع باللين والطابية وبنى صومعته بالحجر واتخذ مقصورة وبنى مسجداً خاصاً بداخل الحصن الذي اتخذه موطناً. يتبين لنا سبب بناء مدينة بطليوس وهو عسكري وهذا الأمر واضح لأن الذي أشرف على بنائها هو أحد الثوار وهو عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي ، إذ كانت هذه المدينة بمثابة حصن منيع للثوار قبل أن يدخل عبد الرحمن في طاعة الأمير عبد الله ,وكان سور مدينة بطليوس مبنياً بالتراب وكان للمدينة ربض كبير أكبر من المدينة في شرقها خلا بالفتن وهي على ضفة نهر كبير مسمى الغؤور وسمي بهذا الأسم لأنه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الأرض حتى لا توجد منه قطرة وينتهي جريه إلى حصن مارتلة ويصب قريباً من جزيرة شلطيش ومن بطليوس إلى إشبيلية ستة أيام ومنها إلى قرطبة ست مراحل ,وتتميز بطليوس اليوم بموقع طبيعي منيع على

مقربة من الحدود البرتغالية وهي مدينة كبيرة. [41]ومن أهم مظاهرها العمرانية والأثرية مع وصفها حصنا رينا ومونتمولين هما حصنان مستطيلا المخطط, فيرى أن الأضلاع متساوية , كما يضم كل واحد منهما مساحة تصل إلى هكتار , ويلاحظ أن الأسوار والأبراج من الطابية مع وجود التجاويف وكذلك الأبراج الصماء, منحنية المخطط تلك البوابة الموجودة في حصن مونتنولين,وتبرز من الخارج وهي تشبه بوابة أشبيلية. والتي زالت من الوجود على يد الموحدين.والتي كانت قائمة في سور شريش , وبوابة حصن رينا فهي تشبه بشكل جزئي المدخل الرئيسي لقصبة شلب. وهو مدخل مباشر محاط ببرجين في الزوايا, وقد تعرض لترميمات كثيرة في العصر المسيحي,خاصة وأنه اصبح ملكا لجماعة «سانتياجو» وشوهدت في داخله أطلال مباني نبرز منها جبين, أما في رينا الذي صمم في داخله مصلى مسيحي, ربما حل محل مسجد قديم , ونجد ثلاثة أبراج بدائية ذات قاعدة مستطيلة ,ام المبنى فهو مثمن , وفي الوسط أطلال الحصن الداخلي مرتفع بعض الشيء. ويقع في طريق يربط بين أشبيلية وبطليوس , وقد احتله فرناندو الثالث .وقد تم جلب الكتل الصخرية من المدينة الرومانية المسماة Regina.[42]

قصبة بطليوس: (بالإسبانية: Alcazaba de Badajoz):

هي قصبة أندلسية من أعظم قصبات الأندلس ضخامة. بنى القصبة على شكلها الحالي الموحدون في القرن الثاني عشر الميلادي, لكنها كانت قائمة منذ القرن التاسع الميلادي تقريبًا، أي مع تأسيس مدينة بطليوس نفسها. [43]،برج الطليعة , وبرج المشنوق ويطلق على برج الطليعة وهو برج براني إلا أنه تتوفر به عناصر الإكتفاء الذاتي, وهو مثمن الأضلاع وأصم حتى مستوى دروب سور الجسر الذي يربطه بالسور الرئيسي للحصن , ومشيد من الطابية المصحوبة بالخرسانة , ويظهر البناء من الخارج وزرة ذات انحدار ويبلغ ارتفاعها 1.30م, ويبلغ طول البرج 4.13م.وارتفاعه لايزيد عن 21.65م,ويشبه برج الفضة بأشبيلية , وله طابقان توأمان ويهما عمود مجوف ومربع سقفه من قصبة بيضاوية من الآجر ارتفاعها 2.55م.وهو على نمطية الاكلاشيه (8-4) والسلم في الحائط, والدهليز قباب مضلعة لها قاعدة مستطيلة وأخرى ذات قاعدة مثلثة, وعقود او فجوات نصف اسطوانية منفرجة بعض الشيء , ويبلغ ارتفاعها 1.54م في كل واحد من الجوانب الخارجية وفي الشرفة ذات المرقب بريجا مركزيا مربع المخطط ومشيد منالآجر ويبلع ارتفاعه 8.56م و, له نظامان من العقود شبه اسطوانية. والبريج هو قناع لبرج أخر معاصر للحصن الموحدي , والعمود الممتد على الغرف على شكل بريج مربع طول ضلعه ثلاثة أمتار وارتفاعه 2.82, وكتتويج خارجي نجد للبرج افريز ذا عقود مدببة متقاطعة الأجر على النهج العربي ويبلغ ارتفاعها 0.77,وهو أقل مساحة من البرج الحربي. وكلا البرجين يقوم بأداء دور أبراج الطلائع أو المراقبة ويرجع الى القرن لثاني عشر, وهناك برج آخر هو برج المشنوق أقل حجماً, وهو مستطيل الشكل وتسبقه بربكانة , والبرج مشيد من الطابية ويتم الدخول اليه من درب السور, بشكل مباشر من الواجهة. على باب المدخل عقد منفرج فتحته 1.08م, يتوجه عقد أخر اسطوني وكلاهما من الآجر.وتوجد ثلاثة مزاغل في الحوائط الخارجية لها فتحة خارجية وأخرى, داخلية (0.95.0.12 على التوالي) ولا يتجاوز سمك الحوائط 0.80م. ولها عتب حجري يليه قبة فالصو ناجمة عن تقريب مداميك الآجر. وتبلغ مقاسات الآجر 27 X 13 X 4سم.ويرجع للقرن الثاني عشر. [44]

يرجع تاريخ أسوار القصبة الحالية إلى حقبة الموحدين على الأرجح، مع أجزاء لا تكاد تُذكر يرجع تاريخها إلى الفترة بين عامي 913م و1030م (أيام بني الجليقي وبني الأفطس)، وقد اعتنى الموحدون ـ الذين حكموا الأندلس منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي ـ بتحصين بطليوس بصفة خاصة، لوقوعها في طرف المملكة الإسلامية، وأمر الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (حوالي سنة 563 م/1170 هـ) بإنشاء قصبة وأسوار جديدة للمدينة، ومدها بالمياه، وبالتالي فإن الأسوار والأبراج المحيطة اليوم بأطلال قصبة بطليوس هي من إنشاء الموحدين. [45] ومن أهم الأحداث التاريخية منذ نشأتها والعصور الإسلامية التي حدثت فيها في سنة 262ه/875م كان مروان بن محمد قد ابتنى لبطليوس حصناً , وجعله موطئاً ,وأدخل فيه أهل ماردة وغيرهم من أهل المكانفة له على الثغر . [46] وثم تغلب الفتى سابور الفارسي تلك المنطقة ثم خلفه وزيره عبد الله بن مسلمة في الحكم. ثم بنو الأفطس دارت الحرب بين ابن الأفطس وابن عباد الحرب بينهما حول باجة وبعدذلك انشغال ابن عباد بقتال البربر. والثورة في أشبونة وإخمادها , ثم رجوع الحرب مرة أخرى بين المظفر بن الأفطس والمعتضد بن عباد. وكان يجاور مملكة إشبيلية من الشمال، مملكة بطليوس، تفصلها عنها جبال الشارات الكبرى (سيرا مورينا). وكانت مملكة بطليوس، تشمل رقعة كبيرة تمتد من غرب مملكة طليطلة، عند مثلث نهر وادي يانة، غربا حتى المحيط الأطلنطي، وتشمل أراضي البرتغال كلها تقريبًا حتى مدينة باجة في الجنوب، وكانت العاصمة بطليوس تتوسط هذه الرقعة الكبيرة التي تشمل عدا العاصمة، عدة مدن هامة أخرى مثل ماردة، ويابرة، وأشبونة، وشنترين، وشنترة، وقلمرية، وبازو، وغيرها.

كان بنو مسلمة، أو بنو الأفطس، كما اشتهر اسمهم، سادة هذه المملكة الشاسعة، حكموها نيفا وسبعين عاما، وسطع بلاطهم أيام الطوائف. وكان استيلاؤهم على حكمها من المصادفات المحضة. ذلك أن هذه المنطقة، وهي النصف الشمالي، من ولاية الغرب الأندلسية، كان يحكمها عند اضطرام الفتنة، واليها الفتى سابور الفارسي، أحد صبيان فائق الخادم مولى الحكم المستنصر وقد استبد بحكمها[47] منذ انهيار الخلافة، واستمر قائما بأمرها ثلاث عشرة عاما. وكان فارسا شجاعا، ولكن عاطلًا عن المعرفة والخبرة بشئون الحكم، فكان يعاونه في تدبير الشئون وزيره عبد الله بن محمد بن مسلمة، وكان من قبل واليا لماردة، وكان هو الحاكم الحقيقي. وتوفي سابور في سنة 413 هـ (1022 م)، وترك ولدين حدثين هما عبد الملك وعبد العزيز، وأوصى أن يستمر وزيره في الحكم، حتى يبلغا أشدهما. فاستولى عبد الله على الأمور وضبط المملكة، واحتوى على تراث سابور لنفسه، وتلقب بالمنصور، وأضحى هوسيد المملكة الحقيقي .[48]

يتنوع سكان بطليوس من البربر والعرب واليهود والنصارى0 خليط من الاجناس متعايش بسماحة الإسلام وينحدر سكان بطليوس من سلالة بربرية الأصل، تعودلببني مسلمة. والذي أسس السلالة هوعبد الله بن مسلمة وهوكان من كبار رجال الحكم الثاني للخليفة الأموي.وقداقتطع لنفسه إمارة «بطليوس» بعد أفول الخلافة بقرطبة. [49] وصارت أهم مركز سياسي وعسكري، اقتصادي وثقافي في غرب شبه الجزيرة. تمكن بنو الأفطس بعدها لبعض الفترات من تملك شرق إسبانيا و جزء من «البرتغال». على مدى ثلاثة أجيال من الحكام: عبد الله (436-412)ه (1045-1022)م، المظفر (457-436)ه (1065-1045)م ثم عمر المتوكل (486-457)ه (1094-1065)م ([50]) ، عاشت بطليوس ما بين عامي 1022م و 1094م أوج أهميتها السياسية كعاصمة لدولة بني الأفطس البرابرة، المتحدرين من سلالة مكناسة، وأسياد منطقة شاسعة ضمت: ميريدا،

لشبونة، شنترين وكوينبرا، وذلك في ظل الأمير المظفر بن الأفطس، الجندي الباسل، العالم، وعاشق الشعر.

وكان عبد الله بن الأفطس المنصور، خلال حكمه يمضي في تنظيم مملكته الشاسعة وفي تحصينها، وفي تقوية جيوشه وأهباته، وذلك كله توقعا لعدوان بني عباد، ولاسيما بعد أن خلف المعتضد بن عباد أباه القاضي أبا القاسم في الحكم، وظهرت إمارات توثبه ونياته العدوانية. ثم توفي المنصور في جمادى الأولى سنة 437 هـ (1045 م).

فخلفه إبنه محمد بن عبد الله بن الأفطس وتلقب بالمظفر. وكان عالما وفارسا شجاعا، وقد عركته خطوب الحرب والأسر الذي عاناه. فسار في الحكم سيرة أبيه من العمل على ضبط النظام، والدفاع عن الثغور. وكان مثل أبيه يرى في بني عباد خصومه الأوائل، ويعمل على تقوية أهباته الدفاعية لاتقاء عدوانهم[51]

على أن أعظم خطب نزل بالمسلمين وبمملكة بطليوس يومئذ, هو فقد مدينة قلمرية أعظم مدن البرتغال الشمالية، وكان قد افتتحها المنصور بن أبي عامر منذ ثمانين عاما في سنة 375 هـ وكانت يومئذ تحت حكم مولى من موالي ابن الأفطس يدعى راندة، ولديه للدفاع عن المدينة نحو خمسة آلاف جندي. ويقال إن الذي أشار على فرناندو بغزو قلمرية هو مستشاره المستعرب سسنندو. [52] وفي عهد المتوكل على الله تمتعت مملكة بطليوس بفترة من السلام والأمن والرخاء، وسطع بلاطها في ظل أميرها الحكيم العالم. والواقع أن مملكة بطليوس كانت بالرغم مما نزل بها من الأحداث والخطوب، في عهد المظفر بن الأفطس، تتفوق من حيث انتظام الأحوال وسيادة الأمن والرخاء، على كثير من دول الطوائف الأخرى. وفي ذلك يقول المؤرخ « وكانت أيام بني المظفر (يقصد بني الأفطس) بمغرب الأندلس أعيادا ومواسم، وكانوا ملجأ لأهل الأدب، خلدت فيهم، ولهم قصائد شادت مآثرهم، وأبقت على غابر الدهر حميد ذكرهم. [53] وكان معاونه في الحكم الوزير ابن الحضرمي، قد أساء السيرة، وتجبر وطغى وتعسف في معاملة الناس فأقاله، وأبعده عن خدمته. ومن الناحية الاقتصادية فقد صارت أهم مركز سياسي وعسكري، اقتصادي وثقافي في غرب شبه الجزيرة وانتشرت فيها التجارة لقربها من البرتغال حيث لا تبعد عنها غير سبعة كيلومترات.

ظل اقتصاد الإمارات الأندلسية منتعشا على الرغم من التجزئة السياسية، فقد اقيمت مزروعات متنوعة وغنية كالزعفران وقصب السكر. كما نشطت صناعة المواد الاستهلاكية والمصدرة. وتوسعت تجارة الموانئ الأندلسية عبر البحر المتوسط، بل شملت أيضا سواحل الهند والصين وشرق إفريقيا. [54]

وإلى جانب أهميتها السياسية، عرفت بطليوس في القرنين الحادي عشر والثاني عشر أهمية ثقافية، واستقطبت النشاط الثقافي لشمال شرق الأندلس، واعتبرت في عهد بني الأفطس كأحد أهم مراكز الثقافة الرئيسة في شبه الجزيرة، وكنموذج بلاطي لإسبانيا القرن الحادي عشر: حمى الملكين المظفر والمتوكل الشعراء، ولائحة الأسماء لأدباء محليين ووافدين لائحة طويلة، فالملك المظفر كان مولعاً بالشعر، وتنسب إليه أعمال عدة، وأبرز شعراء المظفر والمتوكل ابن باج، والشاعر الداني ابن لبانة، والبرتغالي ابن مقانة.

من أعلام بطليوس: المنصور عبد الله بن الأفطس ،والمظفر بن الأفطس ،والمنصور يحيى بن الأفطس ،والمتوكل بن الأفطس، وابن السيد البطليوسي.

فقد كان المظفر من أعلم أهل عصره، وكان شغوفا بالشعر والأدب، وكان ينكر الشعر على قائله في زمانه، ويقول: « من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكت «، ولا يرضى بدون ذلك. وقد اشتهر

في عالم الأدب بكتابه الضخم الموسوم «بالمظفري» نسبة إلى اسمه، وهو موسوعة أدبية وتاريخية عظيمة تحتوي على كثير من الأخبار والسير والنبذ المختارة، والطرائف المستملحة، والغرائب الملوكية، والنوادر اللغوية. وأنفق المظفر في تصنيفه أعواما، وانتفع في تصنيفه بسائر ما تحتويه خزائنه الزاخرة بنفائس الكتب، ولم يستعن في وضعه إلا بكاتبه أبي عثمان سعيد بن خيره. وقيل إن «المظفري» كان يحتوي على خمسين مجلدا، وقيل بل على عشرة أجزاء ضخمة وقد لبث هذا المصنف الكبير عصورًا، معروفا متداولًا، تذكره التواريخ. [55] وقال ابن الخطيب: « وكان المتوكل ملكًا عالي القدر، مشهور الفضل، مثلًا في الجلالة والسرو، من أهل الرأي والحزم والبلاغة، وكانت مدينة بطليوس في مدته دار أدب وشعر ونحو وعلم «.[56] ومن الفلاسفة المهمين في تلك الحقبة، الفيلسوف والفقيه الباجي المولود في بطليوس عام 1013م، والذي درس في قرطبة، وسافر إلى الشرق، حيث ظل ثلاثة عشر عاماً. وألف بعد عودته أعمالاً كثيرة في الشريعة، ومات في الميرية عام 1081م. وهنا، لابد من ذكر الفيلسوف البطليوسي بن السيد، بالرغم من أن حياته لم ترتبط بالمدينة التي وُلد فيها عام 1052، وقد تنقل في ممالك الطوائف، ورحل من بطليوس إلى ولاية البراثين، وقصد بالتالي طليطلة وسرقسطة، ثم استقر في بالنيا حيث توفي عام 1027، وتفسر أعماله ولادة الأنظمة الفلسفية لابن رشد وابن باجة، وأثره «كتاب الحدائق» هو أول محاولة للتوفيق بين الفقه الإسلامي والفكر اليوناني.

كان من بين وزراء المتوكل، الكاتب والشاعر الكبير أبو محمد عبد المجيد بن عبدون «عظيم ملكهم، ونظيم سلكهم» حسبما يصفه صاحب القلائد، وصاحب مرثيتهم الرائعة التي نشير إليها فيما بعد، وهو من أبناء مدينة يابرة، وبنو القبطرنة وهم الشاعر المبدع أبو بكر بن عبد العزيز البطليوسي، وأخواه أبو محمد وأبو الحسن، وكلاهما أيضا شاعر رائق النظم. [57] ومن شعراءها ونقل إلينا ابن الخطيب تلك التحفة الأدبية من نظم المتوكل، رواها وزيره أبو طالب ابن غانم قال: كتب إلى المتوكل بهذين البيتين في ورقة كرنب من بعض البساتين:

انهض أبا طالب إلينا واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى ما لم تكن حاضرا لدينا([58])

على المستوى الثقافي كانت للمدينة مساهمة كبيرة كما يتضح ذلك من الصفحات الكثيرة التي خصصها ابن بسام لأعلامها ومنهم محمد ابن أيمن وولده أبو الحسن ,ونحن في غنى عن التذكير بأن الشاعر الكبير ابن عبدون صاحب المرثية المشهورة في بني الأفطس ينتمي إلى يابورة Evora من مملكة بطليوس التي يقول عنها الإدريسي:"ويبورة مدينة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع وبها الخصب الكثير الذي لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول". [٥٩]

والشاعرعبد الملك بن حبيب توفى في رمضان من عام 239ه/853م في صدر دولة الأمير محمد , قال ابن وضاح وغيره , لم يقدم الينا افقه من سحنون , وقدم الينا منهو أطول منه لساناً يعني ابن حبيب, وكان اديباً ونحوياً حافظاً وشاعراً متصرفاً في فنون العلم من الأخبار والانساب والأشعار, وله مؤلفات حسان في الفقه والأدب والتواريخ كثيرة. وتوفى عن أربع وستون سنة. [60]

الخاتمة:

وأخيرأ توصلت الدراسة لعدد من النتائج منها:

لعبت مدينة شاطبة الاندلسية دورا مهما في الحياة العلمية ليس في بلاد الاندلس فقط وانما شملت بعض أقاليم الدولة العربية الإسلامية منها العراق وبلاد الشام تسمية مدينة شاطبة وأهمية موقعها الجغرافي وأثره على العالم الاسلامي وسبب نشأتها.

دور مدينة شاطبة العلمي في داخلها وخارجها

كثرة عدد من العلماء في مجال العلوم المختلفة كالاحاديث والقراءات والعلوم الأخرى

التواصل الحضاري والعلمي بين مدينة شاطبة والاقاليم التي وصوا اليها علمائها مثل العراق وحواضره البصرة والكوفة والموصل

العلاقات الوثيقة بين اقاليم العالم الاسلامي وتبادل العلاقات الثقافية والعلمية فيما بين الاقاليم وهذا ناتج عن وحدة الدولة الإسلامية وبسط نفوذها على كافة ارجاء الدولة

تعد مدينة بطليوس واحدة من أبرز مدن اسبانيا، وهي عاصمة مقاطعة تحمل نفس اسمها في مجتمع الحكم الذاتي، وتقع بالقرب من الحدود البرتغالية، على الضفة اليسرى من نهر غونديانا، وتتمتع المدينة بالتاريخ العريق، وتضم العديد من المعالم المميزة.

تمتعت مملكة بطليوس في عهد المتوكل على الله بفترة من السلام والأمن والرخاء، وسطع بلاطها في ظل أميرها الحكيم العالم. والواقع أن مملكة بطليوس كانت بالرغم مما نزل بها من الأحداث والخطوب، في عهد المظفر بن الأفطس، تتفوق من حيث انتظام الأحوال وسيادة الأمن والرخاء، على كثير من دول الطوائف الأخرى.

تشتهر المدينة بكونها تمتلك العديد من الساحات الخلابة التي تصلح للتنزه بين مبانيها الموجودة على الطراز المغربي والروماني منذ عصور قديمة .

تضم المدينة العديد من المعالم التاريخية المميزة، التي يقبل عليها الكثيرين حصن فوبان، وابراج بويرتا .

نوصي الباحث التاريخي بالقاء الضوء على المدن الإسلامية في بلدان شرق وغرب العالم الإسلامي التي لم يلقى الضوء عليهاكثيرأ.

والحمد لله في الانتهاء كما حمدته في الابتداء، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وآله وصحابته أنجم الاهتداء

المصادر والمراجع

(1) ابن الكرديوس ، أبو مروان عبد الملك بن قاسم (ت750هـ /1179م) ، تاريخ الاندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء من أخبار الخلفاء تحقيق أحمد مختار العبادي ، الرباط ، 1986 م

(2) ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ /1182م) كتاب الصلة ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، ط1 ، بيروت ، 1423 هـ /2003 م ، ج3 ،

(3) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت 852 هـ /1448م) الدر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، ط2 الاسكندرية 1987م ، ج3

(4) ابن سيد الناس ، هو أبو الحسن عباد بن سرحان بن مسلم بن سيد الناس المعافري من علماء شاطبة ، ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، ج7

(5) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شطب)

(6) أبو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي (ت732 هـ/1331م) تقويم البلدان ، القاهرة ، 1981 م

(7) البروسي ، محمد بن علي (ت 970هـ /1562م) اوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك ، تحقيق المهدي عبد الحفيظ ، دار الغرب الإسلامي، 2006 م

(8) تاريخ اسبانيا ، ترجمة محمد ابراهيم الدسوقي ، القاهرة ، 1985 م ص9 .

(9) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج4

(10) سالم ، عبد العزيز ، مدينة شاطبة ، دائرة معارف الشعب ، عدد 83 ، القاهرة ، 1970م

(11) السراج ، الوزير محمد بن محمد الاندلسية (ت 1149هـ /1736م) ، الحلل السندسية في الاخبار التونسية ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط3 ، تونس 1985م ، ج1،

(12) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ /1505 م) بغية الوعاظ في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، د. ت ج1

(13) شهاب الدين أبو عبد الله (ت 630 هـ /1232 م) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 1985م ، ج3 ، ص309 (شاطبة)

(14) عبد الله ، أمين محمود ، الجغرافية الإدارية للدولة العربية الاسلامية ، القاهرة ، بلا ت

(15) العذري ، أبو العباس أحمد بن عمر(ت 478 هـ /1085م) كتاب نظام المرجان في المسالك والممالك تحقيق د. عبد الفريد الاهواني ، مدريد ، ط2 ،1977

(16) القاسم ابن سلام الهروي (ت224 هـ /838م) غريب الحديث ، تحقيق : محمد خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت ،/ ج2

(17) القلقشندي ، أبو العباس بن علي (ت 821 هـ /141/م) صبح الاعشى في صناعة الانشا لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، بلا ت ، ج 2 ، ص229 ، ج5

(18) محمد بن أحمد بن جبير بن محمد الكناني ، من أهل بلنسية نزيل شاطبة ثم أنتقل إلى غرناطة ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج2 ،ص47

(19) محمد بن عبد المنعم (ت 710 هـ /1310 م) الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط4 ، بيروت ، 1984م ص32 وما بعدها

(20) محمد بن مكرم الانصاري (ت 711 هـ /1311م) لسان العرب المحيط ، اعداد : يوسف خياط ، بيروت ، 1375 هـ / 1956م مادة (شطب)
(21) مطلوب ، ناطق صالح ، أثر الرحلة في الحياة الثقافية ن الموصل ، 1993 م ، ص367
(22) مؤلف مجهول ، كتاب تاريخ فتح الاندلس ، نشر دون خواكين جنثالث ، ط2 ، الجزائر 1966م
(23) نظام المرجان ، ص45 ، البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت487 هـ /1094م) جغرافية الاندلس واوربا ، تحقيق د. عبد الرحمن الحجي ، بيروت ، 1970م ، ص44
(24) نفيس ، أحمد ثغور ، الاندلس في العصور الإسلامية ، ترجمة فتحي عثمان ، الاسكندرية ، 1971م، ص53
(25) يكني ابا العباس ، ابن الابار ، التكملة ، ج1
(26) الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ,محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي.
(27) تاريخ اختطاط العرب المسلمين للمدن في الأندلس , وفاء محمد سحاب, جامعة الانبار , كلية الآداب , مجلة كلية الآداب, العدد101.
(28) دراسات في الحضارة الإسلامية وثقافة الغرب الإسلامي محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة الأمنية، بالرباط 2010م.
(29) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (المتوفى: 1406هـ) الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: جـ 1، 2، 5/ الرابعة، 1417 هـ - 1997م.
(30) الروض المعطار في خبر الأقطار, أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى; المحقق: إحسان عباس , ط الثانية, مؤسسة ناصر للثقافة , بيروت ,1980م.
(31) العمارة في الأندلس , عمارة المدن والحصون,باسيليو بابون مالدونادو, ترجمة عل ابراهيم منوفي,المشروع القومي للترجمة, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة , 2005م.
(32) مراصد الإطلاع , عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (المتوفى: 739هـ) , ط الأولى, نشر دار الجيل،1412هـ
(33) موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ وفكر وحضارة وتراث , حسين مؤنس, الطبعة الأولى, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, 1416ه/ 1996م.
(34) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%84%D9%88%D9%83_%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%81
(35) https://www.marefa.org/%D8%A8%D8%B7%D9%84%D9%8A%D9%88%D8%B3
(36) https://murtahil.com/154984/%D9%85%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D9%86-%D8%A8%D8%B7%D9%84%D9%8A%D9%88%D8%B3-%D8%A5%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7

الملاحق

قلعة الشاطبة

قلعة بطليموس

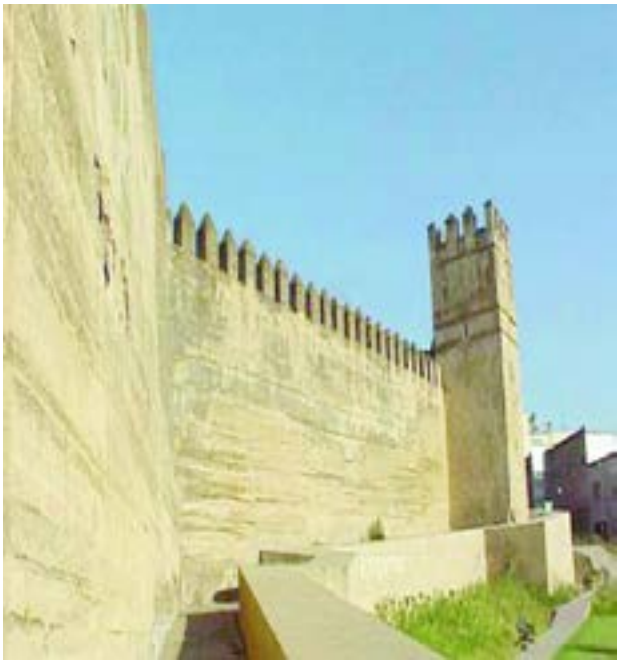

قصبة بطليوس

الهوامش:

(1) القلقشندي ، أبو العباس بن علي (ت 821 هـ /141/م) صبح الاعشى في صناعة الانشا لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، بلا ت ، ج 2 ، ص229 ، ج5 ص223

(2) القاسم ابن سلام الهروي (ت224 هـ /838م) غريب الحديث ، تحقيق : محمد خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت ،/ ، ج2 ص206

(3) محمد بن مكرم الانصاري (ت 711 هـ /1311م) لسان العرب المحيط ، اعداد : يوسف خياط ، بيروت، 1375 هـ / 1956م مادة (شطب)

(4) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شطب)

(5) شهاب الدين أبو عبد الله (ت 630 هـ /1232 م) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 1985م ، ج3 ، ص309 (شاطبة)

(6) سالم ، عبد العزيز ، مدينة شاطبة ، ص27 ، بروفنسال ليفي المؤسسات العمرانية في الاندلس ، ترجمة أحمد جحيط ، ص73.

(7) بروفنسال ، المؤسسات العمرانية في الاندلس ، ص73

(8) معجم البلدان ، ج4 ، ص287 .

(9) العذري ، نظام المرجان في المسالك والممالك ،ص59

(10) محمد بن عبد المنعم , الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص32 وما بعدها

*بلنسية : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس ، متصلة بحوزة كورة تدمير ، وهي شرق تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية ذات أشجار وانهار وهي في شرق الاندلس ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج1 ، ص 490، مادة بلنسية ، ابن سعيد الاندلسي ، ص33

**دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا مرساها عجيب يمسى السمان ولها رساتيق واسعة كثيرة التين والموز ، ياقوت الحمودي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص211 (مادة دانية)

(11) مؤلف مجهول ، كتاب تاريخ فتح الاندلس ، نشر دون خواكين جنثالث ، ص23

(12) ابن الكرديوس ، تاريخ الاندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء من أخبار الخلفاء ص97

(13) السراج ، الحلل السندسية في الاخبار التونسية ، ج1، ص47

(14) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص168 .

(15) أبو الفداء ، المرجع السابق ، ص168

(16) نفيس ، أحمد ثغور ، الاندلس في العصور الإسلامية ، ص53 .

(17) نفيس ، المرجع السابق ، ص54

(18) البروسي ، اوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك ، ص447

(19) الروض المعطار ، ج1 ، ص337

(20) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج2 ، ص556 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص309

(21) تاريخ اسبانيا ، ترجمة محمد ابراهيم الدسوقي ، ص9 .

*الامبراطور دقلديانوس :ولد في مدينة صغيرة تدعى سالونا تابعة إلى مقاطعة دلماشيا عام 245م عين في منصب الامبراطور للفترة 235-284م محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص127.

(22) نظام المرجان ، ص45 ، البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت487 هـ /1094م) جغرافية الاندلس واوربا ، تحقيق د. عبد الرحمن الحجي ، بيروت ، 1970م ، ص44

(23) عبد الله ، أمين محمود ، الجغرافية الإدارية للدولة العربية الاسلامية ، القاهرة ، بلا ت ص 290 .

(24) قال المقدسي « وقال ابن خرداذبة ، الاندلس أربعون مدينة يعني المشهورة منها غير اننا لانقف على نواحيها فنكورها ، المقدسي ، شمس الدين محمد البشاري (ت380 هـ /990م) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط12 ليدن ، 1906 م ، ص222

(25) يذكر أنه من علماء الاندلس وله دراية ومعرفة بعلم التاريخ ، الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748 هـ /1347م) ، سير أعلام النبلاء ، ، الزركلي ، ج1 ، ص265 .

(26) السيوطي ، بغية الوعاظ في طبقات اللغويين والنحاة ، ج1 ص556

(27) مطلوب ، ناطق صالح ، أثر الرحلة في الحياة الثقافية ن الموصل ، 1993 م ، ص367

(28) مطلوب ، المرجع نفسه ، ص367

(29) ابن بشكوال ,الصلة ، ج3 ، ص131

(30) محمد بن أحمد بن جبير بن محمد الكناني ، من أهل بلنسية نزيل شاطبة ثم أنتقل إلى غرناطة ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج2 ،ص47

(31) مطلوب ، أثر الرحلة ، ص372

(32) ابن سيد الناس ، هو أبو الحسن عباد بن سرحان بن مسلم بن سيد الناس المعافري من علماء شاطبة ، ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، ج7 ، ص359

(33) ابن حجر العسقلاني ، الدر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، ، ج3 ، ص189

(34) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج4 ، ص310

(35) يكني ابا العباس ، ابن الابار ، التكملة ، ج1 ، ص33

(36) ابن الابار ، التكملة ، ج1 ، ص33 ، ويذكر الانصاري انه درس على يد الشيخ محمد بن عبد الله بن سعيد المالكي ، الانصاري أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت 711هـ / 1311م) الذيل والتكملة لكتاب الموصل والصلة ، تحقي احسان عباس ، ط1 بيروت ، 1965م ، ق1 ، ص417

(37) الانصاري ، الذيل ، ق1 ، ص417

(38) الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ,محمد عبد الله عنان ، ص 372.

(39) https://murtahil.com/154984/%D9%85%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D9%86-%D8%A8%D8%B7%D9%84%D9%8A%D9%88%D8%B3-%D8%A5%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7

(40) تاريخ اختطاط العرب المسلمين للمدن في الأندلس, وفاء محمد سحاب, ص190.

(41) المرجع السابق, ص195.

(42) العمارة في الأندلس, عمارة المدن والحصون, باسيليو بابون مالدونادو, ترجمة عل ابراهيم منوفي, ج1 ص255.

(43) الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ,محمد عبد الله عنان ، ص 373.

(44) العمارة في الأندلس, عمارة المدن والحصون,باسيليو بابون مالدونادو, ترجمة عل ابراهيم منوفي, ج1 ص638-637.

(45) الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ,محمد عبد الله عنان ، ص 373.

(46) موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ وفكر وحضارة وتراث , حسين مؤنس, ج1,ص231.

(47) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري,ج4 ص82.

(48) المرجع السابق ,جـ 1، 2, ص83.

(49) مراصد الإطلاع , عبد المؤمن بن عبد الحق، ج1 , ص203 .

(50) مراصد الإطلاع , عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (المتوفى: 739هـ) , ط الأولى, نشر دار الجيل،1412ه, ج1ص204 .

(51) دولة الإسلام في الأندلس ,محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري: جـ 1، 2ص84.

(52) المرجع السابق, جـ 1، 2, ص86.

(53) المرجع السابق, جـ 1، ص89.

(54) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%84%D9%88%D9%83_%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%81

(55) دولة الإسلام في الأندلس, محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري,جـ 1، 2,ص87.

(56) المرجع السابق, جـ 1، ص88.

(57) المرجع السابق , جـ 1، 2ص89.

(58) دولة الإسلام في الأندلس , محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري جـ 1، ص88.

(59) دراسات في الحضارة الإسلامية وثقافة الغرب الإسلامي (بتصرف)، محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة الأمنية، بالرباط http://www.andalusite.ma/?p=2014.2010.

(60) موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ وفكر وحضارة وتراث , حسين مؤنس, ,ج1,ص240.

العرب في كتابات الأجانب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة
(دراسة تاريخية تحليلية)

د.شيخه عبيد الحربي

أستاذ التاريخ القديم المشارك - قسم التاريخ
كلية اللغة العربية والدراسالت الاجتماعية -جامعة القصيم
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

لقد مثلت القبائل العربية في موطنها في شبه الجزيرة العربية عبر تاريخها الطويل الدور الرئيس في عملية التمازج الحضارى والتفاعل الاقتصادي بما امتازت به من أهميته إستراتيجيه واقتصادية كان له الأثر المهم في تعزيز علاقاتها مع غيرها من الأمم، وبعد التوسعات التي قامت بها الدولة الاسلامية بظهور الدين الاسلامي في اصقاع العالم والتسامح الفريد التي تميزت به حيث رسم صورة نمطيه للعرب عند الأمم المجاورة متفاوتة ومتغيرة حسب ما تقتضيه المصالح والأوضاع وتعكس مدى العلاقات السياسية، والاقتصادية، والبيئة فاطلقوا على العرب عدد من المسميات والالقاب منها: العرب، الأعراب، البدو، مدنيا، الأعداء، داشى، وغيرها من الاسماء والتي كشفت بصورة جلية رؤية تلك الأمم عن العرب التي اتسمت بعراقتها واصالتها عبر الازمنة في مختلف العصور. وتظهر أهمية هذه الدراسة كونها تتناول جانباً تاريخياً حول صورة العرب عند الأجانب و تسليط الضوء والكشف والتعرف بصورة واضحة وجلية عن الصورة التي رسمها الأجانب وعلاقاتهم مع العرب من القرون الثلاثة الهجرية ونظرتهم اليهم وبالتالي من أهم أهداف تلك الدراسة : المساهمة في توضيح الصور النمطية عن العرب عند الأجانب وأسبابها من خلال تتبع الأحداث والموافق التاريخية . كما تساعد على فهم افضل لتاريخ الأجانب وموقفهم من العرب خلال القرون الثلاثى الهجرية . كما كما ترصد تلك الدراسة دور الإسلام بقيمه ومبادئة التي امتاز بها العرب المسلمين في تشكيل صورة واضحة ،وكان من أهم نتائجها: تفاوت الصورة النمطية عن العرب في الكتابات الغير عربية ما بين التشوية والتحامل والجحود والعرفان وذلك نتيجة للتغيرات التي حدثت في الجزيرة العربية بظهور الدين الإسلامي وقوتهم. وأيضا تعدد المسميات والألقاب التي تلقب بها العرب المسلمين نتيجة التراكمات التاريخية والعلاقات الاقتصادية،وقد اعتمدت الباحثة لانجاز هذه الدراسة على المنهج التاريخي الاستقرائي التتبعي التحليلي في جمع المادة التاريخية المتعلقة في تصوير العرب عند الأجانب وعرضها وفق طابع اكاديمي .

الكلمات المفتاحية : الكتابات الفارسية ، السجلات الصينية ، الكتابات الهندية،خطابات ملوك الصقالبة ، شهادات القادة الرومان .

Arabs in the writings of foreigners in the first three centuries of migration (Historical analytical study)

Dr.Sheikh Obaid Dabes Al -Harbi

Abstract:

Throughout its long history, the Arabs have represented the main role in the process of civilizational mixing and economic interaction,

given its strategic and economic importance, which had an important impact on strengthening its relations with other nations. In it, he drew a stereotyped image of the Arabs among the neighboring nations, varying and changing according to the requirements of interests and situations, and reflecting the extent of political and economic relations and the environment. The nations of the Arabs that have been named for their originality and authenticity through time and in different eras. The importance of this study appears as it deals with a historical aspect About the image of the Arabs in the eyes of foreigners, shedding light, revealing and recognizing in a clear and clear way the image drawn by the foreigners and their relations with the Arabs of the three Hijri centuries and their view of them. . It also helps to better understand the history of foreigners and their attitude towards the Arabs during the three Hijri centuries. as This study also monitors the role of Islam with its values and principles that distinguished Arab Muslims in forming a clear imageAmong its most important results: The stereotypical image of Arabs in non-Arabic writings varied between distortion, prejudice, ingratitude, and gratitude, as a result of the changes that occurred in the Arabian Peninsula with the emergence and strength of the Islamic religion. Also, the multiplicity of names and titles by which Arab Muslims were called as a result of historical accumulations and economic relations

To complete this study, the researcher relied on the historical, inductive, and analytical method in collecting the historical material related to the portrayal of Arabs among foreigners and presenting it according to an academic character.

Keywords: Persian writings, Chinese records, Indian writings, letters of the Saqalabi kings, testimonies of Roman leaders.

مقدمه:

آثبت التاريخ عبر عصوره القديمة أهمية العرب في جزيرتهم، وذلك لما امتازت به من خبايا وهبات ربانيه ومميزات أقليميه ساعدتها لتبسط سيطرتها وتنشر دينها عبر الآفاق.

فتوافدت إليهم الأمم لعقد علاقات وتعزيز اواصر تلك العلاقات فتمت المبادلات التجارية والرحلات العلميه والسفارات الدولية على مدى فترات التاريخ وتكونت صورة نمطيه بشكل مستمر عن العرب حسب ما تقتضيه الأوضاع وتعكس مدى علاقتها بغيرها من الأمم, فأطلقوا على العرب العديد من الأسماء والتي منها : الإعراب، البدو، الأصدقاء، الأعداء، المهاجرين، الإسماعلين, داشى، باشى، دولة الإسلام, مدنيا، سكان

الصحاري، أكالين الضباب، وغيرها. وكان من أشد التسيمات تلك الصورة والمخلية السلبية للفرس عن العرب حيث ظهرت بصوره واضحه وجلية بعنصرية مقيتة مظهرين عدواتهم ضد العنصر العربي والتي ترجع إلى أرثها التاريخي بعد معركة القادسية التي أزالت الكيان الفارسي وحطمت آمال الفارسين فأطلقوا على العرب حسب مافي نواياهم من عدواة فكان من مسمياتهم للعرب : البدو، الإعراب، الجهلة, أكالين الضباب, أكالين السباع, الوحوش، وغيرها.

كما رسمت الروم البيزنطين العرب بصورة متقلبة حسب أوقات السلم والحرب فإذا كانوا في السلم كانوا العرب أصدقاء, أما في الحرب فهم بادية، أعداء, خونة، وغيرها.

بالإضافه إلى المسميات الدينية كالمهاجرين, الإسماعلين من منطلق ديني وصراع بين الأديان والبقاء للأفضل لأنهم يرون بأن المسلمين الباقيه ويرون في الدين الإسلامي القتل والتخلف وهذا ينافي الحقيقة بكافة جوانبها.

بينما الأمم الآخرى كالهند والصين فقد اطلقوا عليهم مسميات تعكس العلاقات الاقتصادية والتجارية من البلدين مما يتيح عن ذلك إستمراية تلك العلاقة وفتح السفارات الدولية. ومن هنا تتضح حقيقة ازلية بإجماع الأمم بان العرب من ارقي الامم كافة.

العرب في الكتابات الفارسية:

منذ القرن السادس الميلادي دخل العالم العربي في عصر جديد ومرحلة بارزة في مجال العلاقات الدولية مما نتج عن ذلك ظهور صراعات عربية فارسية بعد الانتصارات العسكرية التي حققها المسلمون ,فولد ظواهر انتقادية فارسية ضد العرب، فأطلقوا على العرب المثالب والعيوب والانتقاصات من أجل أبراز ملوك بني ساسان كسيادة وحضارة.

لذا أطلق الفرس على بلاد العرب أربابه[1] ولقب البدو وقد ذكر في سفر نامه «إذ ذكر أنه يخرج على السلطان فرق ومن أبرزها فرقة البدو وهو من أهل الحجاز»[2].

واورد (سابور) ملك الفرس ذكر العرب في قولة: «إنا ملوك الفرس نجد في مخزون علمنا وما سلف من أخبار أن العرب ستدال علينا وتكون لهم الغلبه على ملكنا».

ويرسم (سابور) صورة جلية عن بروز العرب وسيطرتهم على فارس ولذا قام يشن غارات على قبائل العرب حتى لقب بذي الأكتاف حتى دفع شيخا» عربياً وهو عمرو بن تميم لتوجيه سؤالاً لسابور عن تقتيل العرب بتلك الطريقه الوحشيه فرد عليه بقوله:» إن العرب قدموا بلاده وأمعنوا في تخريبها وقد تنبأ المنجمون بمقدمهم إليها تانية....».

وتتوال صورة العرب في أذهان ملوك فارس بصورة سيئه يفصح عما بداخلهم من استعلاء واستحقار للعرب فقد ذم كسرى (أبرويز) العرب عندما كان في حضرة وفود الروم والهند والصين قائلاً:» إنه لا يرى للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا فهم يعيشون مع الوحش والطير ويقتلون أولادهم من الفاقه ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجه وأفضل طعامهم لحوم الأبل التي يعافها كثير من السباع».

هذه الصورة التي وصف بها كسرى (أبرويز) العرب بالبداوة والشراسة والوحشية والتي تنافى حقيقة وضع العرب قبل الإسلام.

ولعل طبيعه الانتقاص في ملوك الفرس متوارثه فقد تنقص ملك الفرس من الطبيب العربي الحارث بن كلدة عندما أشرف على معالجته وسأله عن حالته فقال الطبيب، فقال الملك: أعرابي أنت، فرد عليه نعم من صميمها وبحبونه دارها فقال الملك متعجباً:» ما يصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولهم وسوء اعذيتها»[3]. وقد تطورت هذه النظرة الانتقاصية للعرب عندما أرسل الرسول ﷺ رسالة يدعو كسرى للإسلام فمزق الرسالة قائلاً:» يكَّتب إلى هذا وهو عبدي؟![4] وقال يزدجر عن العرب:» إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوا ذات بين منكم كنا نوكل قرى الضواحي ليكفوكم.....»[5]. وقد اتضح من خلال ما سبق العقلية الفارسية ضد العرب وأنهم وجدوا من اجل خدمة ولحماية الفرس فهم غزاة عرب تسحقهم فارس أينما شاءت.ولذا عندما دخل عمر بن الخطاب فارس, قال القائد الفارسي رستم:» إنما مثل العرب كمثل ذئاب صادفت غرة من الرعاة فعاثت في الغنم»[6].

وقال أيضاً للمغيرة بن شعبة عندما وصل للقادسية «مثلنا معكم معاشر العرب كمثل ثعلب دخل كرماً فتهاون به صاحب الكرم حتى نال من آعنابه وسمن وبطر فلما إراد التسلق لم يقدر لضخامته حتى قتل»[7]. وقال رستم أيضاً:» من حليب النوق والسحالي جاء العرب إلى هنا طامحين عرش كياني- اليس في وجوهكم حياء»[8]. وفي نهاية القرن الثاني الهجري ظهرت النزعة القومية العدائيه للعرب ومحاولاتهم لارجاع مجد بني ساسان وكان أبي القاسم الفردوسي الذي عاش مابين (929- 416هـ) أبرز تلك الشخصيات حيث وصف العرب قائلاً:» إنهم جهلاء لا يتقلبون العلم ثم قلب كفيه أسفا على ما آلت إليه حالهم بعد أن وضع سعد بن أبي وقاص السيف على رقابهم», ثم أردف قائلاً أيضاً:» لقد بلغ المال بالأعراب من شرب لبن النياق وأكل الضباب أن يجعلوا عرش ملك الفرس أرباباً أيها الفلك تباً»[9].

كما تلفظ القائد الفارسي الأفشين[10] في عصر المعتصم حيث كان قائد للجيش ونظراً لتزايد نفوذ الفرس في المناصب في العصر العباسي ولذا كان قاسياً عدائياً يكرة العرب وكان يقول:» إذا ظفرت بالعرب شدخت رؤوس عظمائهم بالدبوس»[11].

كان يكره العرب ويحلم بسيادة المجد الفارسي.

وقد ورد رسالة من الأقشين أرسلها إلى المازيار جاء فيها:» ....لم يسبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة العرب والفارسية والأتراك, والعربي بمنزلة الكلب أخرج له كسرة ثم أضرب براسه بالدبوس»[12]. وتفصح العبارات المليئة بالحقد والبعض ومحاولتهم استرجاع مجدهم الغابر.ورود قول الجيهاني الشعوبي في العرب:» ياكلون اليرابيع والضباب والجرذان والحيات ويتفاحشون». وأيضاً يقول:» ليس للعرب كتاب كاقليدس أو المجسطي ولا الموسيقي ولا الفلاحه ولا ما يجري في مصالح الأبدان ويدخل في خواص الأنفس»[13].

وبالتالي فإنه يصف العرب بالجهل والتخلف وخلوهم من إي فكر أو انتاج أدبي وعلمي.

ولم يخلو الشعر من التهكم على العرب والتفاخر بالمجد الفارسي كقول الشاعر بشار بن برد[14]:

آحين كُسيت بعد العُريْ خزا ... ونادمت الكرام على العقار

تفاخر يابن راعيه وراع ... بني الاحرار حسبك من خسار

وفخرك بين خنزير وكلب ... على مثلي من الحدث الكبار

ويقول الشاعر أبو إسحاق المتوكلى[15] ولة قوميه يتغنى بالامجاد الفارسية ويستحقر العرب بابياته قائلاً:

فقل	لبني	هاشم	آجمعين	هلموا إلى الخلع	قيل الندم
ملكناكم	عنه	بالرماح	طعناً	وضرب بسيف	خذم
فعودا	إلى	أرضكم	بالحجاز	لاكل الضباب	ورعي الغنم

كلما تحمل سخرية ووصف العرب بالبدواة والجهل والمنيه للفرس، ويتضح ما ورد من الفاظ ومسميات للعرب عند الفرس حيث اطلقوا عليهم البدو، العرب، الأعراب. فهناك تناقض بن لفظي العرب والأعراب(والباديه):

فالعرب: أنه ساميه بينه العروبة تسكن المدن ذات حضارة وعلم.أما الأعراب فهم مشتقة من المصدر اللغوي عرب وهي جمع كلمة عرب ثم صارت اسماً لسكان البادية وهم خلاف الحضارة إذا يغلب عليهم البداوة والخشونة والتنقل كما أن الأعراب تطلق على القبائل المهمه بهم (والأعراب), و(البدو) هما لهما نفس الصفة والمعنى. ولذا فإن الفرس يقرون بعروية العرب أهل المدن كالحجاز والطائف. وينعتونهم بالأعراب وهي القبائل المحيطة والتي كانت مع خلاف مع دولة فارس وكانت تغير عليها من الفينة والآخرى. وقد تكون عربية أو عربة لأنهم أعراب وقبائل متفرقة جغرافيا.

ثانيا : العرب في السجلات الصينية:

تتسم علاقات الصين[16] بالعرب بعراقتها وقدمها عبر التاريخ حيث أشارت المصادر الصينية للعرب المسلمين منذ القرن السابع الميلادي فذكر مؤرخو الصين إلى ظهور الدين الجديد في المدينة[17].

وربما كان وصول واستقرار العرب المسلمين إلى الصين في عهد أسرة تانغ (618هـ- 907م/ 5, م-294م), وقد أشار إلى ذلك (كوانجتيج) إلى قدوم جماعات من العرب المسلمين على النحو الأولى «في عهد دولة تاريخ TAG وقد على كينش CAN TON عدد من الغرباء من مملكة آتام ANNAM وكمبوديا ومدينا يعي بلاد العرب ..... وكانت مملكة مديناً قريبة من الهند- يقصد الجزيرة العربية»[18].

كما كانت تعرف بلاد العرب في السجلات الصينية بالبلاد الواقعة إلى العرب من إيران باسم « تاشيش»[19] «بلاد التاجر»[20] و «واشى» أو تاتشي» ومعناها التاجر أو بلاد التاجر فمنذ القرن الأولقبل الميلاد عرف طريق الحرير البري حيث تحققت التجارة بصورة مباشرة وتطورت العلاقات إلى ما بعد ظهور الإسلام في الصين (751م)[21]، واستقبلت تجار مسلمين[22] فتكونت طبقة من التجار العرب المسلمين[23] هناك فيما بعد او تكون كلمة داشي أو تاشي أو تاشيش محرفة من كلمة طاحيك أو تاجيك بالفارسية معناها (تازي)[24]. وقد تعددت الأراء حول أصل كلمة تاتشي ونسبتها للعرب ومعناها التاجر, وربما تعني كلمة « تاتشي» «تاشيه» ماخوذة من اللغة الأراميه تابي TAYYI وتعني بدوي.

كما اطلقوا على العرب بـ تازي والعرب تازيان[25] وهي ماخوذة من كلمة تاز الفارسية والتي تعني عمامة[26] لأن العرب يلبسون العمائم, واطلقوا على العرب المسلمين اسم(هوى هوى), أو (هوبين), أو (خوى) طبقاً للنطق الصيني[27].

وقد سجل تاريخ أسرة تانغ القديم وصول أول بعثات من بلاد تاشيى لتقديم الهدايا وأن أول مبعوث عربي ورد للصين كان في السنة الثانية من الهجرة (يوانخوى) (651م). ونص الكتاب» في السنة الثانية من يوانجوى في عهد حكم الأمبراطور تانغ كاوتسونع قد زار بلاد الصين مبعوث من بلاد التاشي وحمل معه الهدايا للأمبراطور»[28].

كما سجل سجلات إسرة تانغ الصينية الملكية (618- 907م) فصلاً عن سجل داشي

الذي يصف جغرافية ومنتجات العالم العربي[29]. و تذكر الرواية الصينية عن إسرة تانغ (618- 906م), «أن الأمن والاستقرار ساد في مملكة سيما سنة (672- 55هـ).

(..... وإن أمير العرب .... ثم تكمل الرواية (أن هذا المملكة شديدة الباس حيث أن أمير التاشى, أمير العرب لم يجبر على مهاجمة المملكة»[30]. وبالرغم من الطابع الأسطوري في هذه الرواية إلا أنه يدل على أهمية العرب وتزايد نفوذهم. وفي السنه الثانية من الهجرة في عهد الأمبرطور يونخوى (651م/ 30- 31هـ), أثناء خلافة عثمان بن عفان ورد في السجل أيضاً:» أن الوفد القادم[31] من أرض بعيدة جداً, نقل إلى الأمبرطور أنباء عن جزيرة العرب والتي شهدت ظهور نبي بعثة الله من بين العرب داعياً للتوحيد»[32].ويعتبر هذا أول إتصال دبلوماسي حدث في صدر الإسلام حيث استقبل الأمبراطور الصيني سفيراً من بلاد تاشية وهو المصطلح الذي يطلقه الصينيون على العرب كما اطلقوا على أمير المؤمنين (تانسميوني)[33], ورد ذلك في المصادر الصينية أن سلطان داشيى إلى الدولة العربية أرسلت مبعوثاً بهدية من الدرر واللألى في السنة الإول من فترة أسرة نشتقوان (627- 749م), وأيضاً أشارت سجلات أسرة سونغ[34] (968- 1168م) بأن هناك (49) بعثه عربية وفدت إلى بلاد الأمبراطور ويذكر في السجل ما يلي:» أمة أو وفد من بلاد داشيى إلى سفارة استقبلت استقبالاً حاراً ومنح السفير لقب القائد ونال العرب القاباً تليق بهم».

كما ذكرت في السجلات الصينية العرب في العصرين الأموي والعباسي (14- 132هـ/ 132- 656هـ) وأطلق على العرب في العصر الأموي (باي لي داشي), أو «بين تاش» العرب ذو االملابس البيضاء» أو «التاشي» اللابسين الملابس البيضاء, فيما عرف العرب في العصر العباسي بلقب»خي لي داشي» «التاشي» العرب المسلمون ذو الملابس السوداء وهذه إشارة إلى اللون الأسود الذي اتخذه العباسيون شعاراً لهم.

فالمراد من الفئة الأولى الأمويون فيما الفئة الثانية العباسيون تميزوا بين الحكام الأموين بدمشق وحداد على مقتل الحسن والحسين للعباسين[35], كما استوعبوا طبيعة الإنقلاب الذي طرأ على السلطة في الدولة الإسلامية. وظلت الصلات الدبلوماسية تعكس مدى أزدهار التبادل التجاري بين البلدين وهذا يوضح إلى معرفة الصين باخبار العرب المسلمون ومحاولتهم إقامة علاقات تجارية بصورة ودية[36].

وقد أعترف المؤرخ الصيني فواين جانغ في كتابه مبادئ الشرق بقوة العرب التجارية قائلاً:» إن العرب المسلمين هم الذين كانوا يقبضون على ناحية التجارة الدولية في الشرق والغرب»[37]. وقد خصت السلطات الصينية العرب المسلمين معاملة حسنة ومنحتهم مكانه بارزرة حيث كان العربي المسلم يعرف لدى الصين بأنه صاحب حضارة رفيعة وقد روى أنه تم منح رجلاً عربياً مسلماً كان تاجراً مهنة القضاء في الصين وتم منحة لقب مميز وهو السيد النبيل أو الرجل النبيل وبالصينية «chin shih». وقد أطلق الصينيون في منتصف القرن (3هـ/ 9م), مثل هذه الألقاب لمن ينتمون إلى الشعوب المتحضرة مثل العرب مما يدلل على

المكانة البارزة التي احتلها العرب عند الصينين[38]. وقد أشارت السجلات الصينية إلى أحد وزراء الأمبرطور الصيني أشار إليه ضرورة أقامة علاقات مع العرب فتساءل الأمبرطور ولم فأجاب الوزير: أن العرب أقوى الأمم في هذا الأيام»[39].

يتضح من خلال ما ورد من مسميات والقاب العرب في السجلات والمصادر الصينية وتنوعها طبقاً للظروف السائدة أنذاك.

فأطلقوا على العرب «مدنياً» نسبة إلى المدينة الرسول ﷺ «داشي أو تاشي» معناها التاجر نظر للعلاقات التجارية بعد فتح طريق االحرير ووصول المنتجات العربية إليهم.

ثم لقب «باى لى داشي» و «خى لي داشي» وهي إشارة واضحة لمعرفتهم بالظروف السياسية التي طرأت على الجزيرة العربية. وهذا المسميات كانت تطلق على أمير المؤمنين في العصرين الأموي والعباسي.

ثم أطلقوا عليهم العرب من العروبة والاصالة والتحضر نظر لما حدث من تطورات في كافة المجالات أدت إلى أرتفاع مكانة العرب ويرزوهم وتاثيرهم الواضح في بلاد الصين.

ثالثاً: العرب في الكتابات الهندية.

عرف العرب الهند[40] منذ القدم من خلال القوافل التجارية والتي تصل براً عن طريق بلاد فارس حيث تصل للعرب المنتجات الهندية المتنوعة[41]. وقد استطاع العرب المسلمون الوصول للهند[42] في زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك كما أهتم خلفاء بني العباس بتوطين العلاقات التجارية والسياسية مع الهند بارسال السفراء والبعتات الدبلوماسية التي نتج عنها أقامة علاقات وطيدة[43], ومما يدل على ذلك ما يروي سليمان التاجر بقوله:» أهل الهند مجمعون على أن ملوك الدنيا المعدودين أربعة, فاول من يعدون من الأربعة:ملك العرب وهو عندهم بالاجماع أنه أعظم الملوك وأكثرهم مالاً وأبهاهم جمالاً وأنه ملك الدين الذي ليس فوقه شيء». ويوضح النص مدى الإحترام العربي الذي يكنه الهنود للعرب عامة ولخليفة المسلمين خاصة لإنه يمثل قوة العرب وهيمنتهم على كافة الأصعدة. وهذا ما أكده حاكم مملكة قنوج رغم كراهيته للعرب إلا أنه أقر أن ملك العرب أعظم الملوك ولعل الدوافع الاقتصادية والتبادلات التجارية بين المسلمين والعرب ومنطقة البنغال أكثر الأثر في أرتفاع قوة العرب وهيمنتهم بين الأمم. ومما يدلك على قوة العلاقة بين الهند والعرب في العصر العباسي إذ وجد نص ليزرك بن شهريار يروي قصة بحار عربي مسلم انتهك قدسية أحد التماثيل الهندية في آحدى مدن مملكة الراشتراكوت[44], تصور رفض حاكم المدينة القصاص الفوري قائلاً:» أنه من العرب وبيننا وبينهم شروط»[45].

يعتبر الفاتح المسلم محمود الغزنوى الذي استطاع فتح بلاد الهند اذ يقول عنه المؤرخ الهندوي براساد:» إن محموداً ليعد في نظر المسلمين غازيا ومجاهداً أخذ على نفسه القضاء على الشرك في مهاد الوثنية وهو في نفس الوقت عند الهنادكة طاغية ومخرب حطم مقدساتهم ودمر معابدهم». ويقول المؤرخ لين بول عن محمود الغزنوى:» أن ذلك السلطان أقام تلك المنشأت الفخمة وأقام دور العلم ودعى العلماء واجرى الأرزاق على طلبة العلم فلا يمكن أن يسلك زمرة الطفاة البرايرة»[46], لقد صرح المؤرخ الهندوسي بكل حيادية وعدالة بإن الحكم الإسلامي العربي في شيه القارة الهندية جلب الخير الكثير وأيضاً ما قام به القائد محمود الغزنزى الذي يعتبر من أهم السلاطين العرب المسلمين له الفضل في نشر الحضارة والعلم والأدب[47], وبذل

جهود جبارة في شهرة بلاد الهند علميا فخرج من بلادة عدد من الأدبا والشعراء كأمثال البيروتي، الفارابي وغيرهم[48].

نظراً لذلك فقد ارتفع نسبة السكان العرب المسلمون في السواحل الهندية وأطلق عليهم البياسرة والتي تعنى كلمة بيسر أولاد العرب المسلمين. كما أطلق على الجاليات العربية: أسم عربيته أو عربتاك نسبة للعرب[49] أو عربيتو «ara bito»[50].

مما يدل على وجود صلات عربية هندية في أعمال التجارى. وقد أدى ذلك إلى ارتفاع شان العرب منذ أواخر القرن الأول وحتى أواخر القرن (4) الهجري, ومن شدة إعجابهم وحبهم للعرب[51] إنهم كانوا يخاطبونهم بالتسويد أي إضافة كلمة سيدي إلى كلاهم الموجه للعربي المسلم تعظيماً له [52]. وتذكر المصادرر الهندية أن بعض أمراء السند والهند آلمو باللغة العربية حتى أن الأمير رتبيل يستظهر الشعر العربي ويستشهد آبيات حسان بن ثابت حتى قال رتبيل» يامعشر العرب, حسنتم كل شيء, حتى حسنتم الفرار» ويتضح مما سبق تنوع مسميات العرب في الكتابات الهندية كالعرب, عربيته, عرباك, عربتو, كلها ترجع إلى أصل كلمة عرب من العروبة والفصاحة وبما امتازوا به العرب من تحضر وقوة استطاعوا الوصول لتلك المناطق وابرازهم بشكل متحضر .

رابعاً: خطابات ملوك بلاد الصقالبة للعرب:

ظهرت الأنشطة التجارية العربية الإسلامية مع سكان بلاد الصقالبة[53] منذ القرن الثالث الهجري حيث وصل عدد منهم لدار الإسلام كما وصل التجار العرب المسلمون إلى أسواق بلاد الصقالبه ونتج عن ذلك نشوء علاقات سياسية [54].وتبادل وفود وسفارات بين الخلفاء العباسين ملوك بلاد الصقالبه. وتشير المصاد الإسلامية إلى أن ملك الصقالبة آلمش بن بلطور إرسل للخليفة المقتدر بالله (295- 320هـ/ 907- 932م),[55] سفيرا يطلب منه في خطابه أن يبعث إليه من يفهمه في الدين ويعلمه الشرائع الإسلامية ويبني مسجداً منبراً وقد وافق الخليفة على ذلك واجاب طلبه مما يدلل على ذلك قمة التواصل الديني والحضاري بين ملوك الصقالبة وخلفاء بني العباس. وقد أشار ملك الصقالبة إلى العرب المسلمين في خطابه يقوله:» رأيت دولة الإسلام مقبلة وأموالهم يؤخذ من حلها, فالتمست ذلك لهذا العلة, ولو أني أردت أن أبني حضا من أموالى لما تعذر ذلك علي وإنما تبركت بمال أمير المؤمنين»[56]. وهذه الخطاب يحمل في طياتها قيمة العرب عند ملوك الصقالبة وما يمثله المسلمين في نظرهم حيث أطلقوا على العرب المسلمين دولة الإسلام بما يمثلة بهذه المسمى من أجلال واحترام لهذا الدين وتبعيه لدولة الإسلام كما سعى إلى تكوين حلف عسكري مع العرب المسلمين.

خامساً: شهادات القادة الأساقفة الرومان عن العرب المسلمين:

وتطورت العلاقة بين العرب والرومان «البيزنطين»[57] بعد ظهور الإسلام وتباينت تلك العلاقه وفق الصورة التى رسمها كل طرف عن لآخر مما نتج عن ذلك تباين العلاقة في السلم والحرب[58]. إلى العصر العباسي[59]. وفي أثناء استقرار تلك العلاقة كان هناك تبادل في السفارات والزيارات الدبلوماسية بين البلدين حيث كان البيزنطيون يستقبلون السفراء العرب بمسمى «الأصدقاء»[60] وتقدم لهم الهدايا لتعزيز لعلاقة فيما بينها دولياً. وعندما بدأ الإحتكاك الإسلامي البيزنطي دبلوماسياً عبر الرسالة التي بعث بها رسول الله ﷺ ثم ما لبث أن تطور الأمر إلى احتكاكات عسكرية وحروب[61] وصراعات مريرة يعقبها استقرار نوعا ما ولعل ذلك

دفع بالخليفة عمر بن عبدالعزيز إلى تعليم عشرة من العرب المسلمين اليونانية حتى يستطيعون مصاحبة السفارة[62] البيزنطية القادمة وفهم لغتهم ولذا عندما وصلت تلك السفارة ودخلت إلى الجامع الأموي سقط السفير البيزنطي مغشياً عليه وعندما آفاق سئل عما أصابه فأجاب قائلاً:» أنا معشر رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل فلما رايت ما بنوا علمت أن لهم مدة سيبقونها لذلك أصابني ما أصبت»[63]. وقد كتب بطريك القسطنطينية نيقولاً ميستيكوس nich olas mysicas في النصف الأول من القرن العاشر إلى أمير اقريطش «كريت» واصفاً الأمبرطور ليو الثالث يقوله:» ذو عقلية عربية». وقد ذكر في خطابة ما يلي:» .... أن دولتي العرب والروم ظاهرتا على العالم كله وهي تمتازان وتتألقان كالشمس والقمر ولهذا لا مندوحة لنا في أن تعيش معاً كأخوة علي الرغم من اختلاف الطبائع والعادات والدين»[64].

لقد أفصح الأسقف عن الصورة التي رسمت للعرب بكل حيادية وإنصاف حيث تساوت مع الروم في القوة والحضارة والعلوم وامتازوا به من تعامل فريد ويفصح عن العقلية العربية الفذة وعلى الرغم بأن البيزنطيون ينظرون للعرب نظره دنيا فهم مجرد بدو أعداء يغيرون على أراضيهم ويجب إيقاف توسعاتهم وقد علق ry dwn منتصر عربي بقوله:» لقد نظر البيزنطيون للعرب بوصفهم أعداء وإن ديانتهم بغيضة لكن عندما يصبح العربي مسيحياً ويخدم الأمبرطورية المسيحية بإخلاص ترتفع مكانه ونفوذ العربي». وعلى الرغم من وجود عناصر أجنبية تقيم في الأراضي المسيحية البيزنطينة إلا أنهم لم يستسيغ وجود فكرة عناصر عربية تكون لها مكانه ونفوذ في القصر الأمبراطوري ولذا كانوا يلقبونهم بعدة القاب منها: «شيطان متخفي في هيئة بشرية», «قرين ليو الشرير», « خائن قذر»[65]. كما وصفوا العرب بعدد من النعوت كا البدو ,الأعداء,الشياطين, الخيانة وغيرها ,توضح مدى الحقد الذي كان يخفية البيزنطيين ضد العرب, وذلك لما وصل إليه العرب من تفوق وبراعة وحضارة تفوق الوصف وبالرغم من ذلك إلا أن العربي نظر إليهم بأنها من أقوى الدول العظمى لها حضارة عريقة وانتصارات عسكرية واسعة[66]. ولكن بعد الانتصارات العسكرية التي حققها العرب المسلمون وضم البلاد إلى النظام الإسلامي ونشر العدالة وتحرير الظلم والقضاء على الفساد والتخريب زاد في أهمية العرب وتغيرت النظرة البيزنطية للعرب ولذا يقول أحدهم :» كان يمكن أن تعمى فتوح العرب أبصارهم وأن يقترفوا المظالم ويسيئوا معاملة المظلومين ويكرهونهم على اعتناق دينهم ..... لكن العرب اجتنبوا ذلك قفد أدرك الخلفاء السابقون..... أن النظم والديانات ليست مما تعرض قسراً فعاملوا أهل المناطق بلطف تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم فالحق أن الأمم لا تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحاً مثل دينهم». ويقول الاسقف يوحنا النقيوسى الأرثوذكسي شاهد عيان على الفتح الإسلامي:» لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا واديرتنا بقوة وقسوة دون شفقه ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من الرومان ويتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية ولم يأخذوا شياً من أموال كنائسنا وعشنا بسلام»[67]. ونتيجة لدور الفعال الذي لعبة العرب المسلمون في المناطق التي ضمت إلى حوزة الديار الإسلامية والتعامل الحسن الذي يدعو إليه هذا الدين تغيرت الصورة النمطية عن العرب المسلمون في نظر المسلمين لذا ورد اسم العرب في عدد من المسميات طبقاً للحالة الدينية التي كان عليها العرب المسلمين ومن أهمها:

(الإسماعلية): نسبة إلى أبناء النبي إسماعيل عليه السلام.

(المهاجرين): أبناء السيدة هاجر[68].

(سارا قينوس): نسبة إلى أنهم عبيد لسارة وطعناً منهم على هاجر وأبنها إسماعيل وأنها كانت آمه لسارة[69].

(السراقفة): وهما مشقا من كلمتين هما الشرق والشرقيين, ويعتقد الأخر تفسير لهذا الكلمة أنها مشقة من اسم السيدة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام[70].

يعتبر لفظه العرب السائدة عن الروم وهذا ما ورد في رسالة نقفور[71] إلى خليفة المسلمين هارون الرشيد ورد فيها:» من تقفور ملك الروم إلى هارون[72] ملك العرب..... إلا السيف وبينك». وقد يفهم من رسالة نقفور إلى هارون الرشيد الاعتراف بمكانة العرب وأنه ملك للعرب وتحدية الذي لم يكن في مستوى التحدي لمعرفتة السابقة بقوة العرب المسلمين وكان أجابة هارون اسرع وواضحه حيث أصدر أوامرة بالحرب مما اضطر إلى دفع الجزية وطلب الصلح مع المسلمين. ويستمر طلب الصلح مع العرب المسلمين اعترافاً بالمكانه البارزة ولقيمة العرب في نظر العالم كله انذاك وهذا ما دفع ملك الروم ايضا وهو توفيل بن ميخائيل لأرسال رسالة إلى الخليفة المامون (216هـ- 831م) مع سفيرة يوحنا لكن كان أسلوب الرسالة لم يرضى الخليفة[73] بل أغضبة حيث بدأ بنفسة قبل المأمون فرد عليه المامون بكتاباً مضمونة التوبيخ[74] إلا أنه أدرك خطاه فقدم رساله أخرى اعتذار منه وقدم اسم الخليفة ووصفه بالمجد قائلاً:» لعبدالله غاية الناس في الشرف, ملك العرب, من نوفيل بن مخائيل ملك الروم».

إلا أن الخليفة رفض قبول العرض وأصر على قتاله[75] ويتضح من خلال ما ورد تفاوت نظرة الروم البيزنطين للعرب حسب مصلحتهم التي تحدد استمرار العلاقة أو عدمها, على الرغم من التفوق الغير محدد الذي امتاز به العرب المسلمون في كافة المستويات والأحوال مما دفع العالم العربي آنذاك تكوين علاقة وطيدة لضمان استمرارية وتبادل مصالح بين البلادين.

الخاتمة :

نحمد الله ونستعينه في إنجاز هذ ا البحث فانة من خلال ما ورد فية من كتابات غير العرب عن العرب في القرون الثلاثة الهجرية الأولى يكشف عدد من النتائج التي أظهرت العرب بعدد من المسميات والالقاب حسب ما تقضية المصالح والعلاقات الدولية ومن أهمها ما يلي :

تفاوتت الصورة النمطية عن العرب في الكتابات الغير عربية ما بين التشوية والتحامل والجحود والعرفان وذلك نتيجة التغيرات التي حدثت في الجزيرة العربية بظهور الدين الاسلامي وقوتهم .

تعدد المسميات والألقاب المقيتة كا « البدو , الوحوش , أعداء , أكالين الضباب والسحالي , الجهلة « التي رسمها الفارسيون نتيجة التراكمات التاريخية والثقافية دفعتهم الى معادة العرب بعد أسقاط مجدهم الفارسي

الرؤية الصينية للعرب و التي تميز بها الأباطرة الصينيين عن العرب كشعب تجاري فاطلقوا عليهم عدد من الألقاب « داشي , باشي , مدنيا ,العرب « مما نتج عن ذلك تعدد السفارات والزيارات لتعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية مما عزز من مكانه العرب في مختلف المجالات

صورت الكتابات الهندية العرب بشكل يتجلى فيه فضل العرب حضاريا وثقافيا علي بلاد الهند في كافة النواحي .

النظرة الحيادية للأساقفة الرومان للعرب المسلمين حيث جعلوا العرب كالروم في الهيمنة والقوة والسيطرة علي العالم تعكس مدي عدالة الإسلام ورحمته في التعامل السلمي مع غير العرب

تسليط الضوء علي مكانة العرب لدي البيزنطيون عامة حيث تعددت المسميات طبقا للنشاط الحربي والمكانة الدينية والتي كان لها دور كبير في تفاوت الصورة النمطية للعرب

تعدد وتفاوت الصور النمطية عن العرب والألقاب والمسميات وتنوعها وتطويع ذلك حسب المصالح الاقتصادية والهيمنة العسكرية والوضع الديني مما يعطينا فكرة جلية عن النوايا وخفايا العلاقات الدولية لمحاولة تفادي ذلك مستقبلا.

التوصيات :

توصي الباحثة لأهمية هذا الدراسة اجراء مزيد من الأبحاث والدراسات التاريخية عن صورة العرب عند الأجانب وتتبع جذوره ودور الإسلام في إرساء دعائم العلاقات والاتفاقات العربية وغير الغربية.

الهوامش:

(1) منذر عبدالكريم البكر, من ملامح الحس القومي عند العرب قبل الإسلام, مجله المؤرخ العرب, (ع 29), السنة (12), بغداد (1406ه- 1986م), ص: (131).

(2) ناصر خسرو علوي, سفر نامه, ترجمة: يحي الخشاب, الهيئه العامة للكتاب, القاهرة, (1993م), ص:(110).

(3) المسعودي» ابو الحسن على بن الحسين « مروج الذهب ومعادن الجوهر, المكتبة العصرية, بيروت, (ج:1, ط:1), (1425هـ- 2005م), ص: (195), حسين مجيب المصري: الصلات بيت العرب والفرس والترك (ط: 1), الدار الثقافية للنشر, القاهرة, (1421هـ- 2001م), ص: (15, 23, 26).شيخه عبيد الحربي,الابعاد العدائية والسلمية لعلاقة الفرس مع العرب – دراسة تاريخة .مجلة الجمعية التاريخية, ع: (38), السنة التاسعة عشرة, الرياض, (1440هـ2019-م).

(4) ابن خلدون «عبدالرحمن بن حمد,» تاريخ ابن خلدون, (ج:2), دار الكتب العلمية, بيروت, (1971م), ص: (398), تهذيب تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري «, تاريخ الأمم والملوك, , (ط: 1), مكتبة جرير الورد , القاهرة (2017م), ص: (208).

(5) ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل, البداية والنهاية, للمحقق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي, (ج:9), مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية, دار هجر, القاهرة (1418هـ- 1419هـ), ص: (226), عبدالله الغريب ,وجاء دور المجوس الأبعاد التاريخيه والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية, د.م, (1402هـ), ص: (42).

(6) الثعالبي: أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل, غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم, مكتبة الاسدي , طهران, (1900م), ص: (-738 739), ابن كثير,» ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري « البداية والنهاية, درا هجر , القاهرة , 1407ه, (ج:9), ص: (-621 623), نورة الظويهر, الابعاد التاريخية لعداء الفرس للعرب من ظهور الاسلام وحتي العصر العباسي, مجلة العصور, مج (17,ع: 2), الجزائر, (2018م), ص: (37-36).

(7) وقد ورد أن الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة رد عليه بقوله:» إن قتله بعد قضاء وطره ونيل أمنيته خير أمن موته جوعاً» وقد تعلمت من قوة جوابه وعلم العرب وعزتهم وقوتهم في مقابله العجم, الثعالبي, غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم , ص: (740).

(8) جويا بلندل سعد, صورة العرب في الأدب الفارسي الحديث, ترجمة صخر الحاج حسن, شركة قدمس, بيروت, (2008م), ص: (18).

(9) يوسف بوحله, تاثير الأدباء الفرس بالأدب العربي في القرن الإسلامية الأولى, رسالة ماجستير, كلية الآداب, الجزائر , (-2006 2007م), ص: (46).

(10)أحمد أمين: ضحي الإسلام, هندواي, القاهرة, (2012م), ص: (53).

(11) عبدالعزير الدوري, الجذور التاريخيه للشعوبية, ط: (3), دار الطليعة للنشر, بيروت, (1981م), ص: (45).

(12) عبدالعزيز الدوري, المرجع نفسه, ص: (-62 66).

(13) قائد ذو أصول تركية أسمه حيدر بن كماوس كان والدة ملكاً من ملوك أشروسنة أعلن اسلامة في دار الخليفة المامون استطاع القضاء على ثورة بابك الحزمي.... قائد في جيش الخليفة المعتصم, توفي سنة (226هـ- 841م), وكان اسلامة سطحياً اكتشف أمرة وقد كان يحمل العداء والضغينة للمسلمين واتمو من الإسلام وسيله للوصول إلى اهدافه.

(14) سارة محمد التميمي, الأقشين حيدر بن كماوس (ت: 226- 841م), سيرته ودورة السياسي والعسكري في العصر العباسي الأول, , مجله الدراسات الاسلامية, السنة الثانية, ص: (2), ع: (8) العراق ,(2020م-1442م). ص: (3- 9- 10- 11)

(15) هو بشار بن بُرد بن بهمن بن أذركند بن بيبرسان وهو من الموالي من أنباء الفرس فهو مولى لبني عقيل بن كعب بن عامر وقع أبوه في السنتي المهلب في وراء النهر سنة (80هـ), واصله من كاخزستان كان برد طياناً ولد بشار عند العُقيليه واعتقته لقد موت أبيه برد فصار مولى عُقيل وتكسى أبا معاذ ويلقب بالمرعث توفي سنة (168), وقيل: (166), محمد الطاهر ابن عاشور, ديوان بشار بن رد, ج: (1), مطبعة لجنة التاليف, القاهرة, (1369هـ- 1950م), ص: (-3 9).

(16) من بلغاء أصفهان وكان من رستاق حتى قرية إسيجمان خرج للعراق وكتب للمتوكل ثم صار من ندمائه فسمي المتوكل.

(17) ياقوت الحموي «شهاب الدين أبو عبدالله «, معجم الأدباء, إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب, ج: (1),

(18) تحقق: إحسان عباس, دار العرب الإسلامي, بيروت, ط: (1), (1414هـ- 1993م). ص: (128).

(19) وهي بلاد واسعة في المشرق ممتدة من الأقلم الأول إلى الثالث كثيرة المياه والأشجار ووفرة الثمرات. الصين: أرضها طويلة عريضه تشمل كل الأقاليم السبعة يقال أن فيها (300) مدينة عامرة يمتاز أهلها باسم أحسن الناس سياسية وعلو واحذقهم في الصناعات والنقوش والتصوير, لم يسمون الصينين بلادهم بالصين بل اختلفوا عليها أسماء منها (تبان- هوا) بمعنى ثمن السماء أو زهاي بين الثمار الأربعة أو (جونج- جو), بمعنى الدولة الوسطى, أو (جونج- هو- جودو) الودح الوسطى الوسطى الزاهرة أو (جولنج- هوا- مين- جودر) بمعنى مملكة الشعب الوسطى الزاهرة.

(20) البكري القرشي «سراج الدين ابن الوردي البكري» ,فريدة العجائب وفريدة الغرائب, المحقق :أنور محمد زناتي, مكتبة الثقافة الإسلامية, القاهرة, ط» (1), (1428هـ_ 2008م), ص: (25).

(21) ول ديوانت, قصة الحضارة, الشرق الأقصى- الصين-, (جـ4:), (ص: 2) ترجمة: محمد بدران, جامعة الدول العربية, تونس, د.ت, ص: (12). القزويني: «زكريا محمد», إثار البلاد واخبار العباد, دار صادر, بيروت, دت, ص: (53- 54).

(22) رفعت عبدالله سليمان حسين, العلاقات الأيرانية الصينية من خلال المصادر الفارسية العربية, الموتمر الدولي الرابع, كلية الاداب, جامعة قناة السويس, القاهرة, (2012م), ص: (11).

(23) طارق فتحي سلطان: العرب والصين في القرن الوسطى- درسة سياسية حضارة, رسالة ماجستير, كليه الأداب, جامعة الموصل, الموصل (1975م), ص: (236).

(24) أطلق هذا اللقب على عرب قبيلة طيء لأن الفرس يعتبرون طيء تمثل العالم العربي- رفعت عبدالله سليمان حسين, العلاقات الإيرانية الصينيه من خلال المصادر الفارسية, العربية, ص: (11).

(25) محمود أحمد محمد قمر: دراسات في تاريخ الحياة الثقافية للاقلية المسلمة في الصين, المؤتمر الدولي الرابع, كلية الأداب, جامعة قناة السويس, القاهرة, (2012م), ص: (86).

(26) مهند عبدالواحد الندواي: الصين والعرب قراءة في المصالح الصينية في المنطقه العربية, كلية العلوم, الجامعة المستنصرية, العراق, د. ت, د. ص.

(27) كان أول خبر وصول الإسلام إلى الصين من خلال رسالة وهب أبي كبشا في العام السادس من الهجرة من قبل خليفة المسلمين ومنذ ذلك التاريخ ثم الإتفاق على بيناء أول مسجد في مدينة كانتون بأمر من خاقان الصين عام (9), من الهجرة النبوية, رفعت عبدالله سليمان حسين, العلاقات الأيرانية الصينية من خلال المصادر الفارسية والعربية, ص: (11).

(28) فهمي هويدي: الإسلام في الصين, عالم المعرفة, الكويت (1998م), ص: (29).

(29) عادل إسماعيل خليل, العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين العراق وبلاد الصين منذ صدر الإسلام وحتى نهاية القرن (4هـ), مجلة دراسات تاريخيه, (ع: 17), بغداد, (2014م), ص: (-174 175).

(30) محمد حسن محمد حمد, الإسلام في الصين, رساله ماجستير, كلية الأداب, جامعة الخرطوم, الخرطوم, (2006م), ص: (27).

(31) يكثروا المسلمين في مقاطعات كانسو وهو تان وشانتونج, وهابي, ويلقب مسلموا سينكانج بمسلمين العمامة, رفعت عبدالله سليمان حسين العلاقات الإيرانية الصينية من خلال المصادر الفارسية والعربية, ص: (11).

(32) قومية (هوى هوى) أو (الخوى) قومية رئيسية فاعلة في الثقافه الصينية وإسلافها من العرب المسلمين ويرى العقاد سبب التسميه يرجع إلى جيش قتيبة بن مسلم حيث أجزل له العطاء الإمبرطور الصين وإذن له بالبقاء فسموا باسم القبيلة التي كانت إلى جوارهم وهي قبيلة (هوى شوى) ولا يزال المسلمون يعرفون باسم (هوى هوى). محمد حسن محمد حمد, الإسلام في الصين, ص: (104).

(33) بدرالدين, د. ل, حي, تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر, دار الإرشاد, بيروت, (1394م), ص: (-16 17), وأن لي حي, أول سجل رحلات صيني إلى العالم العربي, ترجمة: ماريه المنجد, مركز الملك فيصل, الرياض, (2017م), ص: (38).

(34) على فرحان زوير, السفارة في الدولة العربية الإسلامية, الصين نموذجاً, مجلة كلية التربية للعلوم الإسلامية (45ع), بغداد (2019م), ص: (331).

(35) فهمي هويدي, الإسلام في الصين, ص: (42), وأن لي, أول سجل رحلات صيني إلى العالم العربي, ص: (-38 39).

(36) يحتمل بإن يكون هذا الوفد الذي وصل إلى الصين لم يتخذ صفه رسميه وربما كان من التجار الذين يجوبون الخليج العربي, والبحر العربي. طارق فتحي سلطان, العرب والصين القرن الوسطى, ص: (219).

(37) طارق فتحي سلطان, العرب والصين القرن الوسطى, ص: (219).

(38) مجاهد توفيق الجندي, الرحلة العلمية الصينية, الموتمر الرابع, جامعة قناة السويس, القاهرة, (2012م), ص: (438).

(39) اسهمت السفارات في توحيد الجانب السياسي وتتجلي ذلك في أسرة تانغ الصينية الحاكمة التي استنجدت بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور للقضاء على ثورة داخلية فارسل لهم وحدات جيش من المسلمين ونجح في استرجاع عرش الأسرة الصينية مما أدى إلى توحيد العلاقات الصينية العربية واسهمت في غرس بدور سلالة العرب في الصين.

(40) سفيان عثمان المقرمي, السفارة العربية الإسلامية في العصر العباسي(132- 656هـ/ 750- 1258م), مجلة كلية الأداب, جامعة اسيوط, ع (41) القاهرة (2012), ص: (238), طارق فتحي سلطان, العرب والصين في القرن الوسطى, ص: (239).

(41) بدر الدين ول. حى, تاريخ المسلمين في الصين, ص: (17).

(42) يوسف صقر, العلاقات بين الدولة العباسية والصين في العصرين الأول والثاني, المكتبة العصرية ,القاهرة, (2011م), ص: (د.ص).

(43) عادل إسماعيل خليل, العلاقات السياسية والأقتصادية الثقافية بين العراق وبلاد الصين, ص: (182).

(44) إياس سالم سليمان أبو حجير, المسلمون في الصين (-131 769هـ/ -748 1367م), رسالة ماجستير , الجامعة الإسلاميه, فلسطين, (1430هـ/ 2009م), ص: (-38 58).

(45) طارق فتحي سلطان, العرب والصين في القرن الوسطى, ص: (219).

(46) يتكون اسم الهند من كلمة سند هو الاسم الهند لنهر الأندوس وهو نهر السند واشتقت منه كلمتان هما:» آند وهند» ومعناها: الأرض التي تقع وراء نهر الأندوس حيث أصبح يعرفون سكان هذا الأقليم بالهندوس أو الهنود أو الهندو سكان وهي تسمية فارسية تعني أرض الأنهار, عبدالمنعم النمر, تاريخ الإسلام في الهند, ط: (1), المؤسسة الجامعية, (1401هـ), ص: (17), أحمد محمود الساداتي, تاريخ المسلمون في شبه القارة الهندية وحضارتهم, ج: (1), مكتبة الأدب, القاهرة (1957م), ص: (1).

(47) بدأ ظهور العرب في الهند منذ السنة الأولى للهجرة (637م), فقد خرجت اساطيل عربية من عمان والبحرين إلى مصاب نهر السند وكما أدى ملك كابل الجزيرة للعرب (664م), وفتح جيش العرب مملكة السند, سنة (711م), واستطاع الغزنويون فتح الهند, سنة (100م), واستولوا نهائي على السند وكشمير والنيجاب, ولا هور, وأجمير. غوستاف لوبون, حضارة العرب, ترجمة: عادل زعير, هنداوي للنشر , القاهرة, (2012م), ص: (201).

(48) نعني بالهند «شبه القارة الهندية» والتي تعنى جغرافياً باكستان والهند وبنجلاديش والبنجاب وبلاد الهند وسميت بالقارة لأنه تنزل عن بقية بلاد آسيا وجاجز جيلى شاهق ,جبال الهمالايا, سلمة فردوس سهول وخالق دار ملك, تاريخ صلات بلاد العرب ببلاد شبه القارة وتنوعها, مجلة القسم العربي, جامعة البنجاب, ع: (26), باكستان (2019م), ص: (171).

(49) سليمان التاجر, عثمان الدين وقياس البلدان, المحقق: سيف شاهين المريخي, ط: (1), قطر (1426هـ/ 2005م), ص: (8).

(50) وقد ذكرت بعض المصادر من أن أهالي مملكة الراشتواكوت يزعمون أن أعمار ملوكهم تطول وفقاً لاكرامهم للعرب وهذا المغزى الاقتصادي نظر لما يجلبه تجار العرب من أرباح لهم, محمد نصر عبدالرحمن, الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى, الهيئة العامة للكتاب, الفاهرة, دت ,ص: (118).

(51) محمد نصر عبدالرحمن, الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى, ص: (-63 72).
(52) أحمد محمود الساداتي, تاريخ المسلون في شبة القارة الهندية, ص: (-97 98).
(53) أحمد محمود الساداتي, تاريخ المسلمين في شبة القارة الهندية وحضارتهم, ص: (99), جواهر لال نهرو, اكتشاف الهندد, ج: (1), ترجمة: جتكر, وزارة الثقافة, دمشق, ط: (2), (2011م), ص: (320).
(54) غوستاف لوبون, حضارة العرب, ص: (201).
(55) صلاح البكري اليافعي, تاريخ حضرموت السياسي, ج: (1),ط(1)ا, المطبعة السلفية, القاهرة, (1354هـ), ص: (45).
(56) غنية ياسر القيسيى, أثر الإسلام على النهضة الفكرية في جنوب شرق أسيا في العصور الإسلامية المتاخرة, رسالة ماجستير, كلية التربية للبنات, بغداد, (1423هـ/ 2003م), ص: (20).
(57) سيد محمد منور نينار, تأثير اللغة العربية في لغات الهند, ترجمة: عبدالرشيد الندوي, ط1, وزارة الثقافة والفنون, قطر, (2011م), ص: (12).
(58) فياض أحمد زعيان, الجذور التاريخية للصلات التجارية بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الهند والسند, مجلة الملوية لدراسات الأثرية, مج (6), ع: (18), العراق, (2019م), ص: (306).
(59) خولة شاكر الدجيلي, مظاهر الحياة الاجتماعية في الهند في العصور الإسلامية, مجلة كلية التربية,ع: (1), بغداد, (2006م), ص: (80).
(60) الصقالية: جبل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون بلاد الجزر في اعالى جبال الروم والصقالبه بلاد بين بلغار وقسطنطينية وتنسب إليهم الحزم الصقالبة. قوت الحموي, معجم البلدان, مج (3), : (416).
(61) شارك الصقالية في الجيش الأموي ويذكر يثو فانس في حوليانه أحداث, سنة (44هـ- 664م), هروب مجموعة من الصقالبة في صفوف البيزنطين وإنتقاماً لهم إلى قوات المسلمين أثناء القتال للمزيد.
(62) أمجد ممدوح محمد الفاعوري, دور العناصر غير عربية في الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي, المملكة الأردنية للتاريخ والأثار, مج (8), ع (3- 4), الاردن , (2014م), ص: (6).
(63) كان السفير عبدالله بن باشتو الخرزى كان عالماً باللغة العربية حتى يسهل للخليفة وصول الخطاب وفهمة.
(64) سيــف شاهــين المريخي, العلاقات التجارية بين الصقالبة والعرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجري, التاسع والعاشر البلادين, مجلة مركز الوثايق والدراسات الإرشادية, (14ع), قطر, (2002م), ص: (1663).
(65) أحمد بــن فضلان بن العباس بــن حماد, رسالة ابــن فــضلان, حققها: سامي الدهان, المجمع العلمي العربي, دمشق, د. ت, ص: (-23 -68 -69 146), ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج: (3), ص: (486).
(66) كلمة بنزنطة أو بيزنطي لقب مميز للأمبرطورية في روما الجديده التي تم يبشع االستخدامة حتى عصر النهضة الأوربية الغربية لكن في حقيقة الأمر هي امبراطروية رومانية امتدت من نهاية القرن (3), وحتى القرن (7م) للمزيد. وسام عبدالعزيز فرج, بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي الإداري, عين لدراسات والبحوث, القاهرة, ط: (1), (2004م), ص: (7-5).

(67) سليمان الرحيلي, السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية, مكتبة التوبة, الرياض, (1414هـ), ص: (-49 50).

(68) دار الصراع البيزنطي العباسي حول مناطق سلاسل جبال طوروس والتي تبدأ من الفرات وحتى حدود قليقية, بشير عثمان شيحه, العلاقات الإسلامية البيزنطية في العصر العباسي الأول, رسالة دكتوراه, أم درمان, السودان, (1430هـ- 2010م), ص: (-12 13).

(69) نورمان بينز, الإمبرطورية البيزنطية, ترجمة حسن مؤنس و محمود يوسف زايد, لجنة التأليف والترجمة, القاهرة, (1950م), ص: (365).

(70) عمر يحي محمد, البيزنطيون العرب (-641 711م/ -20 93هـ), المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, (2009م), ص: (51).

(71) تجدر بالإشارة أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز أرسل سفارة إلى الأمبرطور البيزنطي ليو الأسورى في أخر من مصالح المسلمين وبالرغم من أن المصادر البيزنطية حمت عن هذه الزيارة إلا أنه من المحتمل إرسلت يهدف أقتداء اسرى مسلمين أو لزيارة المسجد.

(72) طارق منصور, بيزنطية والعالم الخارجي, ج: (1), مصر, العربية للنشر, القاهرة, (2003م), ص: (114).

(73) بشير عثمان شيحة, العلاقات الإسلامية البيزنطية في العصر العباسي الأول, ص: (50).

(74) نورمان بنيز, الأمبروطورية البيزنطية, ص: (364).

(75) عبدالعزيز رمضان, ساسية بيزنطية التنصيرية تجاة العناصر العربية المسلمة من القرون (-7 11م), مركز البحوث للدراسات التاريخية, ع: (7), القاهرة , (2007م), ص: (133).

(76) طارق منصور, بيزنطية والعالم الخارجي, ج: (1), ص: (-27 28).

(77) mukhamad hadimusn su bagio,rido uwai hasan surur , التسامح الإسلامي في الفتوحات الإسلامية فتح مصر نموذجاً urnal llmiah lslam futura vol, 20, no. 2, zozo, p. 137.

(78) عبدالعزيز رمضان, سياسية بيزيطة التنصيرية, هامش (33) ص (139).

(79) المسعودي: «أبي الحسني علي بن الحسين المسعودي», التنبة والإشراف, حققه: عبدالله الصاوي, دار الصاوي نشر, القاهرة, د. ت, ص: (143).

(80) عبدالعزيز رمضان, سياسيية بيزنطية النتصرية تجاة العناصر العربية المسلمة, ص: (150), هامش (119).

(81) يعتبر نقفور من ولد جفنة من غسان ممن تنصر أباؤه, وقيل من أياد المتنصرة الذين دخلوا أرض الروم من بلاد الجزيرة في خلافة عمر بن الخطاب تولى حكم الأمبرطورية واهتم بتدعيم اقتصادها واتفاذ الخزانة من الأفلاس وأصلاح الأوضاع وأخرج عن الأسرى المسلمين. محمد ناصر الملحم, العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد, مجلة جامعة أم القرى, ع: (20), مكة , د. ت, ص: (11).

(82) ابن الفراء «أبي على الحسين بن محمد», رسل الملوك ومن صلح للرسالة السفارة, حققة: صلاح الدين المنجد, مطابع الجنه التأليف, القاهرة, (1366هـ- 1947م), ص: (41).

(83) خضعت المراسلات الدبلوماسية إلى قواعد واسس مستخدمة أساليت في كتابه آدب الرسائل وصياغتها ويرتبط ذلك بتقدم الحضارة العربية الإسلامية وارتفاع شانها بين الدول المجاورة ولذلك لابد من ذكر

اسم الخليفة فما يدل على قوة شان الخليفة وبيان مركزة السياسي والرئيسي. طه خضير عبيد, رنا صلاح طاقة, المراسلات والهدايا بين العباسين والبيزنطين, مؤته لدراسات والبحوث, مج (20), ع: (6), الأردن, (2005م), ص: (133-132).

(84) ابن كثير» أبو الفداء إسماعيل بن عمرو الدمشقي», البداية والنهاية, ج (1), حققه: على شيرى, دار أحياء التراث, ط: (1), بيروت (1408هـ- 1988م), ص: (-295 297).

(85) جاسم أوحي, العلاقات السياسية والثقافية بين الدولة العباسية والدولة البزنطية في عهد الخليفة المامون (-198 218هـ- -318 833م), jour nat of lsiamic resra rch, lslamic univers ty euv- ope, zollm, py7 , سليمان الرحيلي, السفارة الإسلامية إلى الدولة النبزنطية, ص: (69).

المصادر والمراجع:

أولا : المصادر العربية :

(1) **ابن الفراء:** (أبي علي الحسين بن محمد)، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، المحقق: صلاح الدين المنجد، مطابع لجنة التأليف، القاهرة، (1366هـ- 1947م).

(2) **ابن خلدون:** «عبدالرحمن بن محمد «، تاريخ بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، (1971م).

(3) **ابن كثير:** عماد الدين أبي الفداء إسماعيل, البداية والنهاية, للمحقق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي, (ج:9), مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية, دار هجر, القاهرة (1418هـ- 1419هـ)

(4) **البكري القرشي:** (سراج الدين ابن الوردي البكري)، خربدة العجائب وفريدة الغرائب، المحقق أنور محمد الزناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية, القاهرة، ط: (1)، (2008-1428م).

(5) **الثعالبي:** (عبدالملك بن محمد بن اسماعيل)، غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، مكتبة الاسدي, طهران, (1900م).

(6) **الطبري:** (أبي جعفر محمد بن جرير الطبري)، تهذيب تاريخ الطبري- تاريخ الأمم والملوك، مكتبة جرير الورد، القاهرة، (2017م).

(7) **الغزويني:** (زكريا محمد)، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، د. ت.

(8) **سليمان التاجر:** عجائب الدنيا وقياس البلدان، المحقق: سيف شاهين المريخي، مركز زايد للتراث والثقافة، قطر، (1426هـ- 2006م).

(9) **المسعودي:** (أبي الحسن علي بن الحسين)، التنبيه والإشراف، المحقق: عبدالله الصاوي، دار الصادر للنشر، القاهرة، د.ت.

(10) **المسعودي: «أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي», مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية بيروت، ج: (1)، ط: (1)، (2005-1425).**

(11) بن حماد: (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد)، رسالة بن فضلان، المحقق: سامي الدهان، المجمع العلمي العربي، دمشق، د.ت.

(12) **ياقوت الحموي:** (شهاب الدين أبو عبدالله) معجم الأدباء- ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج: (1)، المحقق: إحسان عباس، دار العرب الإسلامي، بيروت، (1393-1414م).

ثانيا : المراجع العربية والمعربة:

(1) **أحمد أمين:** ضحى الإسلام، هنداوي للنشر، القاهرة، (2012م).

(2) أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمون في شبه القارة الهندية، ج: (1)، مكتبة الآداب، القاهرة، (1957م).

(3) امجد محمود محمد الفاعوري: دور العناصر غير العربية في الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج (8),ع: (4-3)، الأردن، (2014م).

(4) أياس سلم سليمان أبو حجير: المسلمون في الصين (769-131هـ/ 1367-748م)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية فلسطين، (1430هـ - 2009م).

(5) بدر الدين ول حي: تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، دار الإرشاد، بيروت، (1394م).

(6) بشير عثمان شيحة: العلاقات الإسلامية البيزنطيه في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه ، جامعة أم درمان، السودان، (1430هـ- 2010م).
(7) جويا بلندل سعد: صورة العرب في الأدب الفارسي الحديث، ترجمة صخر الحاج حسين، شركة قدمس، بيروت، (2008م).
(8) حسين مجيب المصري: الصلات بين الفرس والترك، ط: (1)، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، (1427هـ- 2001م).
(9) سيد محمد منور نينارا: تأثير اللغة العربية في لغات الهند، ترجمة عبدالرشيد الندوي، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر, ط: (1 ،2011م).
(10) سليمان الرحيلي: السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، مكتبة التوبة، الرياض، (1414هـ).
(11) ناصر خسرو علوي: سفر نامة، ترجمة يحي الخشاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، (1993م).
(12) عبدالعزيز الدوري: الجذور التاريخية للشعوبية، ط: (3)، دار الطليعة للنشر، بيروت، (1981م).
(13) عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية، د.م، (1402هـ).
(14) عبدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ط: (1)، المؤسسة الجامعية، د,م، (1401هـ).
(15) عمر يحي محمد: البيزنطيون والعرب (93-20هـ/ 711-641م), المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (2009م).
(16) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعير، هنداوي للنشر، القاهرة، (2012م).
(17) صلاح البكري اليافعي: تاريخ حضرموت السياسي، ج: (1)، المطبعة السلفية، القاهرة، 1354ه
(18) طارق منصور: بيزنطة والعالم الخارجي، ج: (1)، مصر للعربية والنشر، القاهرة، (2003م).
(19) فهمي هويدي: الإسلام في الصين، عالم المعرفة، الكويت، (1998م).
(20) محمد نصر عبدالرحمن: الوجود العربي في الهند حتى العصور الوسطى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة, د. ت.
(21) يوسف صقر: العلاقات بين الدولة العباسية والصين في العصرين الأول والثاني، المكتبة العصرية، القاهرة، (2011م).
(22) نورمان بنيز: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، (1950م).
(23) وان لي: أول سجل رحلات صيني إلى العالم العربي، ترجمة مارية المنجد، مركز الملك فيصل، الرياض، (2017م).
(24) وسام عبدالعزيز فرج: بيزنطة، قراءة في التاريخ السياسي والإداري، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، (2004م).

ثالثا : الدوريات والمقالات والرسائل العلمية العربية:

(1) رفعت عبدالله سليمان حسين: العلاقات الإيرانية الصينية من خلال المصادر الفارسية العربية، المؤتمر الدولي الرابع، كلية الاداب, جامعة قناة السويس، القاهرة، (2012م).
(2) ساره محمد التميمي الأفشين حيدر بن كاوس: (ت 226/ 841م), سيرته ودوره السياسي والعسكري في العصر العباسي الأول، مجلة الدراسات المستدامية، مج (2)، ع: (8)، العراق, (2020م).
(3) سفيان عثمان المقرمي: السفارة العربية الإسلامية في العصر العباسي من (656-132هـ/1258-750م)، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط،ع: (41)، القاهرة، (2012م).

(4) سلمة فــردوس سهـــول وخــالق داد ملك: تاريخ صلات بلاد العرب ببلاد شبه القارة وتنوعها، مجلة القسم العربي، جامعة البنجاب، ع: (26)، باكستان، (2019م).
(5) سيف شاهين المريخي: العلاقات التجارية بين السقالبة والعرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية، ع: (14)، الدوحة، (2002م).
(6) شيخه عبيد الحربي: الابعاد العدائية والسلمية لعلاقة الفرس مع العرب, دراسة تاريخية, ع: (38), السنه (19), الرياض, (1440هـ/2019م).
(7) طارق فتحي سلطان: العرب والصين في القرون الوسطى- دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، (1975م).
(8) طه خضير عبيد ورنا صلاح طاقة: المراسلات والهدايا بين العباسيين والبيزنطيين، مجلة مؤته للدراسات والبحوث، مج: (20)، ع: (6)، الأردن، (2005م).
(9) خولة شاكر الدجيلي: مظاهر الحياة الاجتماعية في الهند في العصور الإسلامية ، مجلة كلية التربية، مج: (17)، ع: (1)، بغداد، (2006م).
(10) عادل إسماعيل خليل: العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين العراق وبلاد الصين منذ صدر الإسلام وحتى نهاية القرن الرابع الهجري، مجلة دراسات تاريخية، ع: (17)، بغداد، (2014م).
(11) عبدالعزيز رمضان: سياسة بيزنطة التنصيرية تجاه العناصر العربية المسلمة من القرون (7- 11)، مركز البحوث للدراسات التاريخية، ع: (7)، القاهرة, (2007م).
(12) علي فرحان زوير: السفارة في الدولة العربية الإسلامية- الصين أنموذجا، مجلة كلية التربية للعلوم الأساسية (45)، بغداد، (2019م).
(13) غنية ياسر القيسي: أثر الإسلام على النهضة الفكرية في جنوب شرق أسيا في العصور الإسلامية المتأخرة، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، بغداد، (1423هـ- 2003م).
(14) فياض أحمد زعيان: الجذور التاريخية للصلات التجارية بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الهند والسند، مجلة الملوية للدراسات الأثرية, مج (6)،ع: (18)، سامراء, (2019م).
(15) مجاهد توفيق الجندي: الرحلة العلمية الصينية المؤتمر الرابع، كلية الآداب، جامعة قناة السويس، القاهرة، (2012م).
(16) محمد حسن محمد حمد: الإسلام في الصين, رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، (2006م).
(17) محمد ناصر الملحم: العلاقات السياسة بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد، مجلة جامعة أم القرى، ع: (20)، مكة المكرمة، د.ت.
(18) محمود أحمد محمد قمر: دراسات في تاريخ الحياة الثقافية للأقلية المسلمة في الصين، المؤتمر الدولي الرابع، كلية الاداب, جامعة قناة السويس، كلية الآداب، (2012م).
(19) منذر عبدالكريم البكر: من ملامح الحس القومي عند العرب قبل الإسلام، مجلة المؤرخ العربي،ع: (29)، بغداد، (1406هـ- 1986م).

(20) مهند عبدالواحد النداوي: الصين والعرب قراءة في المصالح في المنطقة العربية، مجلة كلية العلوم، الجامعة المستنصرية، بغداد، د.ت.

(21) نورة ابر اهيم الظويهر: الابعاد التاريخية لعداء الفرس للعرب من ظهور الاسلام وحتي العصر العباسي, مجلة العصور, مج: (17),ع: (2), الجزائر, (2018م).

(22) يوسف بوحلة: تأثير الأدباء الفرس بالأدب العربي في القرون الإسلامية الأولى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجزائر، (2007-2006م).

دولة الأندلس (91 - 897هـ / 711 - 1492)
(دراسة تاريخية تحليلية)

د.علي أحمد عباس محمد أستاذ مساعد-(متعاون)-كلية التربية-جامعة أم درمان الإسلامية

المستخلص:

تناولت هذه الورقة سقوط دولة الأندلس [91 هـ/ 711م، - 897 هـ/ 1492] تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات: متى سقطت الاندلس نهائياً وعلى يد من؟ من هم سكان الأندلس الأصليين؟ من هو القائد المسلم الذي فتح الأندلس؟ ما هو سبب تسمية الأندلس بهذا الاسم؟ هدف البحث إلى التعرف على الأسباب التي أدت إلى سقوط دولة الأندلس. وإبراز دور الحضارة الإسلامية في نهضة وتقدم الدول الأوروبية بالإضافة إلى معرفة موقف ملوك وسلاطين الممالك الإسلامية من سقوط غرناطة، مستخدماً في ذلك المنهج الوصفي التاريخي لسرد الأحداث التاريخية الأحداث التي مرت بها دولة الأندلس حتى سقوطها. وتوصل البحث إلى عدة نتائج منها سقوط طليطلة عام (1085م) بداية الانهيار الحقيقي للحكم الإسلامي في الأندلس. تعتبر مملكة استورياس في جليقية أول الإمارات الفرنجية في شمال أيبيريا بعد الفتح الإسلامي. وبناء على النتائج توصي الدراسة بالوقوف على سمات الفن الأندلسي في شتى المجالات العلمية. ويجب معرفة تاريخ ملوك الطوائف لما له الأثر الكبير في تاريخ الأندلس.

Andalusia state
(91-897 AH 711-1492 AD)
(Analytical historical study)

Dr.Ali Ahmed Abbas Mohammed

Abstract:

This paper dealt with the fall of the Andalusian state [91 AH / 711, - 897 / 1492] The problem of the research is to answer the questions: When did Andalusia fall completely and by whom? Who are the original inhabitants of Andalusia? Who is the Muslim leader who conquered Andalusia? What is the reason for naming Andalusia with this name? The research aimed to identify the reasons that led to the fall of the state of Andalusia. And highlighting the role of Islamic civilization in the renaissance and progress of European countries, in addition to knowing the position of the kings and sultans of the Islamic kingdoms on the fall of Qarnata, using the historical descriptive approach to narrate the historical events that the state of Andalusia went through until its fall. The research reached several results, including the fall of Toledo in the year

(1085 AD), the beginning of the real collapse of Islamic rule in Andalusia. The Kingdom of Asturias in Galicia is the first of the Frankish emirates in northern Iberia after the Islamic conquest. Based on the results, the study recommends examining the characteristics of Andalusian art in various scientific fields. The history of the Tawa kings must be known because of its great impact on the history of Andalusia.

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين، والصلاة و السلام على أشرف المرسلين محمد- صلى الله عليه وسلم اما بعد ، فقد جاء بحثي هذا بعنوان (سقوط الاندلس)، حتى بعد انهيار الدولة الأموية وظهور ملوك الطوائف في الأندلس التي قسمت إلى 22 دويلة اتسمت غالباً بالضعف والتناحر فيما بينها، لم يكن سهلاً على الإسبان إنهاء الحكم الإسلامي في المنطقة، فقد استغرق سقوط الأندلس بالكامل ما يزيد عن 4 قرون بدأت بانهيار طليطلة وانتهت بتسليم غرناطة التي صمدت وحيدة 10 أعوام أمام حملات الإسبان المتتالية. بالرغم من أن سقوط طليطلة عام 1085 كان بداية الانهيار الحقيقي للحكم الإسلامي في الأندلس، فإن بعض المؤرخين يشيرون إلى معركة «مغارة دونجا» على أنها أولى محاولات ما يسمى «حروب الاسترداد".

كان ذلك عام 718، أي بعد 7 أعوام من الفتح الإسلامي للأندلس على يد طارق بن زياد، في ذلك الوقت كانت الأمور مستتبة في الأندلس التي أصبحت ولاية تابعة للخلافة الأموية، وكانت أنظار المسلمين متوجهة نحو استكمال الفتوحات والتوغل في أوروبا. استغل أحد نبلاء القوط، ويدعى « بيلايو»، انشغال المسلمين بحملاتهم على أربونة (في فرنسا) وبلاد الغال، وقاد تمرداً على الدولة الأموية في منطقة أستورياس (شمال غرب إسبانيا)، وقد بدأ تمرده ذاك برفض دفع الجزية وأنهاه بالاعتداء على الحامية الأموية وطرد الحاكم المسلم من المنطقة. وبالرغم من إرسال الأمويين جيشاً بقيادة علقمة اللخمي لقمع التمرد، فإن جيش اللخمي فشل في مهمته ومُني بهزيمة في معركة أطلق عليها اسم معركة كوفادونجا أو معركة " مغارة دونجا» التي نجم عنها تأسيس مملكة أستورياس في جليقية، والتي تعتبر أولى الإمارات الفرنجية في شمال أيبيريا بعد الفتح الإسلامي.

لم تهدأ المناوشات بين الإسبان والمسلمين بعد تأسيس مملكة أستورياس، واستطاع الإسبان الاستيلاء على بعض المناطق في فترات متفاوتة من الحكم الإسلامي، إذ استولوا على بامبلونا عام 748 ثم برشلونة وسنتياغو وليون.

أسباب اختيار موضوع البحث: أهم الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع تتلخص فيما يلي:

تسليط الضوء على يلاد بالأندلس في التاريخ الإسلامي تلك الحقبة الزمنية التي امتدت من فتح العرب لأسبانيا في عام 91 بعد الهجرة، أي 711 ميلادية، حتى سقوط غرناطة في 897 هجرية/ 1492

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات الآتية:

- متى سقطت الاندلس نهائياً وعلى يد من؟
- من هم سكان الأندلس الأصليين؟
- من هو القائد المسلم الذي فتح الأندلس؟
- ما هو سبب تسمية الأندلس بهذا الأسم؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أهمية المكانة التاريخية لدولة الأندلس بما يزيد من أهميته أنها إقليم يقع في أوروبا الغربية بجزيرة أيبيريا، فتحه المسلمون وأقاموا فيه ثمانية قرون، بنوا خلالها مجدا وحضارة أضاءت الطريق للنهضة الأوروبية فيما بعد، لكنهم خسروه بسبب الصراعات وحياة الترف واللهو، وكانت غرناطة آخر جواهر الأندلس التي فقدت عام 1492 للميلاد.

أهداف البحث:

التعرف على الأسباب التي أدت إلى سقوط دولة الأندلس.

إبراز دور الحضارة الإسلامية في نهضة وتقدم الدول الأوروبية

معرفة موقف ملوك وسلاطين الممالك الإسلامية من سقوط قرناطة

منهج البحث:

سيتخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التاريخي لسرد الأحداث التاريخية الأحداث التي مرت بها دولة الأندلس حتى سقوطها.

بداية سقوط الأندلس:

الأندلس التسمية التي تعطى لما يسمى اليوم شبه الجزيرة الأيبيرية (جزيرة الأندلس) في الفترة ما بين أعوام 711 و1492 التي حكمها المسلمون. تختلف الأندلس عن أندلسيا التي تضم حاليا ثمانية اقاليم في جنوب إسبانيا. تأسست في البداية كإمارة في ظل الدولة الأموية في الشام، التي بدأت بنجاح من قبل الوليد بن عبد الملك (750-711)، بعدها تولتها دولة بني أمية في الأندلس عبد الرحمن الداخل وبعد سقوط دولة بني أمية تولت الأندلس ممالك غير موحدة عرفوا بملوك الطوائف، ثم وحدها المرابطون والموحدون قبل أن تنقسم إلى ملوك طوائف مرة أخرى وزالت بصورة نهائية بدخول فرناندو الثاني ملك الإسبان مملكة غرناطة في 2 يناير 1492.

التسمية وتاريخها:

في الأصل جزيرة الأندلس (والأندلس قد تكون محرفة من وندلس، إذ اعتادت العرب إبدال الواو ألفًا)، والأندلس لدى العرب القدامى هم فاندال، وهم شعب جرماني نزحوا من جرمانيا (ألمانيا وبولندا، حاليا) إلى أيبيريا (إسبانيا والبرتغال، حاليا)، وانتقل جزء كبير منهم أيضا إلى شمال أفريقيا بعد أن غزا القوط الغربيون أيبيريا (يتأصل القوط الغربيون من منطقة البحر الأسود، كانوا قبائل آرية). ذكر ابن عذاري المراكشي في كتابه: البيان المُغْرِب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: [1] «وقيل أن أول من نزل الأندلس بعد الطوفان قوم يُعرفون بالأندلش (بشين معجمة)، فسميت بهم الأندلس (بسين غير معجمة) أطلق المسلمون اسم الأندلس على شبه الجزيرة الأيبرية، وهي تقابل كلمة «فاندالوسيا» (وهي مشتقة من اسم

الوندال) التي كانت تطلق على الإقليم الروماني المعروف باسم باطقة الذي احتلته قبائل الوندال الجرمانية ما يقرب من عشرين عاماً ويسميهم الحميري الأندليش. ويرى البعض أنها مشتقة من قبائل الوندال التي أقامت بهذه المنطقة مدة من الزمن، ويرى البعض الآخر أنها ترجع إلى أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح. تقع الأندلس في الطرف الغربي من أوربا، وتشمل الآن ما يسمى أسبانيا والبرتغال، ويفصلها عن قارة أفريقيا مضيق جبل طارق. ويراد بالأندلس في التاريخ الإسلامي تلك الحقبة الزمنية التي امتدت من فتح العرب لإسبانيا 91هـ / 711م حتى سقوط غرناطة 897هـ/ 1492م وهي الفترة التي امتدت نحو ثمانية قرون.[2]

الليبيون والكلتز هم أقدم الشعوب التي سكنت أيبريا (أسبانيا والبرتغال) قدم شعب اليبيين من الجنوب من الجزر التي في البحر الأبيض المتوسط بينما الكلتز Celts شعب أرى أتى من الشمال. كما أستوطن اليونانيون والفينيقيون بعض المدن والثغور الأيبيرية. غزاها الرومان وعملوا تحويلها إلى ولاية رومانية الثقافة وكاثوليكية الدين بعد أن كانت تنتشر العقيدة الآريوسية بين أهل البلاد ونجح الرومان في تغيير اللغة إلى اللاتينية. وقد كان لانتشار العقيدة الآريوسية بين أهل البلاد الأصليين أثره في اعتناقهم الإسلام بعد الغزو الإسلامي لقربها من العقيدة والفكر الإسلامي. فتح المسلمون بقيادة القائد طارق بن زياد عام سنة 92هـ/711م وجعلوا الأندلس جزءاً من الدولة الإسلامية ويعتبر عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) المؤسس الفعلي للدولة الأندلسية سنة 750 التي كانت مستقلة عن الدولة العباسية واعتبرت الأندلس امتدادا لدولة بني أمية التي قضى عليها العباسيون في الشرق عام 132هـ. وفي سنة 756 بنى عبد الرحمن الناصر (الثالث) مدينة قرطبة والتي أصبحت عاصمة الأندلس واعتبرت المدينة المنافسة لبغداد عاصمة العباسيين.[3] وكانت بلاد الأندلس قد تجزأت إلى عدة دول صغيرة ومتنازعة بعد سقوط الدولة الأموية عام 399هـ سميت دويلات ملوك الطوائف وابرز هذه الدويلات وأكبرها كانت دويلة بنو عباد في اشبيلية ودويلة بني هود في سرقسطة ودويلة بنو الأفطس في بطليوس ودويلة بنو ذي النون في طليطلة وقد توسعت الممالك الإسبانية الكاثوليكيه على حساب هذه الدويلات الإسبانيه المسلمة مستغلة تنازعاتها الداخلية إلى أن سقطت طليطلة في نهاية المطاف في أيدي جيوش الفونسو السادس ملك قشتالة القوي والملكة ايزابيلا الأولى، مما اصطر ملوك الطوائف للاستنجاد بالمرابطين الذين كانوا قد اقاموا دولة قوية في شمال أفريقيا والذين عبروا إلى الاندلس لنجدة إخوانهم في الدين بالأندلس وهزموا الإسبانيين الكاثوليك في معركة الزلاقة الشهرية.

ودولة الموحدين ومملكة الاندلس هو الاسم الذي أطلقه المسلمون على شبه جزيرة أيبيريا عام 711م.[4] بعد أن دخلها المسلمون بقياده طارق بن زياد وضموها للخلافة الأموية واستمر وجود السلمين فيها حتى سقوط مملكة غرناطة عام 1492.

مرحلة ما قبل فتح الأندلس:

حقّق المسلمون تقدّماً واسعاً في شمال أفريقيا، ووصلوا إلى المغرب الأقصى (يقابل ما يُعرف اليوم بالمملكة المغربية) المواجه لشبه جزيرة أيبيريا. وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك (96-86هـ). ثم استُبدلَ حسّان بن النعمان، والي أفريقيا، عام (85هـ)، بموسى بن نصير الذي توجّه من مصر إلى القيروان مصطحباً أولاده الأربعة الذين كانت لهم أدوار مهمة في التوسعات. شرعَ بمعالجة نقاط الضعف التي واجهت المسلمين هناك، فقرّر العمل على تقوية البحرية الإسلامية،[5] وجعل القيروان قاعدة حصينة في قلب أفريقيا، واعتمد

سياسة معتدلة ومنفتحة تجاه البربر مما حوّل معظمهم إلى حلفاء له، بل اعتنقوا الإسلام وأصبحوا فيما بعد عمادَ سقوط اسبانيا في يد المسلمين، واستكمل التوسع في شمال أفريقيا وتأمين المنطقة درءاً لتمرّدٍ قد ينشأ ضد السيادة الإسلامية. وفي إحدى الحملات التي قادها أبو الورد بنفسه، استولى المسلمون على طنجة ذات الموقع المهم بين القارتين الأوروبية والأفريقية عام (89هـ 708م)، وحوّلها موسى بن نصير إلى مركز عسكري لتموين الحملات باتجاه المناطق المجاورة. وفي هذه الحملة برز أبو الدنين.(1) لكنّ مدينة سبتة عصيت على الفاتحين، حيث استطاع حاكمها الوالي البيزنطي يوليان الصمود بوجه المسلمين. لكنه فيما بعد لعبَ دوراً أساسياً في تشجيعهم ومساعدتهم على عبور المضيق إلى الأندلس.

الفتح الإسلامي للأندلس:

في عهد الدرنات بين عامي (92 - 93 هـ) في الخلافة الأموية وفي عام 711م أرسل موسى بن نصير القائد الشاب طارق بن زياد من طنجة مع جيش صغير من البربر والعرب يوم 30 أبريل 711، عبر المضيق الذي سمي على اسمه، حيث استطاع الانتصار على القوط الغربيين وقتل ملكهم لزريق (Roderic or Rod-rigo) في معركة جواداليتي في 19 يوليو 711. أو معركة وادى برباط في 28 رمضان 92 هجري وظلت الأندلس بعد ذلك خاضعة للخلافة الأموية كإحدى الولايات الرئيسة، إلى أن سقطت الخلافة الأموية سنة (132هـ)، واتجه العباسيون إلى استئصال الأمويين[6] وتمكن عبد الرحمن بن معاوية -عبد الرحمن الداخل- أن يفلت من قبضة العباسيين، فهرب إلى أخواله في الشمال الإفريقي، وأقام عندهم فترة من الزمن، ثم فكر في دخول الأندلس ليبتعد عن العباسيين، فراسل الأمويين في الأندلس.[7] بحلول عام 718 استولى المسلمون على معظم أيبيريا عدا جيباً صغيراً في الركن الشمالي الغربي حيث أسس النبيل القوطي بيلايو مملكة أستورياس في العام نفسه 718. والذي استطاع الدفاع عن مملكته في وجه المسلمين في معركة كوفادونجا عام 722. بينما استمر موسى بن النصير مواصلاً محاولاته لفتح الاندلس.[8]

خلافة قرطبة:

تشمل هذه الفترة قيام الدولة الأموية في الأندلس مما بين دخول عبد الرحمن الداخل قادماً من دمشق إلى شمال أفريقيا ثم الأندلس 136 هجرية حتى آخر خليفة أموي في الأندلس وهو هشام الثالث المعتد بالله سنة 416 هجرية وازدهار عصر الدولة الأموية في الاندلس. وأسس الأمويون حضارة إسلامية قوية في مدن الأندلس المختلفة. وهي أطول وأهم الفترات التي استقر فيها المسلمون في الأندلس الدولة الأموية ونقلوا إليها الحضارة الأدب والفن والعمارة الإسلامية، وتعتبر آثار الأمويين هي الطابع الغالب على الأندلس بأكملها ومن روائع ما خلفه الأمويون مسجد قرطبة. ولقد بذل عبد الرحمن الداخل جهوداً حضارية متميزةً فعمل على تجميل مدينة قرطبة وأحاطها بأسوار عالية وشيد بها المباني الفخمة والحمامات على شاكلة الحمامات في دمشق والمدن الإسلامية والمدارس والمنتديات والمكتبات.[9] وكان الطراز الأموي هو ابرز سمات الفن الاندلسي وبرع الأمويون في شتى الفنون فن النحت على الخشب والزخرفة والنسيج والتحف المعدنية والنحاسية التي نقلوا صناعتها من دمشق حيث أصبحت مدن الاندلس منارة للعلم والحضارة وكانت قرطبة تنار بالمصابيح ليلا لمسافة 16 كم واحاط الخلفاء الأمويون مدن الاندلس بالحدائق الغناء فكانت قبلة للناظرين وما تركوه وخلفوه لنا من اثار ينطق بالعظمة والجلال.

حكام الأندلس الأمويين هم بالترتيب :

- عبد الرحمن الداخل الملقب (صقر قريش)[10] - حتى عام 172 هجرية
- هشام الأول بن عبد الرحمن - من عام 172 إلى عام 180 هجرية
- الحكم بن هشام- من عام 180 إلى عام 206 هجرية
- عبد الرحمن الأوسط بن هشام - من عام 206 إلى عام 238 هجرية
- محمد بن عبد الرحمن - من عام 238 إلى عام 273 هجرية
- المنذر بن محمد - من عام 238 إلى عام 275 هجرية
- عبد الله بن محمد - من عام 275 إلى عام 300 هجرية
- عبد الرحمن الثالث الناصر - من عام 300 إلى عام 350 هجرية
- الحكم بن عبد الرحمن - من عام 350 إلى عام 366 هجرية
- هشام الثاني بن الحكم - من عام 366 إلى عام 399

تاريخ ملوك الطوائف بالأندلس: ـبدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس عام (422هـ) عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية بالأندلس، وكان هذا الإعلان بمثابة إشارة البدء لكل أمير من أمراء الأندلس ليتجه كل واحد منهم إلى بناء دويلة صغيرة على أملاكه ومقاطعاته، ويؤسس أسرة حاكمة من أهله وذويه، وبلغت هذه الأسر الحاكمة أكثر من عشرين أسرة أهمها:

- دولة بن عباد بإشبيلية (414هـ - 484هـ).
- بنو جهور في قرطبة (422هـ - 449هـ).
- بنى حمود بمالقة (407هـ - 449هـ).
- بنى زيرى بغرناطة (403هـ - 483هـ).
- بنى هود بسرقسطة (410هـ - 536هـ)
- بنى رزين بالسهلة (402هـ - 497هـ).
- بنى ذى النون بطليطلة (400هـ - 478هـ).
- بنو الأفطس في بطليوس (413هـ - 487هـ). (11)

التوسع الإسلامي ببلاد الأندلس:

واصل المسلمون التوسع بعد السيطرة على معظم أيبيريا لينتقلوا شمالاً عبر جبال البرنييه حتى وصلوا وسط فرنسا وغرب سويسرا. هـُزم الجيش الإسلامي في معركة بلاط الشهداء (بواتييه) عام 732 أمام قائد الفرنجة شارل مارتل. أما محاولة السيطرة على البرتغال: فقد أرسل القائد موسى بن نصير إلى إبنه عبد العزيز ليستكمل الغزوات في غرب الأندلس حتى وصل إلى لشبونة.

طلب الاندلسيون المعونة من قائد المرابطين في المغرب الامير يوسف بن تاشفين ان يهب لمساعدة الاندلس وكانت مساعداته قد انتهت بهزيمة كاسحة للإسبان في موقعة الزلاقة واستعادة بعض المدن إلا أنه فشل في استعادة طليطلة والقضاء على ملوك الطوائف وأصبحت الأندلس تابعة لدولة المرابطين في الاندلس الذين دافعوا عن الاندلس ضد الإسبان في عدة مواقع الا انهم فشلوا في الدفاع عن سرقسطة بقيام الثورة في

المغرب بقيادة الموحدين وانهيار دولة المرابطين تحولت تبعية الاندلس إلى الموحدين الذين حملوا راية الدفاع عن الاندلس في عدة مواقع اشهرها معركة الارك ولكن جيوش الموحدين ما لبث ان هُزمت في موقعة العقاب على الرغم من ضخامتها وكبرها مما تسبب في انهيار دولة الموحدين نهائيا ومع انهيار الحكم الموحدي في الاندلس بدأت مرحلة جدية من الانهيار في الاندلس.[12]

البعض من المؤرخين يرى الإسبان والمسلمون معاً أنه في عام718 بدأت حركة الاسترداد المسيحي وذلك من خلال معركة كوفادونجا أو مغارة دونجا والتي انهزم فيها ابن علقمة اللخمي من قِبل قوات "بلايه»، وانتهت بالتأسيس الأولى لإمارات الفرنجية في شمال شبه جزيرة أيبيريا.

أسباب سقوط الأندلس:

كان هناك مجموعة من الأسباب التي كان نتاجها سقوط وانهيار الأندلس وذلك للأسباب التالية:

الانصراف عن إقامة الشرع:

فقد شاع تناول الخمور دون وجود عقاب رادع لمن يشربها. وشاع المجون واللهو والموسيقى والغناء، وانتشر شراء الجواري، وانخرط أمراء الأندلس في التقرب من المغنيات والمغنيين. وكان للمغنين نصيب من خيرات الأمراء وأموالهم، حيث بنى لهم القصور الفخمة، وانتشر وقتها بناء مدارس تتخصص في تعليم الغناء وقواعد الموسيقى.[13]

انصراف أمراء الأندلس إلى اللهو والترف:

وانصراف أمراء الأندلس للسكن في أفخم القصور وتناول أشهى المأكولات وارتداء أفخم الملابس والانصراف في سبيل ذلك عن مهمة حماية الأرض والعرض.[14] دب الضعف في أوصال دولة الإسلام في الأندلس، وسرى الوهن في أطرافها، وراح العدو القشتالي يتربص بها، وينتظر تلك اللحظة التي ينقضّ فيها على الجسد الواهن، فيمزقه ويقضي عليه، لم تصرفه القرون الطوال عن تحقيق أمله الطامح إلى إزالة الوجود الإسلامي في الأندلس، فلم يكد ينتصف القرن السابع الهجري حتى كانت ولاية الأندلس الشرقية والوسطى في قبضة النصارى القشتاليين، وأصبحت حواضر الأندلس الكبرى أسيرة في قبضتهم؛ حيث سقطت قرطبة وبلنسية، وإشبيلية، وبطليوس، وهي حواضر كانت تموج علما وثقافة وحضارة. ولم يبق للمسلمين هناك سوى بضع ولايات صغيرة في الطرف الجنوبي من الأندلس، قامت فيها مملكة صغيرة عُرفت بـ مملكة غرناطة، شاءت الأقدار لها أن تحمل راية الإسلام أكثر من قرنين من الزمان، وأن تقيم حضارة زاهية وحياة ثقافية رائعة، حتى انقض عليها الملكان المسيحيان: "فرديناند الخامس" و"إيزابيلا"، وحاصرا بقواتهما غرناطة في 12 من جمادى الآخرة 896هـ= 30 من إبريل 1491م حصارا شديدا، وأتلفا الزروع المحيطة بالمدينة، وقطعا أي اتصال لها بالخارج، ومنعا أي مدد يمكن أن يأتي لنجدتها من المغرب الأقصى؛ حتى تستسلم المدينة، ويسقط آخر معقل للإسلام في الأندلس. غرناطة تلفظ أنفاسها لم تكن تملك غرناطة سلاحا أقوى من الشجاعة، ولا أمضى من الصبر في المواجهة والثبات عند اللقاء، فصمدت إلى حين، وظلت المدينة تعاني الحصار زهاء سبعة أشهر، وتغالب نكباته في صبر ويقين،[15] وتواجه الجوع والبلاء بعزيمة لا تلين، وحاول الفرسان المسلمون أن يدفعوا هجمة النصارى الشرسة بكل ما يملكون خارج أسوار المدينة، لكن ذلك لم يغن من الأمر شيئا، فالأحوال تزداد سوءا، والمسلمون تتفاقم محنتهم، وانقطع الأمل في نجدتهم من بلاد المغرب، في ظل هذه

المحنة القاسية تداعت أصوات بعض القادة إلى ضرورة التسليم؛ حفاظا على الأرواح، وكان "أبو عبد الله محمد" سلطان غرناطة وبعض وزرائه يتزعمون هذه الدعوى، وضاع في زحام تلك الدعوة المتخاذلة كل صوت يستصرخ البطولة والفداء في النفوس، ويعظّم قيمة التضحية والكرامة في القلوب، فاتفق القائمون على غرناطة على اختيار الوزير "أبي القاسم عبد الملك" للقيام بمهمة التفاوض مع الملكين الكاثوليكيين. وليس ثمة شك في أن هذين الملكين كانا وراء سريان روح التخاذل وإشاعة اليأس في مملكة غرناطة، وتهيئة الأوضاع لقبول التسليم، واستخدما في ذلك كل وسائل الإغراء مع السلطان أبي عبد الله وبعض خاصته. استمرت المفاوضات بضعة أسابيع، وانتهى الفريقان إلى وضع معاهدة للتسليم، وافق عليها الملكان في 21 من المحرم 897هـ= 25 من نوفمبر 1491م،[16] وكانت المفاوضات تجري في سرية خشية ثورة أهالي غرناطة، وحتى تحقق غايتها المرجوة. ويتعجب المرء حين يعلم أن أبا القاسم بن عبد الملك ومساعده في المفاوضات الوزير "يوسف بن كماشة" كان سلوكهما مريبا، يقدمان المنفعة الشخصية على الصالح العام، فقد كتبا إلى الملكين الكاثوليكيين خطابا يؤكدان فيه إخلاصهما وولاءهما واستعدادهما لخدمتهما حتى تتحقق رغباتهما. وفي الوقت الذي كانت تجري فيه مفاوضات التسليم، عُقدت معاهدة سرية أخرى، مُنح بموجبها أبو عبد الله وأفراد أسرته ووزراؤه منحًا خاصة بين ضياع وأموال نقدية. وما كادت تذاع أنباء الموافقة على تسليم غرناطة حتى عمّ الحزن ربوعها، واكتست الكآبة نفوس الناس، واشتعل الناس غضبا حين تسربت أنباء المعاهدة السرية، وما حققه السلطان وخاصته من مغانم ومكاسب رخيصة، فسرت بين الناس الدعوة إلى الدفاع عن المدينة، وخشي السلطان من تفاقم الأحوال وإفلات الأمر من بين يديه، فاتفق مع ملك قشتالة على تسليم المدينة قبل الموعد المحدد في 2 من ربيع الأول 897هـ= 2 من يناير 1492م. تسليم المدينة وفي هذا اليوم الحزين استعد الجيش القشتالي لدخول المدينة، وأطلقت المدافع في قصر الحمراء طلقاتها إيذانا بالاستعداد للتسليم، ودخلت القوات المسيحية، واتجهت توا إلى قصر الحمراء، وما إن دخلت القوات حتى رفعت فوق برج القصر الأعلى صليبا فضيًا كبيرًا، وهو الذي كان يحمله الملك "فرديناند" خلال المعارك مع غرناطة.. وأعلن المنادي بصوت قوي من فوق البرج أنّ غرناطة أصبحت تابعة للملكين الكاثوليكيين. وباستيلاء القشتاليين على غرناطة طُويت آخر صفحة من تاريخ دولة المسلمين في الأندلس، وقُضي على الحضارة الأندلسية الباهرة وآدابها وعلومها وفنونها.

قامت مملكة غرناطة في الفترة التي ظهرت فيها للحفاظ على تراث الأندلس، وبإيواء الوافدين إليها من المدن الأخرى.[17] كان من بينهم العلماء والكتاب والشعراء، وبإثراء الحياة الفكرية بالمؤلفات الجيدة في مختلف العلوم والفنون. ويأتي في مقدمة من أنجبتهم غرناطة: أبو عبد الله محمد بن جُزى الكاتب الشاعر، المتوفى سنة 757هـ= 1356م، وابن خاتمة الشاعر المعروف المتوفى 770هـ=1369م، ولسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ= 1375م وهو يعد من كبار الأعلام في الثقافة العربية، فهو أديب وطبيب وفيلسوف وشاعر ومؤرخ، من أشهر إنتاجه: الإحاطة في أخبار غرناطة، وكتاب الإشارة إلى أدب الوزارة، واللمحة البدرية في الدولة النصرية. وأيضاً: الوزير بن زمرك المتوفى سنة 797هـ=1395م، تلميذ ابن الخطيب، وكان شاعراً جيداً، وابن الأزرق المتوفى سنة 895هـ=1490م وكان بارعا في النثر والنظم والتاريخ، وله كتاب قيم في الفكر السياسي بعنوان: بدائع الأندلس في طبائع الملك، والشريف العقيلي وزير السلطان أبو عبد الله محمد آخر

ملوك قرناطة بالأندلس، وكان إمام عصره في النثر والنظم، ووُصف بأنه خاتمة أدباء الأندلس. وكثر في غرناطة إنشاء المدارس ومعاهد العلم، وارتقت الصناعات والفنون، فازدهرت صناعة السفن والأنسجة والورق، والفخار والذهب، وصناعة الحلي، وتطورت صناعة الأسلحة، فظهرت المدافع والبنادق، ويحتفظ متحف مدريد الوطني بنماذج من البنادق التي استعملها المسلمون في دفاعهم عن غرناطة. وكانت مدينة غرناطة في ذلك العصر من أجمل مدن العالم بشوارعها النظيفة وميادينها الرائعة وحدائقها الغنّاء، ومبانيها ومرافقها الجميلة، ولا تزال آثارها الباقية تشهد على ما بلغته المدينة من رقي ومدنية. وقد اشتهرت مساجد غرناطة باستخدام الرخام، وتجميل صحونها بحدائق الفاكهة،[18]

إقامة المآذن منفصلة عن المساجد، وتوجد الآن مئذنتان يرجع إنشاؤهما إلى هذه الفترة الأولى: مئذنة مسجد تحوّل إلى كنيسة، وهي المعروفة باسم كنيسة "سان خوان دي لوس ريس"، والأخرى ببلدة "رندة" التي تحول مسجدها إلى كنيسة باسم "سان سباستيان". ويعد قصر الحمراء من أعظم الآثار الأندلسية الباقية، بما حواه من بدائع الصنع، والمهارة الفنية الراقية، بالإضافة إلى قصر جنة العريف، وهو يقع بالقرب من قصر الحمراء ويطلّ عليه، وكان يتخذه ملوك غرناطة متنزها للراحة والاستجمام .[19]

معركة بلاط الشهداء:

جمع عبد الرحمن الغافقي جيشه وخرج باحتفال مهيب ليعبر جبال البرانس واتجه شرقاً ليضلل المسيحيين عن وجهته الحقيقية، فأخضع مدينة "أرل" التي خرجت عن طاعة المسلمين، ثم اتجه إلى «دوقية»، فانتصر على الدوق انتصاراً حاسماً، ومضى الغافقي في طريقه متتبعاً مجرى نهر "نهر الجارون" فاحتل "بردال واندفع شمالاً ووصل إلى مدينة "بواتييه. ولم يجد الدوق «أودو» بدا من الاستنجاد بالدولة الميروفنجية، وكانت أحوالها في يد شارل مارتل الذي قابل قوات المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء عام ، 732م بين قوات المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي وقوات الإفرنج بقيادة قارلة (أو تشارلز/ كارل مارتل). هُزم المسلمون في هذه المعركة وقتل قائدهم وأوقفت هذه الهزيمة الزحف الإسلامي تجاه قلب أوروبا وحفظت المسيحية ديانةً سائدة فيها[20]

استرداد طليطلة:

بعد أن ظلت الدولة الإسلامية في الأندلس بضعا من الزمن متماسكة موحدة، بدأت تقام ممالك فرنجية في شمال إسبانيا المحررة مثل ممالك "مملكة قشتالة" و" مملكة أراجون" و " مملكة بسون" و"مملكة الباسك"، قامت دولة بني ذي النون في "توليدو" طليطلة وبدأ صراع مع ملك "سرقسطة" ابن هود، ولجأ الطرفان يطلبان مساعدة ملوك إسبانيا المسيحيين. وكان هؤلاء يساعدون المسلمين على بعض، مقابل الحصول على مال أو قلاع أو أراضٍ أو مدن، واستمر النزاع بين طليطلة وسرقسطة من سنة 1043 إلى سنة 1046م .بعد فترة صراعات داخل البيت القشتالي انتهى بوحدة مملكتي قشتالة وليون تحت صولجان "الملك ألفونسو السادس" ، وبعد أن استتب له الأمر،[21] فرض الحصار على "توليدو" في سنة 1084م، ولم يقم أحد بمساعدة إخوانهم المسلمين إلا "المتوكل ابن الأفطس" الذي أرسل جيشا كبيرا لنجدة توليدو، لكنه تعرض لهزيمة ساحقة ماحقة من الجيش المسيحي، واستمر الحصار 9 شهور، إلى أن استبد الجوع بالناس ولم تفلح محاولات المسلمين في الوصول لتسوية. لم يرضَ الفونسو سوى بتسلم المدينة كاملة، وفعلا تم ذلك في 25

مايو1085م، وتوجه إلى المسجد الكبير الذي كان كاتدرائية أولاً وحوله إلى كاتدرائية وصلى فيه قداس الشكر، وصارت العاصمة لمملكة قشتالة الفرنجية وتم استردادها، وتم منح المسلمين الحرية كاملة لمغادرة المدينة أو البقاء فيها وحرية التصرف في أملاكهم. [22]

نهاية الممالك الإسلامية وما بعد السقوط:

كانت حياة المسلمين فيها مزيجاً بين يسر الحال والسعادة. نظرًا لما تميزت به الأندلس من امتلاك مساحات كبيرة من الأراضي الخصبة وتوفر المياه العذبة ومناخها المعتدل. كما كانت مقصدًا لأبناء الطبقة العليا في أوروبا بقصد الدراسة في الجامعات والمدارس الأندلسية. حيث كان العلماء العرب والأساتذة موضع فخر لكافة الأوروبيين ممن يتلقون تعليمهم على أيديهم. [23]

لذا كان الأوروبيون يعتمدون على ألفاظ اللغة العربية في حديثهم لينالوا لقب مثقفين ونعتوا بالمتعلمين. كما كان الأمراء من حكام ممالك النصارى بشمال إسبانيا يلجأون إلى الحكام المسلمين من حاكمي الأندلس للتدخل وتقديم حلول لما بينهم من نزاع وخلافات. وبناءً على ذلك تدخلت جيوش المسلمين بينهم، وكانت تغير من الأوضاع السياسية هناك. في مقابل هذا الدور حصل المسلمون على العديد من الأراضي والحصون إلى أن بدأت قوة المسلمين في الأندلس تضعف وتنهار ومهد ذلك لسقوط الأندلس. [24]

تقلص الحكم الإسلامي في الأندلس إلى أن اقتصر على حكم غرناطة حتى سقطت وانهارت عام 1492م. حيث وقعت معاهدة الاستسلام من قبل الملك أبو عبد الله الصغير. وكان الطرف الثاني في المعاهدة الملك الكاثوليكي فرديناند والملك إيزابيلا. وتوسع النصارى في نشر محاكم التفتيش، والتي كانت سببًا في حرق الكثير من المسلمين. [25]

كان هذا الوضع هو النهاية التي كتبت للمسلمين ومقدمة **أسباب سقوط الأندلس**، ومن الجدير بالذكر أن انهيار الأندلس وسقوطها ونهاية الحكم الإسلامي لها ظل على مدار العديد من القرون إلى أن فقد المسلمين السيطرة على الأندلس، مما يشير إلى استماتة أعداء الدين الإسلامي وصبرهم الطويل من أجل هذا الهدف، حيث استمرت خطتهم لهز الكيان الإسلامي في الأندلس إلى أن وقعت تحت قبضة هؤلاء من أعداء المسلمين والإسلام. [26]

قام المسيحيون بشن عدة حروب لاستعادة شبه الجزيرة الايبيرية في كل من قرطبة سنة 1236 وإشبيلية سنة 1248 نهاية بسقوط دولة بني الأحمر في غرناطة سنة 1492.

اتحدت مملكة ليون وقشتالة مع مملكة أرغون واستطاع الملك فرناندو والملكة إيزابيلا، استرجاع المدن الأيبيرية الواحدة تلو الأخرى إلى أن سقطت في أيديهم غرناطة آخر قواعد المسلمين سنة 1492. [27]

سلم أبو عبدالله الصغير غرناطة بعد صلح عقده مع فرناندو في تاريخ 25 نوفمبر 1491 /21 محرم 897 هـ يقتضي بتسليم غرناطة وخروج أبو عبدالله الصغير من الأندلس، ولكن سرعان ما نقض هذا الأخير العهد. وبدأت محاكم التفتيش في التعذيب والقتل والنفي، وبدأت هنا معاناة أهل الاندلس من المسلمين ومن اليهود، باشرت عملية القضاء على المسلمين من قبل المسيحية المنتصرة، وقد حُرِّمَ الإِسْلاَمُ على المسلمين، وفرض عليهم تركه، كما حُرِّمَ عليهم استخدام اللغةَ العربية، والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كَانَ يُحْرَقُ حَيًّا بعد أن يُعَذَّبَ أشد العذاب. [28]

كانت محاكم التفتيش تجبرهم على التنصير. زاد ذلك تمسك أهل الأندلس بالإسلام ورفضوا الاندماج مع المجتمع المسيحي. وحسب الرواية القشتالية الرسمية، لم يُبد الأندلسيون رغبة في الاندماج في المجتمع المسيحي الكاثوليكي وبقوا بمعزل عنه، يقومون بشعائرهم الإسلامية ويدافعون عنها بكل تفان. وحتى لا يصطدموا بمحاكم التفتيش لجأوا إلى ممارسة التقية فأظهروا إيمانهم المسيحي وأخفوا الإسلام، فكانوا يتوضؤون، يصلون ويصومون... كل ذلك خفية عن أعين الوشاة والمحققين. يتحدث مول في كتابه عن قرية مويل، فيصف كيف يصنع سكانها الأندلسيون الخزف ويُضيف: «قالوا لي إن القرية ليس بها سوى 3 مسيحيين قدامى هم الكاتب الشرعي،[29] والقسيس وصاحب الحانة..أمّا الباقون فهم يُفضّلون الذهاب إلى مكة للحج عن السفر إلى كنيسة سانتياغو في جليقية". كتب في سنة 1601م، المطران ربيرا، مهندس قرار الطرد، تقريرا عن الوضع قدمه إلى الملك، وقال فيه: «إن الدين الكاثوليكي هو دعامة المملكة الإسبانية ، وإن الموركسيين لا يعترفون ولا يتقبلون البركة ولا الواجبات الدينية الأخيرة، ولا يأكلون لحم الخنزير، ولا يشربون النبيذ، ولا يعملون شيئا من الأمور التي يقوم بها النصارى...» ثم يضيف: «إننا لا نثق في ولائهم لأنهم مارقون، وإن هذا المروق العام لا يرجع إلى مسألة العقيدة، ولكنه يرجع إلى العزم الراسخ في أن يبقوا مسلمين، كما كان آباؤهم وأجدادهم. ويعرف مفتشوا العموم أن الموركسيين بعد أن يحجزوا عامين أو ثلاثة وتشرح لهم العقيدة في كل مناسبة فإنهم يخرجون دون أن يعرفوا كلمة منها، والخلاصة أنهم لا يعرفون العقيدة،[30] لأنهم لا يريدون معرفتها، ولأنهم لا يريدون أن يعملوا شيئا يجعلهم يبدون نصارى". وفي تقرير آخر يقول المطران نفسه: «إن الموركسيين كفرة متعنتون يستحقون القتل، وإن كل وسيلة للرفق بهم فشلت، وإن أسبانيا تتعرض من جراء وجودهم فيها إلى أخطار كثيرة وتتكبد في رقابتهم والسهر على حركاتهم وإخماد ثوراتهم كثيرا من الرجال والمال..». وجاء في قرار الطرد الخاص بمسلمي بلنسية : " ...قد علمت أنني على مدى سنوات طويلة حاولت تنصير موركسيي هذه المملكة ومملكة قشتالة، كما علمت بقرارات العفو التي صدرت لصالحهم والإجراءات التي اتخذت لتعليمهم ديننا المقدس، وقلة الفائدة الناتجة من كل ذلك، فقد لاحظنا أنه لم يتنصر أحد، بل زاد عنادهم[31]. وتؤكد معظم المصادر أن أسباب سقوط الأندلس تعود إلى **انخراط حكامها في حروب لا تنتهي بينها حفاظا على السلطة والجاه**، وهي حروب ونزاعات أججها خصوم المسلمين، إلى جانب الانغماس في حياة الترف واللهو، والمبالغة في الإنفاق بدل الدفاع عن الأرض التي فتحها أسلافهم. كان هناك العديد من الدول والمناطق والأراضي التي كانت لا تعلم هي وأهلها أي من تعاليم الدين الإسلامي والأشياء، التي قد أنزل بها الأنبياء والرسل، ليس هذا فقط، بل أنه إن رغب أحد في الدخول إلى الدين الإسلامي كان يتم قتله وأسره. فكان هناك العديد من الملوك الذين كانوا يروا من أنفسهم آلهة ولا يوجد أحد يستطيع أن يقف أمامهم وإلا يلقي العذاب والموت، فكانت تلك الفتوحات تأتي لإنقاذ هؤلاء الأشخاص من العذاب ويعلموا أن هناك الدين، وهناك الله الذي يدافع عنهم ومن ثم أصبح الدين أقوى بهم بعد الله عز وجل.

كانت سنة 92هـ هي السنة التي تم فيها فتح الأندلس، وأعقب فتحها انتشار الإسلام في مختلف أنحائها. حيث قامت دولة في الأندلس على يد المسلمين، وطال حكم هذه الدولة لثمانية قرون. كان أول من تولى خلافة المسلمين في ذلك الوقت عبد الرحمن الناصر، وقبل تناول **أسباب سقوط الأندلس** لا بد من

التذكير بأن كتب التاريخ ذكرت أن تاريخ الأندلس شهد تقدماً ملحوظاً في النواحي الثقافية، وكانت من الدول الأكثر تحضرًا.

موقف ملوك وسلاطين الممالك الإسلامية من سقوط غرناطة:

موقف سلاطين بني مرين:

كان مسلمو الأندلس كلما اشتد بهم الأمر استنجدوا بملوك المغرب، لا سيما ملوك بني مرين الذين ساروا على نهج المرابطين، والموحدين الذين كانوا ينهضون للتدخل لحماية الأندلس كلما ضاق الأمر بأهلها. [32]

فالسلطان المريني أبو يوسف المنصور (815 هـ/1286م مثلا، عبر إلى الأندلس أربع مرات لإغاثة أهلها، ووصلت جيوشه إلى طليطلة، وقرطبة بل إلى مدريد وهي قريبة من آخر معقل وصل إليه الإسلام في الأندلس، فساهم بذلك في إنقاذ غرناطة من الانهيار السريع أمام ضربات ملوك قشتالة وأرغون [33]

لكن رغم الجهود التي بذلها بنو مرين لحماية الأندلس، فإنهم لم يتمكنوا من تحقيق انتصارات ساحـقة، كتلك التي حققها المرابطون في معركة الزلاقة، والموحدون في معركة الأرك والسبب في ذلك يرجع إلى أن المرينيين كانوا يقاتلون بإمكانياتهم الذاتية فقط، بينما كان المرابطون والموحدون يقاتلون بإمكانيات المغرب العربي كله. ومهما يكن من أمر، فإن بني مرين ساهموا في دور فعال في حماية الأندلس قبل أن يدخلوا في دوامة من الفوضى والاضطراب، والحروب الداخلية ضد منافسيهم من جهة، وضد جيرانهم من جهة ثانية، بالإضافة إلى الأوضاع الاقتصادية المزرية التي كان يمر بها المغرب في هذه الفترة من تاريخه على وجه الخصوص، والتي حالت دون تمكن المرينين، أو الوطاسيين من إنقاذ الأندلس، بل جعلتهم عاجزين حتى عن حماية سواحلهم من الاحتلال الإسباني والبرتغالي. [34]

يقول المؤرخ الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل الحنفي الذي زار شمال أفريقيا في مطلع القرن السادس عشر، وعاين أوضاع المغرب في هذه الفترة: ووقع بفاس وأعمالها خطوب، وحروب، وفتن، وأهوال، وفساد عظيم، وخراب بلاد، وهلاك عباد. وأخذت الفرنج في تلك الفترات عدة مدن من منابر العدوة. مثل طنجة، وأصيلا وغير ذلك.. ولا زالت الفتن والشرور قائمة مستصحبة بتلك البلاد مدة سنين، بل إلى يومنا هذا..[35]ومنذ أن كانت الحواضر الأندلسية تتهاوى أمام ضربات الإسبان ورسائل الاستغاثة تتوالى من أهل الأندلس على ملوك المغرب، لكن هؤلاء كانوا أعجز من أن يقوموا بتقديم عون جدي لمسلمي الأندلس.

يقول مؤرخ أندلسي مجهول الذي عاصر مأساة غرناطة: «...إن إخواننا المسلمين من أهل عدوة المغرب بعثنا إليهم، فلم يأتنا أحد منهم، ولا عرج على نصرتنا وإغاثتنا، وعدونا قد بنى علينا وسكن، وهو يزداد قوة، ونحن نزداد ضعفا، والمدد يأتيه من بلاده، ونحن لا مـدد لـنا...» [36]

موقف السلاطين الحفصيين:

كما كان أهل الأندلس يستغيثون بملوك المغرب، فإنهم كانوا يلجئون إلى ملوك بنو حفص، خصوصا عندما لا يجدون من ملوك المغرب أذانا صاغية، فمن ذلك أنه عندما سقطت بلنسية، أرسل أهلها إلى أبي زكريا الحفصي يستمدون منه النجدة والمدد، وجعلوا على رأس بعثتهم شاعرهم ابن الأبار القضاعي الذي ألقى بين يديه قصيدته الشهيرة التي مطلعها: [37]

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

ولم تكن بلنسية وحدها هي التي بايعت أبا زكريا الحفصي، وطلبت منه المدد، بل قد بايعه كذلك أهل إشبيلية، وأهل المريـة، إلا أن موقف أبي زكريا الحفصي من استنجاد أهل الأندلس لم يكن يتناسب مع خطورة الوضع، ذلك لأنه لم يكن يملك القوة الكافية التي تمكنه من إنقاذ الأندلس التي كانت ظروفها تقتضي اقتحام الحفصيين للأندلس، والقضاء على رؤوس الفتنة من ملوك الطوائف، وهو ما لم يكن يقدر عليه أبو زكريا الحفصي، ولذلك اكتفى بإرسال أسطول مشحون بالطعام والسلاح والمال، لكن هذا المدد لم يصل إلى المحاصرين في بلنسية، كما أرسل بمدد آخر أثناء حصار إشبيلية، لكن المدد استولى عليه العدو، كما استولى على إشبيلية فيما بعد. [38]وأثناء حصار غرناطة، أو بعد سقوطها لم نجد فيما رجعنا إليه من المصادر ما يدل على أن أهل الأندلس استغاثوا بأمراء بني حفص، ولعل ذلك راجع إلى أن الدولة الحفصية كانت تعيش أخريات أيامها، ولم يكن بمقدور أمرائها أن يقدموا أي جهد جدي لدعم مسلمي الأندلس. [39]

خصوصا إذا علمنا أن سواحل تونس نفسها لم تنج من الاحتلال الإسباني، أضف إلى ذلك أن الجيش الحفصي الذي كان ذات يوم يعتبر من أفضل جيوش شمال أفريقيا، قد تحلل وأصبح عاجزا عن مقاومة أي عدو، بل فقد سيطرته حتى على الأعراب الذين كانوا يعيثون فسادا في البوادي، وأطراف المدن، الأمر الذي جعل الملوك الحفصيين يستعينون بالمرتزقة من الجنود الإيطاليين والإسبان والزنوج وغيرهم. [40]

موقف ملوك الدولة الزيانية:

لم تكن أحداث الأندلس بعيدة عن اهتمامات ملوك بني زيان، ذلك لأن أهل الأندلس كانوا يلجئون إلى الزيانيين مستنجدين بهم عندما تضيق بهم السبل، فمن ذلك أنه عندما ضيق الإسبان الخناق على غرناطة أستصرخ ملكها أبو عبد الله بأبي حمو الزياني، بقصيدة من نظم الشيخ الفقيه أبي البركات محمد بن أبي إبراهيم البلفيقي مطلعها: [41]

هل من مجيب دعوة المستنجد أم من مجير للغريب المفرد :

وبرسالة من إنشاء الوزير لسان ابن الخطيب يذكر فيها أنهم: «... لم يعانوا منذ أن فتحت الأندلس شدة، وضيقا أشدّ مما هم عليه الآن. وذكر بأن ملك النصارى جمع لهم جيوشا من سائر الأمم المسيحية، وأنهم قاموا بإحراق الزروع، والمسلمون ليس لهم مغيث يلجأون إليه (بعد الله) سوى إخوانهم في الدين، وذكر بأنهم كانوا قد أعلموا المرينيين بهذا الخطر، وأنهم يقومون بما يقدرون عليه من دعم ومساندة، وأنهم لا يملكون غير أنفسهم، وقد بذلوها في سبيل الله، وهم ينتظرون نجدتكم «. فقام أبو حمو الزياني بإرسال الأحمال العديدة من الذهب والفضة، والخيل، والطعام، وبفضل هذا المدد أمكن لأهل غرناطة أن يثبتوا للدفاع عن مدينتهم فترة أطول. [42] وكما كانت أوضاع الحفصيين، والمرينيين، ثم الوطاسيين لا تؤهلهم للدفاع عن بلادهم، فضلا عن إنقاذ الأندلس، كانت المملكة الزيانية تعيش نفس الظروف المتدهورة. ولذلك تعذر على ملوكها تقديم أي دعم جدي لأهل غرناطة أو غيرها، وسوف يتبين لنا لاحقا أن المملكة الزيانية كانت أضعف من أن تساهم في إنقاذ الأندلس. [43]

موقف سلاطين دولة المماليك في مصر

في أواخر القرن الخامس عشر، أرسل مسلمو غرناطة إلى الملك الأشرف قايتباي (1496(-1468 سلطان المماليك بمصر، يرجونه التدخل لإنقاذهم من ظلم ملوك المسيحيين، فاكتفى الأشرف بإرسال وفود إلى

البابا، وإلى ملوك أوروبا يذكرهم بأن المسيحيين في دولته يتمتعون بكافة الحريات، بينما إخوته في الدين في مدن إسبانيا يتعرضون لشتى ألوان الاضطهاد، وهدد على لسان مبعوثيه بأنه سوف يتبع سياسة المعاملة بالمثل، وهي التنكيل بالمسيحيين إذا لم يكفَّ ملوك إسبانيا عن اضطهاد المسلمين، وطالب بعدم التعرض لهم، ورد ما أُخِذ من أراضيهم. [44] لكن الملك فردناند، والملكة إيزابيلا لم يريا في مطالب سلطان المماليك وتهديده ما يحملهما على تغيير خطتهما في الوقت الذي كانت فيه قواعد الأندلس تسقط تباعا في أيديهما، إلا أنهما بعثا إليه رسالة مجاملة ذكرا فيها: «أنهما لا يفرقان في المعاملة بين رعاياهما المسلمين، والنصارى، ولكنهما لا يستطيعان صبرا على ترك أرض الآباء والأجداد في يد الأجانب، وأن المسلمين إذا شاءوا الحياة في ظل حكمهما راضين مخلصين، فإنهم سوف يلقون منهما نفس ما يلقاه الرعايا الآخرون من الرعاية..". [45]

لم يتمكن الباحثون من معرفة مصير هذه الرسالة، كما أنه لا يلاحظ في سياسة مصر المملوكية نحو الرعايا المسيحيين في مصر، أو في القدس ما يدل على أن السلطان المملوكي قد نفذ تهديده. ويبدو أن السلطان قايتباي لم يتمكن من إغاثة مسلمي الأندلس بسبب انشغاله بتحركات بايزيد ورد غاراته المتكررة على الحدود الشمالية. بالإضافة إلى الاضطرابات الداخلية التي كانت تثور هنا وهناك، ومن ثم فإن الجهود المصرية وقفت عند الاكتفاء بالجهود الديبلوماسية، وتركت الأندلس تواجه قدرها بنفسها. [46]

كرر الأندلسيون استغاثتهم بالملك الأشرف قانصو الغوري 1501-1516) سلطان مماليك مصر والشام، داعين إياه أن يتوسط لدى الملكين الكاثوليكيين (فرديناندو وإيزابيلا) لاحترام معاهد الاستسلام، ووقف أعمال الاضطهاد ضدهم، فأرسل الغوري وفدا إلى الملكين يبين لهما أنه سوف يجبر النصارى المقيمين في بلاده على الدخول في الإسلام، إذا لم تراع الاتفاقات السابقة بينهما وبين المسلمين، لكن فقهاء المسلمين عارضوا معاملة الرعايا المسيحيين بالمثل، محتجين بأن الإسلام لا يكره أحدا على الدخول فيه، فأرسل إليه الملكان سفيرا أقنعه بأن المسلمين يعاملون معاملة حسنة، وأن لهم نفس الحقوق التي يتمتع بها الإسبان. [47] وهكذا خابت آمال المسلمين الأندلسيين في تلقي أي دعم أو مدد من سلطان المماليك قانصو الغوري الذي يبدو أنه كان مشغولا هو الآخر في حروبه مع العثمانيين، بالإضافة إلى كونه لا يملك أسطولا قويا يمكنه من مواجهة الإسبان أقعدته عن إغاثة الأندلسيين. [48] وقد وفرت مصر المملوكية مأوى كريم للاجئين مثل العلامة ابن خلدون وغيره من الأندلسيين.

موقف السلطان محمد الفاتح:

أرسل أهل غرناطة في منتصف سنة 1477 أي قبل سقوط غرناطة بأربعة عشر عاما) سفارة على إستانبول، وجهوا فيه نظر السلطان محمد الفاتح إلى تدهور أوضاع المسلمين في الأندلس، وناشدوه التدخل لإنقاذهم، لكن كان في حكم المستحيل أن يستجيب السلطان الفاتح لهذه الاستغاثة، لأنه كان هو الآخر مضطرا إلى مواجهة تحالف صليبي ضم البابا سكست الرابع 1471 (1484)، وجنوة، ونابولي، والمجر، وترانسلفانيا، وفرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس، وعددا من الزعماء الألبان الذين كانوا يضمرون عداء شديدا للدولة العثمانية [49]

موقف السلطان بايزيد الثاني :

ثم استنجد الأندلسيون مرة أخرى بعد وفاة الفاتح بابنه السلطان بايزيد الثاني1480-1511 ، إلا أن السلطان بايزيد كانت قد تزاحمت عليه أزمات داخلية وخارجية كثيرة منعته من إغاثة مسلمي الأندلس

منها: صراعه مع أخيه جم (1481-1495 وحربه مع المماليك في أدنة سنة 1485- 1491، بالإضافة إلى الحرب مع ترانسلفانيا، والمجر، والبندقية ثم تكوين تحالف صليبي آخر ضد الدولة العثمانية من طرف البابا يوليوس الثاني، وجمهورية البندقية، والمجر، وفرنسا وما أسفر عن هذا التحالف من حرب أدت إلى تنازل العثمانيين عن بعض ممتلكاتهم، وانتهى حكم السلطان بايزيد بصراع بين أبنائه، أضفى إلى تنحيته عن العرش، ثم موته في ظروف مشبوهة. (50)

لكن رغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية في هذه الفترة الحرجة من تاريخها، فإن السلطان بايزيد لم يهمل استغاثة أهل الأندلس، بل حاول أن يقدم لهم ما يستطيعه من أوجه الدعم والمساندة، فأرسل إلى البابا رسولا يعلمه بأنه سوف يعامل المسيحيين في إستانبول، وسائر مملكته بنفس المعاملة إذا أصر ملك قشتالة على الاستمرار في محاصرة المسلمين في غرناطة، والتضييق عليهم، وبالفعل أرسل أسطولا بحريا بقيادة كمال ريس إلى الشواطئ الإسبانية سنة 1486، فقام هذا الأخير بإحراق وتخريب السواحل الإسبانية والإيطالية ومالطا ونقل أولى قوافل المهاجرين المسلمين واليهود إلى تركيا،(51) وحسب رواية أخرى (لم نتمكن من التأكد من صحتها) فإن السلطان الحفصي عبد المؤمن بعد نجاح وساطته في عقد صلح بين الدولة العثمانية ودولة المماليك، تم عقد اتفاق آخر على تحالف بين الحفصيين والعثمانيين والمماليك لدعم مسلمي الأندلس. وكان الاتفاق يقضي بأن يرسل العثمانيون أسطولا إلى سواحل إيطاليا تكون مهمته إلهاء الإسبان؛ بينما يستغل الفرصة ويقوم المماليك بإرسال قوات تنطلق من شمال أفريقيا إلى الأندلس لنجدة المسلمين هناك. (52)

وهكذا بسبب المشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها الدولة العثمانية، لم يتمكن العثمانيون في عصر بايزيد، وقبل ذلك في عصر الفاتح من إغاثة مسلمي الأندلس، كما أن التهديدات، والغارات التي شنها كمال ريس على السواحل الإسبانية لم تثن الملكين الإسبانيين عن قرار إنهاء الوجود الإسلامي من إسبانيا المسيحية. وبهذه المواقف التي رأيناها يتضح لنا أن سقوط غرناطة وضياع الفردوس المفقود ارتبط بعدد من الأسباب التي كان يمر بها العالم الإسلامي وقتها، وضياع غرناطة، وما تبعه من طرد المسلمين كان نتيجة متوقعة في ضوء الأحداث التي مرت بها الأمة الإسلامية. (53)

وثيقة إنجليزية تكشف كيفية سقوط غرناطة:

كشف الدكتور خوسيه غوميث سولينيو في المؤتمر الثامن عشر للغة والأدب والمجتمع الإسباني الذي اختتم أخيرا في مدينة مالقة، جنوب إسبانيا، عن عثوره على وثيقة إنجليزية تؤكد أن سقوط غرناطة الإسلامية والحصار الذي عانت منه المدينة «كان أكثر شراسة مما هو معروف حتى الآن». ومدى الترف والأبهة التي تميزت بها القصور الغرناطية والبلاط الملكي، وأثر الحصار الذي فرضته القوات الإسبانية على أهالي مدينة غرناطة، حتى اضطرهم إلى أكل الكلاب والقطط، ويخلص إلى أن العرب دفعوا ثمنا باهظا للغاية بسقوط آخر جوهرة لهم في أوروبا(54) ويذكر المؤلف أن عدد القوات التي حاصرت غرناطة كان أكبر بكثير من عدد القوات الغرناطية، مخالفا بذلك الرواية المتواترة من أن جيش غرناطة كان كبيرا، وتضيف الوثيقة أن «أهالي غرناطة مروا بمعاناة قاسية خلال أعوام الحصار، وقامت القوات الإسبانية بتحطيم وحرق الحقول المجاورة للمدينة، ما تسبب في مجاعة رهيبة بين سكان غرناطة، ولهذا السبب أكلوا الخيول والكلاب والقطط .

وتتعرض الوثيقة أيضا للكنوز الهائلة التي حصل عليها الإسبان بعد الفتح «ففي مسجد غرناطة كان هناك 300 مصباح من الذهب والفضة.. وعثر ملك إسبانيا على كميات هائلة من الذهب وبها بنى الكنيسة مكان المسجد». [55] ويذكر المؤلف الإنجليزي أن «الملك فرناندو لم يسمح للمسلمين إلَّا بما يستطيع كل واحد منهم أن يحمله على ظهره من حاجات، ما عدا الذهب والفضة والسلاح»، ولهذا فان الجيش الإسباني وجد عند دخوله المدينة الآلاف من الأسلحة من سيوف ودروع ومناجيق [56] ويشير الدكتور غوميث سولينيو إلى أن الوثيقة تذكر أن فتح غرناطة تم عام 1491 والصحيح هو 1492، والسبب هو أن السنة الجديدة لدى الإنجليز كان تبدأ في 25 مارس آذار) وليس الأول من شهر يناير (كانون الثاني). [57] ويختتم الدكتور غوميث سولينيو بحثه حول تبعات سقوط غرناطة فيقول أن انهيار الحكم العربي في هذه المدينة كان له صدى كبير وواسع جدا ليس فقط في إسبانيا وانما في كل أوروبا، فأقيمت الصلوات في العديد من المناطق[58]

الأندلس بعد أن فتحها المسلمون تمّ تقسيمها إلى خمس وحدات إدارية أساسية، والتي ضمت كلاً من أندلوسيا، والبرتغال، وغاليسيا، وأراكون، وقشتالة، وليون، وبرشلونة، إضافةً لسبتمانيا التاريخية، أمّا من الناحية السياسية فكانت في بداية الأمر عبارة عن ولاية تابعة للدولة الأموية، خلال فترة حكم الوليد بن عبد الملك، وبعد أن انهارت الدولة الأموية توّلى عبد الرحمن بن معاوية زمام أمورها عندما قامت الدولة العباسية، حيث أسس فيها إمارة قرطبة والتي دامت مئة وتسعة وسبعين سنة، وبعد ذلك عمل عبد الرحمن على إعادة تأسيس الدولة الأموية إلى أن تفككت إلى مجموعة من الدويلات معروفة باسم دول الطوائف. [59]

تعاقبت الإمارات والدويلات الأندلسية، وأصبحت وجهة خصبة للتبادل الثقافي ما بين المسلمين والمسيحين إضافةً لليهود من ناحية، وبين البربر، والعرب، والإفرنج، والقوط من ناحية أخرى، ومع مرور الوقت انصهرت جميع هذه الثقافات في خليط واحد جعل الأندلس مميزةً عن باقي الأقاليم الإسلامية، ولكن على الرغم من ذلك إلّا أنّ الشريعة والنهج الإسلامي كان المصدر الأساسي للقضاء وحلّ الخلافات والنزاعات المختلفة، ولم يكن المسلمون متزمتون بآرائهم بل سمحوا لليهود والنصارى بالرجوع إلى كتبهم وأديانهم لحلّ مشاكلهم بنفسهم، فلم يفرضوا آرائهم. [60]

محاكم التفتيش:

محاكم التفتيش كان الهدف منها تعقب كل من لم يكن عضواً أرثدوكسياً في الكنيسة الكاثولوكية وإنهاء حياته. كانوا يجبرون من يقع بأيديهم على الاعتراف بخطاياهم وكان متهومهم يراقبوهم متخفين تحت القبعات الطويلة.. حيث كانوا يحرقوا المذنبين على الخشبة أحياءً ! عام 1526 اتتت محاكم التفتيش إلى غرناطة حيث خيروا المسلمين بين اعتناق المسيحية أو مغادرة البلاد أو التعرض للعقاب. وكانوا ياخدوا الاطفال والنساء في الليل ليحتجزوهم في الكنائس ليحاكموا في الصباح التالي. رغم مافعلته المحاكم بمسلمي الاندلس واعتناق العديد منه المسيحية إلا أن الكثيرين بقوا مسلمين في السر. وفي سنة 1609 أمر اللملك الإسباني بطرد جميع المسلمين من اسبانيا ويذكر الدكتور « دوايت رينولد « ان الاشخاص الدين طردوا لم يكونوا من العرب أو البربر بل كانوا من سكان أيبيريا الأصليين وكان أبناء عمومتهم في الشمال يطردونهم من ديارهم... وهي رواية مختلفة تماماً عن حقيقة عملية الطرد وهذفها ولا سيما أن الاشخاص الذين طردوا كانوا

من السكان الاصليين. وفي فترة لا تتعدى عشرة اعوام طُرد أكثر من 250 ألف مسلم ومنعوا من أخد ممتلكاتهم, حيث لجائوا إلى شمال أفريقيا (ولا يزال العديد من العائلات التي ترجع اصولهم إلى مسلمين الاندلس يعيشون في شمال افريقيا وخصوصاً بالمغرب وهم من المسلمين من اصول ايبيرية)نص الصفحة. نص الصفحة. دام الوجود الإسلامي في اسبانيا قرابة 800 سنة كدولة مسلمة وكانت تعرف بالأندلس حينها وهو الاسم الذي أطلقه العرب على اسبانيا، قام الإسبانيون بحروب الاسترداد وفي نهاية القرن الخامس عشر عند سقوط غرناطة آخر ممالك المسلمين عادت اسبانيا إلى حكمها الذاتي.ولم يعرف الأسبان عندما نفوا العرب من بلادهم أنهم إنما يخربون بيوتهم بأيديهم، ولم يدركوا أنهم قتلوا الإِوَزَّة التي تبيض الذهب، فقد كانت أسبانيا ولقرون طويلة في حكم العرب مركز المدينة، منبع الفنون والعلوم، مصباح الهداية في أوربا.[61]

الحضارة الإسلامية في الأندلس:

كان للأندلس دور كبير في التأثير على أوروبا والممالك المجاورة لها، وعند قيام الدولة الأموية في الاندلس كان يقصد قرطبة العديد من أبناء أوروبا لطلب العلم. وقد دام الحكم الإسلامي للأندلس قرابة 800 سنة. وفي العصر الحاضر لا تزال منطقة جنوب إسبانيا تعرف باسم الأندلس وتعتبر إحدى المقاطعات التي تشكل إسبانيا الحديثة وتحتفظ بالعديد من المباني التي يعود تاريخها إلى عهد الدولة الإسلامية في الأندلس، وتحمل اللغة الإسبانية كثيراً من الكلمات التي يعود أصلها إلى اللغة العربية. وقد قارن الطبيب الأمريكي المؤرخ فيكتور روبنسون بين الحالة الصحية وغيرها في الأندلس وفي أوربا خلال فترة الفتح الإسلامي للأندلس فقال:" كانت أوربا تعيش ظلاماً حالكاً، في حين كانت قرطبة تضيئها المصابيح، وكانت أوربا غارقة في الوحل، في حين كانت قرطبة مرصوفة الشوارع". وإننا لنلمس فضل المسلمين وعظيم أثر مجدهم حينما نرى بإسبانيا الأراضي المهجورة التي كانت أيام المسلمين جنات تجري من تحتها الأنهار، فحينما نذكر تلك البلاد التي كانت في عصور العرب تموج بالعلم والعلماء، نشعر بالركود العام بعد الرفعة والازدهار.

توليدو:

وهي مدينة إسبانية كانت واقعة تحت الحكم الإسلامي كشان بقية المدن ولكن كان يعيبها الضعف في فترة انحلال الحكم الإسلامي هناك فقام الكاثوليك القوط بمحاصرتها ودخولها سريعا... بعد احتلال القوط لها أصبحت مدينة شاهدة على تراث ثقافي عربي كبير فجاء لها العديد من الجماعات المؤلفة من مسلمين ويهود ومسيحيين للتعلم والمعرفة وكان من بين الوافدين رجل إنجليزي يدعى : دانييل مورلي والذى قال عنها انه ذاهب إلى حيث يجد أهم فلاسفة العالم وبعد جولة معرفية هناك رجع إلى إنجلترا محملا بالعديد من الكتب والمؤلفات المفاجأة ان هذا الوافد كان من اوكسفورد[62]

غرناطة:

إقليم جنوبي كبير، وهو الإقليم اللذى تبقى إسلاميا لفترة طويلة أثناء الصراع الإسلامي الصليبى حتى تم عقد حلف سياسي عائلي بين ملكي إسبانيا المسيحيين حيث تم زواج الملك فرديناند من الملكة ايزابيلا، وبذلك أصبح ممكنا التغلب على الإسلام وملكه الضعيف في غرناطة كان للطبيعة الجبلية دورا كبيرا في حماية غرناطة من الهجمات المتتالية للمسيحيين الذين زحفوا من الشمال على كل الاقاليم والمدن الأسبانية, ولكن لم يعد هناك وقت كثير وقد بدا الوقت ينفد...بالزواج تم عقد حلف قوى وتوجهت الحشود لاستعادة

غرناطة اخر معاقل الإسلام في الاندلس وتم الحصار لمدة عام كامل ,وفى عام 1496 دخل فرديناند وايزابيلا القصر الملكي في غرناطة مرتدين زيا صمم خصّيصا لذلك اليوم واستلموا مفاتيح المدن من الملك العربي الضعيف عبد الله الصغير الذى يروى انه بكى وفى رواية أخرى انه قال لامه عندما لامته على تسليم المفاتيح هذا سلام الشجعان فأنشدته البيت الشهير: ابكى مثل النساء على ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال, وكان بمقتضى التسليم ان يكون الملك مؤمنا هو واهل البلدة على انفسهم واموالهم ولكن تم فرض الاقامة الجبرية عليه ثم مصادرة امواله وممتلكاته وقتله في النهاية.... بسقوط غرناطة يبدا عصر التفتيش[63]

تاثير المسلمين في العلوم:

ويمكننا ان نقول ان تأثير المسلمين في بعض العلوم كعلم الطب مثلا دام إلى الزمن الحاضر. فقد شرحت كتب ابن سينا في مونبيليه في اواخر القرن الماضي. واذا كان تأثير المسلمين في أنحاء أوروبا التي لم يسيطروا عليها الا بمؤلفاتهم، فقد كان تأثيرهم أكبر من ذلك في البلاد التي خضعت لسلطانهم كبلاد اسبانيا. اشتهر مسلمو اسبانيا في العصر الأندلسى بحب أقتناء الكلاب, وكان من هذه الكلاب نوع يسمى كلب الماء Spanish Water Dog - Perro de Agua Espanol – TurcoAndaluz وكان يستخدم في صيد الأسماك. كما عرف عن الأندلسيون حب الماء والسباحة وكانت تحتوى بيوت القادرين منهم على برك للسباحة «أحواض للسباجة». واشتهروا أيضاً بحب الموسيقى مثل الموشح الأندلسى والذي يرجع في موسيقاه إلى الموسيقى القوطيه ورقص الفلامنكو وموسيقى الفانجدو وصناعة الوتر الخامس للعود على يد زرياب وتطور آلة العود إلى الجيتار.واشتهروا أيضاً بالعمارة الأندلسية والنافورات والزجاج المعشق والزجاج الملون كما ساهم الأندلسيون الذين هاجروا إلى بلاد إسلامية أخرى في نقل أسرار صناعة البارود للشعوب الإسلامية الأخرى كما اشتهر الأندلسيون بالخط الأندلسى المائل سواء كتب بالحروف العربية أو كتب بالحروف اللاتينية. وفي العصر الحاضر لا تزال منطقة جنوب إسبانيا تعرف باسم أندلوثيا وتعتبر إحدى المقاطعات التي تشكل إسبانيا الحديثة وتحتفظ بالعديد من المباني التي يعود تاريخها إلى عهد الدولة الإسلامية في الأندلس، وتحمل اللغة الإسبانية كثيراً من الكلمات التي يعود أصلها إلى اللغة العربية مثل كلمة بركة.[64]

حضارة الاندلس تبرز في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر:

بعد أن استقرت الأوضاع في الاندلس، توجه الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى ارساء دعائم الحكم في كل الاتجاهات الداعية إلى بناء الدولة. عام 336هـ 948م.

من الناحية السياسية:

أصبحت قرطبة أيام الخلافة في المكانة السياسية التي تفد إليها الوفود والرسل من جميع الدول، فقد وصل إليها سنة 336 هـ وفد من «بيزنطة الشرقية» من القسطنطينية - استانبول حاليا- لتطوير العلاقات بين دولة الرومان الشرقية وبين الاندلس، فهال الوفد ما رأوه من عظمة الاندلس ورقيها ورد الناصر بوفد يرأسه «هشام بن بديل» بالهداية الثمينة إلى ملك الروم، ودامت السفارات بينهما. كما جائت وفود الدول المجاورة لدولة قرطبة تلتمس الصداقة، وتبادل السفراء فيما بينها ومن مختلف المناطق حتى من نصارى شمال الاندلس، فأجروا مع الناصر معاهدات سلم وأمن، فأمن المسلمون في الثغور وساد الهدوء. مات في عام 339هـ «راميرو الثاني» ملك ليون، فاقتسم ولداه أردينو وشانجة الملك، ثم تنازعا مما جعل «شانجة» - وهو

الصغير- يطلب المساعدة والعون من الناصر بالذات، ولم يتوان الناصر في ذلك فأمد «شانجة» بمال وعتاد مكنه من استلام الحكم، لذلك عقد مع الناصر معاهدات أمن وسلام.[65]

من الناحية الاجتماعية:

تفنن الناس في أنواع الطعام والغناء والطرب، وانشغلوا عن الاستعداد للجهاد، وكان من سن فيهم هذه السنة «زرياب» فأشغل الناس بابتكاراته في عالم الطعام واللباس، فلكل فصل نوع من الطعام واللباس، ولكل مجلس آداب وتقاليد، ولكل حفلة طرب وغناء و(موسيقا) بمختلف الالحان، ولقد تصدى العلماء على محاربة الترف والاسراف، منهم «المنذر بن سعيد البلوطي» قال عنه «ابن بشكوال» منذر بن سعيد خطيب ماهر لم يكن بالأندلس اخطب منه، مع العلم البارع، والمعرفة الكاملة، واليقين في العلوم والدين، والورع وكثرة الصيام والتهجد والصدع بالحق، كان لا تأخه في الله لومة لائم، وقد استسقى في غير مرة فسقي، وكذلك الخليفة الذي بيده متاع الدنيا الكثير يقف خاشعاً متضرعاً إلى الله ان ينزل الماء وأن لا ينال المسلمين قحط أو حرمان من رحمة الله بسببه، وهو الذي ما قصر يوماً بحق الإسلام والمسلمين.

من الناحية العمرانية:

أصبحت قرطبة من أكبر مدن العالم آنذاك سكانا، إذ بلغ عدد سكانها نصف مليون، ولم يكن مدينة أكبر منها الا بغداد، وبلغت دورها ثلاثة عشر الفا (دور واسعة في عربية كما يقال)، بالإضافة إلى القصور، كان فيها ثلاثة آلاف مسجد، فهل في هذا العصر مدينة مثلها بعدد مساجدها؟[66]

من الناحية الادارية:

قسمت قرطبة وحدها إلى ثمانية وعشرين ضاحية، وقسم رجال الشرطة إلى شرطة بالليل وشرطة بالنهار، وجعل قسم منهم لمراقبة التجار، ونظم جباية المال وموارد بيت المال حتى بلغ دخل هذا البيت (6,245,000)دينارا ذهبياً، ولما مات الخليفة عبد الرحمن الناصر فقد ترك في بيت المال ثلاث مائة مليون ليرة ذهبية، وكان ثلث هذا المبلغ يرصد لتغطية نفقات الدولة الجارية، ويدخر الثلث الثاني، وينفق الباقي على مشروع العمران، لذلك أطلق على قرطبة لقب «جوهرة العالم» في ذلك الزمان، وحق لها هذا اللقب. وكذلك نظم أسلوب البريد،و نظم المالية، فالضرائب والمكوس والخراج والجزية، ونظم القضاء ووضع شروطاً لتولي القضاء، في الناحية الفقهية، وفي العدالة والاستقامة، ولم يشترط عربية الجنس في القضاء، وأنشأ قضاءً جديدا أسماه قضاء المضالم ما يقابل الاستئناف في يومنا هذا، وأوجد جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك جعل نظام الحسبة ففي كل بلد محتسب، يشرف على الاسواق التجارية ومشاكلها وقوانين القضاة.[67]

من الناحية الاقتصادية:

نمت الزراعة نمواً مزدهراً، فتنوعت أشجار الفواكه والمزروعات من قصب السكر والأرز والزيتون والكتان، وأوجد مزارع خاصة لتربية دودة القز، كما نظم اقنية الري وأساليب جر المياه، وجعل تقويما للزراعة لكل موسم (ومنها انتقلت الزراعة إلى أوروبا). وفي الصناعة جعلت المناجم، وطور أنواعها، الذهب والرخام والفضة والرصاص والنحاس، وتطورت صناعة الجلود، ومراكز خاصة لصناعة السفن وآلاتها، وصناعة الزيتون والأدوية، وفي زمنه ظهرت الأسواق الخاصة للبضائع، فهناك سوق للنحاسين، وسوق للزهور والشحوم وسوق للزيتون.[68]

من الناحية الثقافية:

صارت قرطبة مركزاً للعلوم والآداب، وانتشرت الثقافة وكثر الإنتاج العلمي وشاعت المعرفة، وبلغ عدد الكتب «400،000» كتاب في مكتبة واحدة هي (مكتبة الحكم)، وبلغ عدد المكتبات «70» مكتبة. ووضعت لها فهارس دقيقة، وتصانيف عديدة، كما ظهر النساخون الذين كانوا يقومون بدور المطابع في عصرنا، وظهر المجلّدون لتجليد الكتب والعناية بها وحفظها، وكان «عبد الرحمن الناصر» يُعرف بحبه للعلم والعلماء، وكان من أشهر العلماء القاضي عبد الله محمد بن محمد الذي اخذ العلم من مائتين وثلاثين شيخاً، كما ظهر القاسم بن الدباغ الذي نقل العلم عن مائتين وستة وثلاثين شيخاً، ولم يكتف بما أخذ من الأندلس بل سافر إلى المشرق لينهل من علومه، وكان من بين العلماء الأندلسيين الذين قدموا المشرق الإسلامي. وبرزوا من خلال ابن عطية في التفسير، كما اشتهر في الفقه: الباجي وابن وضاح وابن عبد البر، وابن عاصم والمنذر بن سعيد في الفقه والحديث، وظهر بالفلسفة ابن رشد وابن مسرة القرطبي وبرز في اللغة ابن سيده صاحب المعجم، وأبو علي القالي صاحب الامالي الذي تلقى تعليمه في بغداد ثم رحل إلى الاندلس فبلغ في فقه اللغة شأناً بعيداً هناك، وكتب ابن قوطية في التاريخ، وبرز شاعر عظيم هو محمد بن هانئ الأندلسي ضاهي المتنبي وأبو تمام وكان أهل الاندلس يأملون له مكانة مثل عظماء الشعراء لكنه مات صغيراً. و غيرهم فقد عمل عبد الرحمن الناصر على نشر المعرفة في ربوع البلاد، فابتنى في قرطبة وحدها سبعاً وعشرين مدرسة وأدخل إليها الفقراء من الطلاب مجاناً، حتى أصبحت قرطبة في عهده منارةً تجتذب إليها الأدباء والعلماء والفنانين. [69]

سقوط دولة الاندلس:

أعوام من التماسك انتهت بنهاية الدولة العامرية:

استمر التواجد الإسلامي في الأندلس قرابة 800 عام، ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى جزأين: الأول امتد منذ بداية الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة العامرية وتميز بكونه عهداً ذهبياً استطاع فيه الأمويون الحفاظ على وحدة الأندلس أو تماسكها، أما الجزء الثاني فكان مع بداية نشوء ملوك الطوائف الذين حكموا دويلات متفرقة أضعفها التناحر فيما بينها حتى سقطت جميعها بيد الإسبان. [70]

بدأت قصة المسلمين في الأندلس عام 711، عندما شن طارق بن زياد، في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك، حرباً ضد مملكة القوط الغربيين الذين حكموا شبه جزيرة إيبيريا، ومنذ ذلك الحين أصبحت تلك المنطقة ولاية تابعة للخلافة الأموية في دمشق وأطلق عليها اسم «الأندلس".

وبقي الأمر على ذلك الحال حتى سقوط الدولة الأموية على يد بني العباس الذين بدؤوا بملاحقة أمراء بني أمية فقُتل منهم مَن قُتل ونجا منهم من نجا.. وكان من بين الناجين عبدالرحمن بن معاوية الملقب بـ»صقر قريش» أو عبدالرحمن الداخل، والذي تمكن من الوصول إلى الأندلس لتأسيس خلافة أموية مستقلة هناك عام 756، حيث بقيت الأندلس كياناً قوياً واحداً إلى أن سقطت الدولة العامرية التي كانت تدين بالولاء ظاهرياً للأمويين.

مع انتهاء الخلافة الأموية في الأندلس، شهدت المنطقة حقبة جديدة اتسمت بالتفرقة والضعف وعرفت باسم مرحلة «ملوك الطوائف» حيث قسمت الأندلس إلى قرابة 22 دويلة، منها غرناطة وإشبيلية،

والمرية وبلنسية، وطليطلة وسرقسطة. وقد وصل ملوك الطوائف إلى مرحلة من الضعف باتوا فيها يدفعون الجزية لألفونسو السادس ملك قشتالة، ويستعينون به أثناء تناحرهم مع بعضهم البعض مقابل إمداده بالأموال أو التنازل له عن القلاع والحصون والأراضي.[71].

ضعف ملوك الطوائف كان سبباً في انهيار الحكم الإسلامي في الأندلس، ومع ذلك فقد كان انهياراً بطيئاً للغاية استمر 407 أعوام وبدأ بسقوط طليطلة.

سقوط طليطلة.. أولى ممالك الطوائف الزائلة

فيما اقتسم الأمراء دويلات الأندلس، كانت طليطلة من نصيب بني ذي النون الذين تعود أصولهم إلى البربر.

ومقارنة بباقي ملوك الطوائف، كان بنو ذي النون الأضعف على الإطلاق، إذ لم يستطيعوا أن يحافظوا على دويلتهم فترة طويلة وسرعان ما سقطت لقمة سائغة في أيدي الإسبان.

كان لطليطلة تحديداً أهمية بالغة لدى الإسبان، فقد كانت عاصمة القوط قبل دخول الإسلام إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، كما أنها متاخمة لحدود الممالك الإسبانية مما يجعلها بوابة عبور باتجاه باقي دويلات ملوك الطوائف.

عدا عن ذلك فقد دخل مسلمو طليطلة وسرقسطة في صراع مع بعضهم البعض، واستعان الطرفان بالملوك الإسبان لنجدتهم ضد إخوانهم.[72]

وفي الوقت الذي شهدت فيه الولايات المسلمة ضعفاً وفرقة وتناحراً، كان الإسبان يعملون على توحيد رايتهم، وخاصة الملك ألفونسو السادس الذي استطاع ضم مملكتي قشتالة وليون تحت رايته.

كل هذه العوامل ساهمت في إغراء ألفونسو للاستيلاء على طليطلة، فحاصرها حتى استسلم أهلها عام 1085، واتخذ منها عاصمة لمملكته.

وما كانت طليطلة إلا البداية فقط بالنسبة لألفونسو الذي بدأ بإرسال رسائله لبقية ملوك الطوائف داعياً إياهم للاستسلام أو الاستعداد لمواجهة مصير طليطلة.

المرابطون الذين أخّروا سقوط الأندلس 4 قرون:

من بعد طليطلة، وجَّه ألفونسو أنظاره نحو إشبيلية التي كان يحكمها المعتمد بن عباد آنذاك، وكانت واحدة من أقوى ممالك الأندلس؛ إذ ضمت قرمونة وولبة والجزيرة الخضراء إضافةً إلى قرطبة، عاصمة الخلافة الأموية السابقة. وبالرغم من ذلك لم تمتلك إشبيلية من القوة ما يجعلها تصمد أمام جيوش ألفونسو، فما كان أمام ابن عباد من خيار سوى الاستعانة بـ»يوسف بن تاشفين»، أمير دولة المرابطين في المغرب.

ركب ابن تاشفين البحر مع جيشه وصولاً إلى الأندلس، واجتمع مع جيش الأندلسيين بقيادة ابن عباد لمواجهة ألفونسو السادس في معركة الزلاقة عام 1086.[73]

مُني الإسبان بخسارة مدمرة في هذه المعركة وأصيب ألفونسو السادس إصابة في فخذه تسببت في عرجه طوال حياته، ويشار إليها إلى أنها المعركة التي أخَّرت خروج المسلمين من الأندلس 4 قرون أخرى.

وبعد مرور بضعة أعوام على هذه المعركة، قرر المرابطون ضم ملوك الطوائف إلى ملكهم وكان من السهل على جيوشهم القوية اختراق دفاعات دويلات الأندلس الضعيفة، فاستولوا على غرناطة ثم على

طائفة المرية عام 1090، وعلى إشبيلية عام 1091، وعلى طائفة بطليوس عام 1094 وعلى طائفة سرقسطة عام 1110[74].

سقوط غرناطة:

استمر حكم المرابطين في الأندلس فترة طويلة من الزمن، إلى أن انهار أخيراً على يد الموحدين عام 1147 الذين حكموا بدورهم حتى عام 1212 حيث تمت هزيمتهم من قِبل قوات ألفونسو الثامن في موقعة «العقاب". مع ذلك لم ينتهِ الوجود الإسلامي في الأندلس مع نهاية الموحدين، على الرغم من استمرار توسع الإسبان وإسقاطهم للمدن والحصون المسلمة واحدة تلو الأخرى. ولم يستطِع الإسبان السيطرة على كامل الأراضي الأندلسية إلا في عام 1492 حين سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس.[75]

عدا عن عزلة غرناطة التي بقيت في النهاية تحارب وحدها، ساهمت العديد من العوامل الأخرى في سقوطها، وكان أبرزها استخدام الإسبان الفعال للمدفعية لإخضاع المدن التي طال حصارها، وتوحد الممالك الإسبانية فقد كانت الحرب على غرناطة مشروعاً مشتركاً بين إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة وليون و فرديناند الثاني ملك أراغون.

مع ذلك لم يكن سقوط غرناطة سهلاً، فقد صمدت المدينة 10 أعوام أمام الحملات العسكرية المتتالية التي أنهكت المدينة، حتى قام أميرها أبو عبدالله الصغير بتسليمها في نهاية المطاف إلى الإسبان لتصبح جزءاً من قشتالة ولينتهي بسقوطها حكم إسلامي دام قرابة 8 قرون.

فكان سقوط الأندلس في الثاني من شهر ربيع الأول سنة 897هـ = 2 من يناير سنة 1492م. وقد مر على سقوطها 538 سنة.[76] وهاجر بعدها أبو عبد الله الصغير إلى بلاد المغرب الأقصى، واستقر بفاس، وبنى بها قصوراً على طراز الأندلس، وكانت ذريته بعده يعدون من جملة الشحاذين.. إنها عاقبة الذل والخيانة.[77]

خلاصة القول بهذا انطوت صفحة عظيمة من التاريخ، وانتهت حضارة وصلت إلى أوج ازدهارها، وخسر العالم حضارة الدين والدنيا في الأندلس، وارتفعت راية النصرانية على أرضها، وغربت شمس حكم المسلمين هناك بسبب مخالفة سنن الله في استمرار الأمم ورقيها، فأصبحت حضارة الأندلس حصيداً حصدته سنن التاريخ جزاء وفاقاً. ورغماً عن سقوط الأندلس في يد الفرنجة، إلا أنها ستعود لنا يوماً ما، يوم يأخذ المسلمون بسنن النصر وقوانينه، بل ستعود إليهم كل بقعة أخذت منهم قسراً أو غصباً.

الخاتمة:

كان لسقوط الاندلس دوى هائل وعميق في مختلف أنحاء العالم الإسلامي واهتم الحكام المسلمين في المناطق المجاورة لهذا الحدث الجلل، واعتبر المسلمين في كل مكان، أن سقوط الأندلس صدمة مريعة وتحدياً مخيفاً كان له أسوا الاثر في نفوسهم فعلى الرغم من أن الأندلس ظلت منذ زمن طويل تفقد حيزاً كبيراً من سلطتها المادية، فأن مكانتها الأدبية والروحية لا زالت قوية فبكى سقوط الكثير من المؤرخين والباحثين والعلماء منهم أبن الاثير الذى قال» لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لهاء كارها لذكرها، فانا اقدم اليه رجلا واخر أخرى، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، واليتني من قبل حدوثها وكانت

نسياً منسياً وكان لسقوط الأندلس دروس وعبر. وعلى ضوء ذلك توصل البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات نذكر فيما يلي:

النتائج:

سقوط طليطلة عام (1085م) بداية الأنهيار الحقيقي للحكم الإسلامي في الأندلس.

تعتبر مملكة استورياس في جليقية أول الإمارات الفرنجية في شمال إيبيريا بعد الفتح الإسلامي.

غرناطة آخر إمارة إسلامية سقطت في الأندلس عام (1492م).

استنجد مسلموا الأندلس بالمرابطين والموحدين حكام شمال إفريقيا لصد العدوان الصليبي على الأندلس.

كان للأندلس دور في التأثير على أوروبا والممالك المجاورة لها حيث كان يقصدها العديد من أبناء أوروبا لطلب العلم.

التوصيات:

من خلال من توصل إليه البحث من نتائج نوصي بالآتي:

- على الباحثين تتبع الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا والأندلس.
- الوقوف على سمات الفن الأندلسي في شتى المجالات العلمية.
- يجب معرفة تاريخ ملوك الطوارئ لما له الأثر الكبير في تاريخ الأندلس.
- أوصي لاطلاع على حضارة غرناطة لأنها كانت أجمل مدينة في العالم.
- أوصي حكام المسلمين بالابتعاد عن الفتن والصراعات الدولية لكي لا تسقط حضارتهم الإسلامية.
- المحافظة على التراث الإسلامي لينهل منه طلاب العلم.

الهوامش:

(1) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، (مصر المرابطين والموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1986م، ص 123..

(2) عدنان عبد الله.دزلة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، ط2، 1411هـ - 1990م، ص 158.

(3) كمال السيد أبو مصطفي، تاريخ الغرب والأندلس، مركز الإسكندرية، للكتاب، (د. م)، 2003م، ص69.

(4) أحمد بن محمد المغربي المالكى الشهير بالمفتي ، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، (ت. أ)، محمد محى الدين عبد الحميد، مطبعة عيسى البابلى وشركاؤه ، مصر ،1919م،ص329.

(5) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس من الفتح العربي، حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1988م، ص174.

(6) ابن القوطية, أبو بكر محمد بن عمر تاريخ افتتاح الأندلس، المرجع السابق، ص 29.

(7) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص183..

(8) إبراهيم الإبياريk أخبار مجموعة في فتح الأندلس. دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت. (1989). ، ص 35

(9) إبراهيم الإبياري ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، المرجع السابق. ص 37

(10) إبراهيم الدوري: وسياسته الخارجية والداخلية، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982م، ص 54.

(11) إبراهيم الإبياري، أخبار مجموعة في فتح الأندلس. المرجع السابق. ص 36

(12) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ص 43-42.

(13) عنان، محمد عبد الله. دولة الإسلام في الأندلس، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة. (1997) ص 34.

(14) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت 456هـ/1065م)، جمهرة أنساب العرب. دار المعارف، القاهرة (1982) ص 44.

(15) ابن حزم، علي. رسائل ابن حزم الأندلسي – ح2. المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ت: إحسان عباس، (1987)، ص 55.

(16) شهاب الدين أبوالعباس أحمد ابن محمد ابن أحمد ابن يحيى القرشي هو مؤرخ مسلم ولد في تلمسان سنة 1578م، وتوفي سنة الرابطة المجمدية للعلماء، القاهرة ، 1631م ، ص 78.

(17) المقري، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمدk أزهار الرياض في أخبار عياض - الجزء الثاني. المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب، القاهرة.، (1940). ، ص46.

(18) دوزي، رينهارت المسلمون في الأندلس، الجزء الأول. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1998) ص 78

(19) دوزي، رينهارت ، المرجع السابق، ص 66.

(20) ابن عذاري المراكشي هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري ، (695هـ 1295-م) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب - الجزء الثاني. دار الثقافة، بيروت.، 1980 ص 49.

(21) ابن حزم، علي (، المرجع السابق، ص 88.ن عباس

(22) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ). دار التوفيقية للطباعةالوسيط|المؤلف= تم تجاهله (مساعدة)، ،(2008). ص 44.

(23) مؤلف مجهول، المرجع السابق، ص 123..

(24) خليل إبراهيم السامرائي، وآخرون تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، (2000) ، ص 44.. الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الرقم المعياري= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة)

(25) نعنعي، عبد المجيد تاريخ الدولة الأموية في الأندلس – (التاريخ السياسي). دار النهضة العربية، بيروت. الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); (1986) ص 123.

(26) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمدالبيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب-ج2، دار الثقافة، بيروتالوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); ، (1980). ، ص 56.الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)

(27) انتصار محمد صالح الدليمي، التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300- 366 هـ / 976-912 م. جامعة الموصل، بغداد، (2005) ص 66.

(28) القضاعي، ابن الأبّار الحلة السيراء. دار المعارف، القاهرة. ، (1997). ص 89.

(29) ابن حزم، علي جمهرة أنساب العرب المرجع السابق، ص 90.

(30) عناني، محمد زكريا، المرجع السابق، ص 123. . الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|وصلة المؤلف= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)

(31) دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي. مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة. الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)، (1994)، ص 34.

(32) العذري، أحمد بن عمر بن أنس. نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك. منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ص 122.. الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)

(33) المقري، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. دار صادر، بيروت. (1988)الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); ، ص 78.الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)

(34) عدنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول. مكتبة الخانجي، القاهرة، (1997)،، ض 89

(35) الشيخ، محمد محمد مرسي دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي (755م976-م 138هـ366-هـ). مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندريةالوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة)؛ (1981)، ص 43

(36) دوزي رينهارت المسلمون في الأندلس - الجزء الثاني. الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ـ (1994)، ص 23

(37) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال أو ابن بَشْكُوال (578-494هـ/-1101 1183م) قاضي ومؤرخ أندلسي ولد في 1101م وتوفي في 1183م ، دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة);الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)، (1989)، ص 76

(38) أحمد بن محمد بن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م، ص 27.

(39) أحمد بن محمد بن عذاري، مرجع سابق، ص 28.

(40) عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م، ص 77.

(41) أحمد بن محمد المقرّي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1988م.، ص 89

(42) أحمد بن محمد المقرّي التلمساني، المرجع السابق، ص 90.

(43) الدليمي، انتصار محمد صالح التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (366-300هـ/976-912م. (جامعة الموصل)، بغداد، (2005) ص 192

(44) دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي. مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة. الوسيط|سنة= تم تجاهله (،(1994)، ص 124مساعدة); الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)

(45) بالنثيا، أنخل جونثالث، ترجمة حسين مؤنس، تاريخ الفكر الأندلسي. مكتبة الثقافة الدينية، (1955) ، ص 78.

(46) بالنثيا، أنخل جونثالث، ترجمة حسين مؤنس، مرجع سابق ، ص 78.

(47) الشيخ، محمد محمد مرسي، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي 755م976-م 138هـ366-هـ مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية. (1981).ن ص 94

(48) الشيخ، محمد محمد مرسي، المرجع السابق، ص 95.

(49) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف. تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة، (1966) ، ص 46

(50) بن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف. تاريخ علماء الأندلس. المرجع السابق، ص 51.47

(51) عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول. مكتبة الخانجي، القاهرة(1997)..، ص 114

(52) عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال. مكتبة الخانجي، القاهرة (1997)، ص 23.

(53) أحمد بن محمد المقرّي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1988م، ص 78

(54) عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، المرجع السابق، ص 67

(55) محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي، بحثٌ نشرَ ضمن كتاب: (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، تحرير: د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م، ض 40

(56) رسائل ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد ابن حزم القرطبي، تحقيق: د. إحسان عبّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007م، ص 112.

(57) حتاملة، محمد عبده الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة. مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، (2000).ص 85

(58) حتاملة، محمد عبده ، المرجع السابق، ص 86.

(59) حتاملة، محمد عبده الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، المرجع السابق، ص 86.

(60) د. محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي، بحثٌ نشرَ ضمن كتاب: (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، تحرير: د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م، ض 43

(61) الدكتور طارق السويدان: الاندلس، دار النشر: الكويت، ط:2، ربيع الثاني1427هـ- مايو (أيار) 2006م، ص :194.

(62) الدكتور طارق السويدان، الاندلس، المرجع السابق، ص :249 .

(63) الدكتور طارق السويدان: الاندلس، المرجع السابق، ص :196.

(64) الدكتور طارق السويدان: الاندلس،المرجع السابق، ص 147.

(65) المرجع نفسه ص : 198

(66) الدكتور طارق السويدان: الاندلس، المرجع السابق، رقم ص :199

(67) الدكتور طارق السويدان: الاندلس، دار النشر:ا لكويت\ط2، ربيع الثاني1427هـ- مايو(أيار) 2006م، رقم ص :199

(68) أمين، أحمد . ظهر الإسلام، الجزء الثالث. شركة نوابغ الفكر، القاهرة. ((2009، ص 123

(69) الدكتور طارق السويدان: الاندلس\دار النشر: الكويت \ط:2\ سنه :ربيع الثاني1427هـ- مايو(أيار)2006م\ رقم ص : -201-200

(70) أحمد مختار العابدي، في تاريخ المغرب والاندلس ،(د-ط) مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د. ت)ن ص261.

(71) أحمد مختار العابدى، المرجع السابق، ص262..

(72)أحمد بدر ، تاريخ الأندلسس ،_د-ن) ،(د-م) 1983م،ص190.

(73)محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، موسسة شباب الجامعة، (40 ش د) ، مصطفى مشرقة الاسكندرية، (د. ت) ص43.

(74)المورخ المانى يوسف اشباح، ترجمة محمد عبر الاعيان، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،(د-ن) ، ط2 موسسة الخارجية بالقاهرة ،ص64-62.

(75)ابن عزارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، (د-ن) ،(ن،م) ، ط1 1967، دار الثقافة بيروت لبنان ،ص48.

(76)سقوط الأندلس: دروس وعبر، ناصر العمر، ص 27.

(77)دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان: ج7 ص257 وما بعدها.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر

(1) أحمد بن محمد المغربي المالكي الشهير بالمقي ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة عيسى البابلى وشركاؤه ، مصر ،1919م.

(2) أحمد بن محمد المقرّي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1988م،

(3) رسائل ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد ابن حزم القرطبي، تحقيق: د. إحسان عبّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007م.

(4) عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م.

(5) المقري، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. دار صادر، بيروت. (1988)الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة); الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة);. الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)

(6) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة،1989م.

ثانياً: المراجع:

(7) إبراهيم الإبياري (1989). أخبار مجموعة في فتح الأندلس. دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(8) إبراهيم الدوري : عبد الداخل في الأندلس، وسياسته الخارجية والداخلية، العراق، دار الرشيد للنشر، 1982م.

(9) ابن الأثير (2008). الكامل في التاريخ. دار التوفيقية للطباعةالوسيط|المؤلف= تم تجاهله (مساعدة).

(10) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف. تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة، (1966)

(11) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة);الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)، (1989)،

(12) ابن حزم، علي (1987). رسائل ابن حزم الأندلسي - الجزء الأول والثاني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر - تحقيق إحسان.ن عباس

(13) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (1980). البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب - الجزء الثاني. دار الثقافة، بيروت.

(14) أحمد مختار العابدي، في تاريخ المغرب والاندلس ،(د-ط) مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية،261.

(15) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، الجزء الثالث. شركة نوابغ الفكر، القاهرة. ((2009

(16) بالنثيا، أنخل جونثالث، ترجمة حسين مؤنس، تاريخ الفكر الأندلسي. مكتبة الثقافة الدينية، (1955) .

(17) حتاملة، محمد عبده الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة. مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، (2000).
(18) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، (مصر المرابطين والموحدين(، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1986م..
(19) الدليمي، انتصار محمد صالح التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (366-300هـ/976-912م. (جامعة الموصل)، (2005) .
(20) دوزي رينهارت المسلمون في الأندلس - الجزء الثاني. الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ـ (1994)،
(21) دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي. مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة .
الوسيط|سنة= تم تجاهله (،،(1994)، مساعدة)؛ الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)
(22) السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون (2000). تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس. دار الكتاب الجديد المتحدة، 44.. الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الرقم المعياري= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|العنوان= تم تجاهله (مساعدة)
(23) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس من الفتح العربي، حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، 1988م.
(24) الشيخ، محمد محمد مرسي دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي (755م976-م 138هـ366-هـ). مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية. الوسيط|سنة= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الناشر= تم تجاهله (مساعدة)؛ الوسيط|الأول= تم تجاهله (مساعدة)؛، (1981)،
(25) طارق السويدان: الاندلس، دار النشر: الكويت، ط:2، ربيع الثاني1427 هـ- مايو (أيار)2006 م،.
(26) عدنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول. مكتبة الخانجي، القاهرة، (1997)،.
(27) عناني، محمد زكريا (1999). تاريخ الأدب الأندلسي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية. الوسيط|الأخير= تم تجاهله (مساعدة)
(28) القضاعي، ابن الأبّار (1997). الحلة السيراء. دار المعارف، القاهرة..
(29) كمال السيد أبو مصطفي ، تاريخ الغرب والأندلس، مركز الإسكندرية، للكتاب،2003م،
(30) محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، موسسة شباب الجامعة، (40 ش د) ، مصطفى مشرقة الاسكندرية.
(31) محمود علي مكي، تاريخ الأندلس السياسي، بحثٌ نشرَ ضمن كتاب: (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، تحرير: د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م
(32) نعنعي، عبد المجيد (1986) تاريخ الدولة الأموية في الأندلس – التاريخ السياسي. دار النهضة العربية، بيروت.
(33) يوسف اشباح، ترجمة محمد عبر الاعيان، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،(د-ن) ،م، الثانية موسسة الخارجية بالقاهرة .

حملة أبرهه الحبشي لهدم الكعبة المشرفة وموقف القبائل العربية منها (دراسة تاريخية تحليلية)

أ.هنوف سعود هاشم القرشي

باحثة - المملكة العربية السعودية

المستخلص :

تهدف هذه الدراسة لألقاء الضوء على الدوافع والأسباب الحقيقة التي دفعت أبرهه الحبشي المعروف بأبرهه الأشرم للقيام بهذه الحملة، وأيضاً موقف القبائل العربية منها ، حيث تمثل حملة أبرهه الحبشي لهدم الكعبة حلقة من حلقات الصراع السياسي بين القوى الكبرى التي تحيط بالجزيرة العربية، من أجل بسط النفوذ الأستعماري على الدويلات العربية التي تكونت تحت ظلال هذه القوى، أوعلى القبائل المنتشرة في صحراء شبة الجزيرة العربية، وترى الباحثة أن هذه الحملة لاتخلو من الدافع الديني وهو ماذكرته المصادر الأسلامية. وقد تناولت هذه الدراسة عدة محاور:أولاً: المقدمة وقد تم فيه استعراض أبرز الحملات الموجهة ضد مكة قبل حملة أبرهه، ثانياً: تولي أبرهه حكم اليمن وحملته على مكه ،ثالثاً: بناء القليس،رابعاً: حملة أبرهه على مكة وموقف القبائل العربية منها، منهج الدراسة : تستخدم هذه الدراسة منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي القائم على جمع المادة العلمية من المصادر المتعددة وعرض الحقائق وتحليلها.

الكلمات المفتاحية: الكعبة،حملة، الحبشة، أبرهه، قبائل العربية.

Abraha Al-Habashi's Campaign to Destroy the Holy Kaaba and the Position of the Arab Tribes Against It (An Analytical Historical Study)

Hanouf Saud Hashim Alqurashi

Abstract:

This study aims to shed light on the real motives and reasons that prompted Abraha Al-Habashi, known as Abraha Al-Ashram, to carry out this campaign, as well as the position of the Arab tribes towards it. The colonialist forces attacked the Arab states that were formed under the shadow of these forces, or the tribes scattered in the desert of the Arabian Peninsula, and the researcher believes that this campaign is not devoid of a religious motive, which was mentioned :by Islamic sources. This study dealt with several themesFirst: The introduction, in which the most prominent campaigns directed against Makkah were reviewed before Abraha's campaignSecond: Abraha assumed the rule of Yemen and carried him to Mecca Third: Building Al-Qalis Fourth: Abraha's

campaign against Mecca and the position of the Arab tribes towards it Study Approach This study uses the analytical descriptive historical research approach based on collecting scientific material from multiple sources and presenting and analyzing facts.

Keywords: Kaaba, campaign, Abyssinia, Abraha, Arab tribes

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، أمابعد:

شهدت مكة في عصر الجاهلية العديد من الصراعات السياسية، ، حيث يروي المؤرخون أن رجلاً يدعى تبعًا الأول سار إلى الكعبة، وأراد هدمها وتخريبها، عندما كانت خزاعة قائمة بأمر مكة، فوقفت خزاعة في طريقه، وقاتلت عنه أشد القتال حتى رجع، فالتبابعة –ملوك اليمن- الذين أرادوا هدم الكعبة ثلاثة[1]، وذكر الدارسون أن التبع الأول تصدت له خزاعة وقريش وعاد إلى بلاده مدحورًا، والتبع الثاني تصدى له نفس الجيش؛ فكانت الهزيمة من نصيبه أيضًا[2] أما في عهد قريش فأراد تبع الثالث -وهو الملك تبان أسعد أبو كرب[3] الحميري، ملك متوج باليمن، ويُعرف بتبع اليمني، ويُظن أن ابنه حسان قد عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، وإذا صح ذلك يكون الأب قد عاش في القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد[4]- فقد أراد التبع تبان أسعد –بحسب ما ذُكِر- هدم الكعبة، وسبب ذلك أن نفر من هذيل بن مدركه، أرادوا هلاكه، فقالوا له: إن بمكة بيتاً تعظمه العرب وتفد إليه، وتنحر عنده، فيه اللؤلؤ والذهب والفضة وإن قريشًا قائمة بأمره، وحازت شرفه، وأنت أولى أن يكون ذلك البيت شرفه لك، فأرسل إلى الأحبار، فسألهم عن ذلك، فقالوا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك، ما أراد أحداً البيت بسوء إلا هلك، فعرف نصحهما، ودعا النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم توجه إلى مكة، فطاف بالبيت وأقام بمكة، ورأى بالمنام أن يكسو البيت، فكساه المعافر، ثم كساه الملاء والوصائل،فكان تبع على ما قيل أول من كسا البيت[5]، وبالحديث عن غزوات هذا الملك ضد القبائل والمناطق الواقعة في شمال الجزيرة العربية، فقد أخضع كل من قيس، ونزار، واليمامة وتميم، وكنانة وغيرها[6]

أما عن حملاته وسط الجزيرة، فقد عثر على نقش لهذا الملك في وادي مأسل الجمح قرب الدوادمي والمعروف بـ(ريكمانز، 509/ Ry 509)، وكان ذلك بداية القرن الخامس الميلادي، حيث يذكر هذا النقش أن أبا كرب أسعد غزا مع ابنه حسان أرض معد، بعد أن مر بوادي مأسل الجمح[7]، دون ذكر لتفاصيلها حيث ذكر الدكتور عبد الله أبو الغيث أن السبب من عدم ذكر التفاصيل أن النقش دون قبل الحملة[8].

أما بالنسبة لغزواته خارج الجزيرة العربية، فالاعتقاد الشائع بين المؤرخين أنها مجرد مبالغات أسطورية لا تمت إلى التاريخ الحقيقي بصلة[9] ومما جاء في كتاب إبراهيم حلمي أن البعض يذكر أن سيف بن يزن هو أول من كسا الكعبة، والبعض الأخر يذكر أن سيدنا إسماعيل –عليه السلام- هو أول من كسا الكعبة، لكن الصحيح هو ما ذكره إبراهيم حلمي بأنه لا يوجد رأي قاطع عمّن هو الشخص الذي كان أول من قام بكساء الكعبة[10].

تولي أبرهة حكم اليمن وحملته على مكة:

تذكر المصادر التاريخية أن النجاشي أصحمة جعل على اليمن رجلاً يدعى أرياط، وكان سلطاناً عليها، قائمًا بأمور أهلها، مما أدى ذلك إلى حسد أبرهة له، فأراد أن ينازعه في ملكه، ودعاه إلى البراز فتفرقت الحبشة

إلى طائفتين، طائفة مع أرياط، وطائفة مع أبرهة. تقابل الطرفان واشتد بينهم القتال، فضرب أرياط أبرهة على جبهته بحربته فشرم حاجبه وعينه وأنفه وشفته، فبذلك سمي أبرهة الأشرم، وكان خلف أبرهة غلامه عتوده، فحمل على أرياط فقتله[11]، وصلت الأخبار إلى النجاشي فغضب غضباً شديداً على أبرهة، وحلف ألّا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده، ويجز ناصيته، فلما سمع أبرهة ذلك، حلق رأسه وملأ جراب من تراب اليمن، وأرسل بها إلى النجاشي، وكتب إليه: أنني أنا وأرياط عبيدك وتحت طاعتك، ولكن ما حدث بيننا هو اختلاف أثبت أنني أجدر، وأقوى منه على أمر الحبشة، وحين بلغني قسمك، حلقت رأسي كله، وبعثت إليك بجراب من تراب اليمن لتضعه تحت قدميك»، وأراد أبرهة بذلك رضى النجاشي عنه، وقد تمّ له ذلك[12].

بناء القليس:

عندما كان أبرهة قائمًا على أمر اليمن، رأى الناس يتجهزون للحج إلى بيت الله الحرام، فسأل: إلى أين يذهب الناس، قالوا له: إلى بيت الله بمكة، فقال: مم هو؟ قالوا: من حجارة، قال: وما كسوته؟ قالوا: ما يأتي من ههنا من وصائل، فتعجب أبرهة من ذلك، ومما رأه من تعظيم العرب لمكة، فأراد أن يصرف العرب عن الحج إلى بيت الله الحرام، وقرر بناء كنيسة عظيمة تضاهي الكنائس التي كانت موجودة في ذلك الوقت[13].

شرع أبرهة في بناء الكنيسة وقد أحضر لها أحجاراً من قصر بلقيس [14]، وجعلها شاهقة البناء، وزينها بالرخام الأبيض والأحمر، والأصفر، والأسود، وحلاه بالذهب، والفضة، وحفه بالجواهر، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة، ومنابر من العاج والأبنوس، وكان يوقد فيها بالمندل، ويلطخ جدارها بالمسك، وقد أطلق عليها أسم القليس لارتفاعها وعلوها، وجعلها تفوق الكنائس روعة وجمالاً، فأرسل إلى النجاشي «إني قد بنيت لك كنيسة لم يبنَ مثلها لملك قبلك ولست بمنتهٍ حتى أصرف حج العرب إليها»[15]، وأراد أبرهة بذلك أن يبهر النجاشي بما عمل، وأن يعلي من قدره ومكانته عنده، ويبين له أنه أجدر من غيره على أمر الحبشة. وصل خبر الكنيسة إلى بلاد العرب، وبلغهم ما قاله أبرهة، فغضبوا غضباً شديداً، فأتى رجل يدعى نفيل الخثعمي إلى القليس ليلاً، وجاء بعذره، ولطخ جدرانه، وجمع جيفاً فألقاها فيه، وأراد أن يبين لهم أن الكنيسة ليست سوى مكان لتجمع القاذورات، ولا تليق بأن تكون معبداً، فلما علم أبرهة بذلك وبلغه أن الذي فعل هذا رجل من بلا العرب، أقسم ليهدم الكعبة التي يقدسونها[16]، وتعددت الروايات في ذلك، فالرواية الأولى تقول إن الذي فعل ذلك رجل من بني مالك بن كنانة[17]، والرواية الثانية تذكر أنهم فتية من قريش خرجوا في تجارة إلى الحبشة، وأقاموا بجوار بيعة للنصارى، وأوقدوا ناراً لطعامهم ثم تركوها، فهبت ريحاً أشعلت النار وأحرقت البيعة فغضب النجاشي، فأتاه أبرهة وأبو يكسوم وشرحبيل وضمنوا له إحراق الكعبة، فكانت الحملة إلى مكة[18]. وأما الرواية الثالثة: فذكر السيوطي أن أكسوم حفيد أبرهة خرج حاجاً إلى بيت الله الحرام، فلما انصرف من مكة نزل في كنيسة نجران، فقام نفر من مكة بسرقتها، وأخذ ما فيها من حلي ومنها قناع أكسوم فغضب أبرهة لذلك، وأعد جيشاً من خولان والأشعرين، وجعل قائدهم شهر بن معقود، وأمره بالسير إلى مكة لهدم الكعبة[19]. ويقول جواد علي عن هذه الرواية، غير معقولة لأن أكسوم نصراني والنصارى لا تحج لبيت الله الحرام، لأنها محجة الوثنيين، وما رواه السيوطي بأن الذي سار لهدم الكعبة شهر وهذا يخالف إجماع أهل الأخبار والمفسرين[20]. والرواية الرابعة: ذكرت أن أبرهة اختار محمد بن خزاعي على مضر، وأمره أن يسير إلى الناس يدعوهم إلى حج القليس، فذهب محمد حتى نزل بأرض كنانة، فبعثوا له

رجلًا من هذيل يقال له عروة بن حياض فرماه بسهم فقتله، وقد كان معه أخوه قيس الذي أخبر أبرهة بما حدث، فأقسم أبرهة ليهدمن البيت[21]. والأرجح والذي اتفق عليه أغلب المؤرخين والمفسرين أن الذي قام بالحملة أبرهة، ومن المحتمل أنه لم يكن السبب واحدًا، بل لأسباب عديدة منها الاقتصادية والسياسية، فمن الناحية الاقتصادية كانت اليمن تحت السيطرة الحبشية، مما جعلها تفقد دورها في نقل التجارة العالمية، ومن ثم أصبح الطريق البري عبر الحجاز وتهامة مفتوحًا أمام التجارة الشرقية، فأصبحت مكة ذات موقع استراتيجي مهم، وممرًا للقوافل، فأراد النصارى السيطرة على مكة للاتصال بالتجارة العالمية[22] أما الدافع السياسي، فكان الهدف تحقيق حلم الدولة البيزنطية بفرض سيطرتها على شبه الجزيرة العربية، وتكوين جبهة عسكرية من الأحباش من جهة، ومن الروم المقيمين في بلاد الشام من جهة أخرى[23].

أما الديني، فكان الرغبة في نشر النصرانية في بلاد العرب وهدم الكعبة لتحويل حج العرب، لكنيسة صنعاء(24)، وقال الدكتور صالح العلي عن هذه الرواية بأنها هزيلة فيقول: «فإن أبرهة إذا كان قد بنى كنيسة نصرانية في اليمن ليأتيها النصارى، لا يستطيع إجبار المشركين على زيارة الكنيسة النصرانية، فمكة لا تغتاظ من إنشاء كنيسة نصرانية، لأن مركزها الديني لا علاقة له بالنصارى، كما أنه ليس لأبرهة سلطة عليهم، وهناك عدة بيوت مقدسة لم يرد في التاريخ خبر استياء أهل مكة منها، فلماذا تستاء من القليس؟»[20]

حملة أبرهة وموقف قبائل العرب منها :

تجهز أبرهة الحبشي بعد أن تلقى الدعم المادي والمعنوي من ملك الحبشة النجاشي الذي أرسل له جيشاً ضخما، يتقدمهم فيل يقال له (محمود)، ويقال كان معه ثلاثة عشر فيلاً وهي تتبع محموداً[26]، وقيل اثنا عشر فيلاً غيره، وقيل ثمانية، وقيل كان معه ألف فيل، وقيل كان وحده[27]. ويذكر المؤرخون أن أبرهة عندما أراد السير إلى مكة، سمعت العرب بقدومه وعن ضخامة جيشه، فكانت لهم ردة فعل ولم يستسلموا لما يريد، فكان أول تصدى له من قبل «ذي نفر الحميري»[28]، من أشراف اليمن الذي خرج لقتال أبرهة، ولكن أبرهة تغلب عليه وأخذه أسيراً[29]، فلما وصل أبرهة أرض خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فانهزم نفيل وأخذ أسيراً، فضمن لأبرهة أن يدله على الطريق[30]، سار أبرهة بجيشه حتى وصل الطائف، فخرج إليه زعيم ثقيف مسعود بن معتب الذي كان له موقف سلبي ضد العرب وأعلن الخضوع لأبرهة هو وقبيلته، وقال له: نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريده إنما تريد البيت الذي بمكة. ونستنتج من ذلك أنهم يعظمون اللات أكثر من تعظيمهم حرمة بيت الله الحرام، ولم يكتفِ بذلك، بل أرسل معه أبو رغال ليدله على طريق مكة، فلما وصلوا المغمس مات أبو رغال هناك، فرجمت العرب قبره جزاء لما فعله[31]، يقول جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال[32]

وهذا الفعل الذي قام به زعيم ثقيف، وانضمام بعض القبائل مع أبرهة -نذكر منهم قبيلتي خولان والأشاعرة- أعطى لأبرهة الراحة والتقدم نحو ما يريد، يذكر الدكتور عبد المعطي أن الطريق الذي اتخذه أبرهة لحملته هو طرق القوافل التجارية القديمة المارة بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها والمارة بمنطقة الحجاز خاصة، وذكر أنه لم تثبت أي دلائل نصية أو أثرية لطريق الحملة[33].

ذكر السنجاري أن الفيل دخل الحرم وحسر عند المحسر وهو حد منى مما يلي جهة عرفه، وأن الوادي سمي محسراً لكون الفيل حسر فيه، وقيل إن الفيل لم يدخل الحرم وكان نزول العذاب عليهم بالمغمس[34]، والصحيح ماذكره الدكتور خالد آل زيد وهو أن الهلاك وانحسار الفيل وقع في المغمس ،ثم تذكر الرواية أن أبرهة بعث الأسود بن مقصود على فرسانه، فساق إليه أموال تهامة وكان من بينها مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم، وأرسل رجلًا يدعى حناطة الحميري إلى عبد المطلب، فلما وصل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش فدلوه على عبد المطلب، فلما رآه أخبره بما قاله له أبرهة، بأنهم لم يأتوا لحرب ولا لقتال أحد، إنما أرادوا هدم البيت، «ومن يقف في طريقنا كان حقاً علينا قتاله»[35]

فكان رد عبد المطلب حكيماً ينم عن شخصية سياسية محنكة تتميز بالهدوء والعقلانية حين قال له: والله ما نريد حربه ومالنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، وإن يمنعه فهو بيته، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه.[36] وقد أراد عبد المطلب لقاء أبرهة، فلما أتى العسكر، سأل عن صاحبه ذي نفر فلما دخل عليه، قال له: يا ذا نفر، هل عندك من غناء في ما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك، ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا؟ وقد دلَّه على سائس الفيل أنيس، وكان صديقاً لذي نفر، وأوصاه على عبد المطلب. ذهب أنيس إلى أبرهة وأخبره عن مكانة عبد المطلب في قريش، وأنه صاحب عير مكة وأنه يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، واستأذنه أن يكلمه، فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب رجلاً مهيباً عظيماً وسيماً، فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه عن أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، وأجلس عبد المطلب إلى جانبه، وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك، فكان رد عبد المطلب حكيماً حيث طلب منه أن يرد عليه إبله ولم يكلمه في أمر البيت، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه، يحاول أن يستفز عبد المطلب: قد كنت أعجبتني حين رأيتك وزهدت فيك، أتكلمني في إبلك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك لا تكلمني فيه؟! فرد عليه عبد المطلب بثقة كبيرة وحكمة وقال له: أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه، فرد أبرهة عليه بطغيان وقال: ما كان ليمتنع مني (ولم يعلم أن عاقبة أمره خسرا)، قال له عبد المطلب: أنت وذاك، وأمر أبرهة رجاله برد الابل لعبد المطلب[37].

رفض عبد المطلب استجداء الرحمة من أبرهة، وانصرف إلى قومه، وهو واثق بأن الله سيحمي بيته وسيهلك الطاغية أبرهة ومن معه، كهلاك كل من طغى وتجبر من الأقوام السابقة، فتوجه إلى قومه ونحر الجزور، وأطعم الناس وأمر قومه بالخروج من مكة، والتحرز في رؤوس الجبال، فما كان من قومه إلا طاعته، لأنهم يعلمون حكمة عبد المطلب وصواب رأيه.

بقي عبد المطلب مع نفر من قريش يدعون الله عند الكعبة، ويتضرعون له، فقام وأخذ بحلقة باب الكعبة وهو يردد:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا فامنعهم أن يخربوا قراكا
لاهم أن العبد يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدرا محالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك[38]

ثم اتجه عبد المطلب ومن معه إلى قومه في رؤوس الجبال، ينتظرون ما يفعل أبرهة، فلما أصبح أبرهة، تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، فلما وجه الفيل إلى مكة، أقبل نفيل الخثعمي حتى أتى الفيل، ثم أخذ بإذنه وقال له: أُبرُكْ محمود أو ارجع راشداً من حيث أتيت، فإنك في بلد الله الحرام، فبرك الفيل.

ربما يظهر تعارض بين الرواية التي تشير إلى أسر نفيل وهذه الرواية التي تشير إلى أنه أخذ بأذن الفيل، لكن الأقرب إلى الصحة أنه لا يوجد تعارض بين الروايتين حيث ذكر الأزرقي الروايتين بشكل متسلسل دون أن يشير إلى تناقض، فقد هُزم على يد أبرهة، ولم يقتله أبرهة وأخذه أسيرًا مقابل أن يكون له دليلًا بأرض العرب، فلما وصلوا ووجهوا الفيل إلى مكة حدثت الرواية الثانية، وهي بروك الفيل، حيث إن بروك الفيل هو إعجاز رباني ناتج عن إقبال أبرهة على هدم الكعبة، وليس بسبب مخاطبة نفيل للفيل، فهو ليس صاحب كرامات (39) مصداقاً لما ذكره الرسول عليه الصلاة والسلام، حينما بركت ناقته القصواء عند الحديبية، حيث ردد الصحابة «خلأت القصواء خلأت القصواء»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل...»[40] وبالعودة لأحداث القصة، خرج نفيل وصعد الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وما زالوا يحاولون في الفيل أن ينهض حتى أقبل عليهم الليل، وهم ما زالوا في طغيانهم وجبروتهم حتى أتاهم أمر الله، فأنزل عليهم عذابه، وبالعودة إلى كتب التفسير نجد أن الله يخبر نبيه الكريم عمَّا فعله بأصحاب الفيل وكيف عاقبهم بالحجارة حين أرادوا هدم الكعبة، وجعل كيدهم في نحرهم، وجعل صنيعهم في أباطيل، وأهلكهم بأضعف جنوده، وهو الطير الذي كان يحمل في منقاره حجرًا وفي رجليه حجرين، كل حجر فوق حبة العدس ودون حبة الحمص مكتوب في كل حجر اسم مرميه، ينزل على رأسه ويخرج من دبره، وقيل: لها خراطيم طير، وأكفف كأكفف الكلاب[41] ويذكر الماوردي ثلاثة أقاويل في وصف الطير، فقيل: إنها من طير السماء وهذا الرأي ضعفه، والقول الثاني قول عكرمة إنها العنقاء المغرب التي تضرب بها الأمثال، والقول الثالث يذكر أنها من طير الأرض أرسلها الله من ناحية البحر، أما في معنى كلمة أبابيل فيروي خمسة أقاويل، قيل إنها الكثيرة، وقيل إنها المتتابعة، وقيل إنها المتفرقة، وقيل الأبابيل بمعنى مختلفة الألوان، وقيل بمعنى أنها تكون جمعا بعد جمع[42]، و ذكر الجوزي ألوانها فقيل إنها خضراء وهذا قول عكرمة، وقيل إنها سوداء وهذا ما قاله عبيد بن عمير، وذكر قتادة أنها بيضاء[43]، ويروي الماوردي معنى كلمة سجيل، فقيل إنها كلمة فارسية هي سنك، أولها حجر وآخرها طين، وهذا قول ابن عباس، وقيل إن السجيل هو الشديد، وهناك من يقول إن السجيل هي اسم السماء الدنيا، هذا ما قاله ابن زيد، وقيل إنه اسم بحر من الهواء، منه جاءت الحجارة فنسبت إليه، وهناك بعض المستشرقين الذين شككوا في عذاب أهل الفيل الذي ذكره القرآن الكريم، وفي ذلك بحث للدكتور عبد المنعم عبد الحليم مفاده: (في أوائل الخمسينيات عثرت بعثة ركمانز على نقش تعددت الآراء حوله وكان أخطرها رأي بعض المستشرقين

الذين قالوا بأن: النقش يسجل حملة أصحاب الفيل، والهدف من ذلك التشكيك والطعن في ما ورد من آيات القرآن الكريم عن عذاب أصحاب الفيل، حيث ذكروا أن النقش يتحدث عن انتصار أبرهة وكيف أنه عاد بجيشه سليما، وهذا يخالف قوله تعالى (فجعلهم كعصفٍ مأكول) وقد قام كاتب هذا البحث برحلة إلى منطقة مريغان، لمراجعة نسخة ركمانز، وبفضل الله تمكن من العثور على نقش صغير سجله محارب يدعى منسي ابن ذرانح، حارب تحت قيادة أبرهة. وقد تبين للكاتب أن العبارات الناقصة وغير الواضحة كانت لأسماء شهور وقبائل، والنقش يروي صراعًا قبليًا استغله أبرهة في ضرب أعدائه من قبائل نجد، ولا صلة بينها وبين حملة الفيل، وذكر بأن النقش يسجل حملة أخرى سبقت حملة الفيل التي أشار إليها القرآن[44]

نتائج حملة أبرهة الحبشي:

وكانت النتيجة فشل الحملة، وهلك الطاغية ومن معه، وحمى الله بيته وأعزه وأذل الطغاة المعتدين، وخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق، فأرسل الله سيلاً على بقاياهم وألقاهم في البحر، وأصيب أبرهة في جسده، وأخذ جسده يتساقط أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء، فما مات حتى أنصدع صدره عن قلبه، ويذكر العلماء عقب حادثة الفيل ظهور وباء الجدري والحصبة، وظهرت أشجار الحنظل والحرمل[45].

حمى الله تعالى بيته الحرام من الطغاة، وباءت جميع مخططات النصارى بالفشل الذريع، حيث تكبدوا خسائر بشرية ومادية وانتشرت بينهم الأمراض، وأصبحت أحلامهم في سراب، فأصبحوا عبرة وعظة لمن بعدهم، ولمن يتجرأ أن يمس بيت الله الحرام بسوء، وهذا ما انعكس على علو مكانة مكة بين العرب، فأصبحت مكة تتمتع بالرخاء والأمان، وكانت تأتيها وفود العرب من كل حدب وصوب، مؤمنين بأن للبيت ربًا سيمنعه من أي اعتداء غاشم عليه، وبذلك أصبحت قبيلة قريش تتمتع بالسيادة، وعلا شأنها بين القبائل[46]، ويذكر مهران أن بعض المراجع تكاد تجمع على أن أبرهة لم يبلغ صنعاء إلا بعد جهد جهيد، وهناك مات شنيعًا بلعنات العرب من كل أنحاء الجزيرة العربية، كما نتج عن هذه الحملة أن علت مكانة قبيلة قريش، وعلت مكانة عبد المطلب الدينية والأدبية علّوًا كبيرًا، وكان هذا النصر إرهاصًا بدعوة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وشرفه العظيم، ودلالة واضحة على شرف البيت الحرام، وإجابة لدعوة إبراهيم -عليه السلام- بأن يجعل الله سبحانه وتعالى هذا البلد آمنًا، وقد أصبحت قريش تؤرخ بعد ذلك بعام الفيل، وأصبحت الحبشة لا تفكر بأي عمل عسكري ضد مكة(47)، ومن خلال هذا الحديث يتبين مدى النتائج التي تحققت بفضل ما فعله الله –عز وجل- ضد حملة أبرهة الحبشي.

الخاتمة :

أستجاب الله لدعوة نبيه إبراهيم وأهلك الطغاة المعتدين، كما ذكر في كتابة العزيز(فجعلهم كعصفٍ مأكول)، فكانت هذه الحادثة معجزة من معجزات الله -تعالى- وهو نفس العام الذي ولد فيه نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ومن النتائج التي ترتبت على الحملة

حملة أبرهه على مكة كانت لأسباب دينية وسياسية واقتصادية ولم تقتصر على سبب واحد.

رأي المستشرقين في أنكارهم لحملة أبرهه كان يعتمد على الآثار، ومن ذلك ماقامت به بعثة ركمانز.

3- لايوجد رأي قاطع عن أول شخص كساء الكعبة المشرفة وهذا ماذكره الدكتور أحمد حلمي.

4- أصبحت قريش تتمتع بالسيادة وعلا شأنها بين القبائل.

5-أصبحت قريش تؤرخ بعام الفيل بعد هذه الحادثة.

الهوامش:

(1) الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار،تحقيق : عبد الملك دهيش،ط1، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ج2، ص 205، عثمان: سعد حسين، الجميعي: عبد المنعم إبراهيم، الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ، ط1، 1992م. ص 13-12.

(2) الجميعي، الاعتداءات على الحرمين ص12، الصاوي: أمينة، الكعبة المشرفة، العدد/282، 1988م. 81.

(3) ابن منبه: وهب، التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط1، صنعاء، 1347ه. ص 305، الزركلي، خير الدين الأعلام ،ط15،دار العلم للملايين، بيروت،ج2، 2002م، ص175.

(4) فترة حكمه لا تقل عن خمسين عاما، وقد تميزت فترة حكم أبي كرب بالبدء في استعمال اللقب الملكي الطويل بإضافة عبارة: واعرابهم في الطود (نجد) وتهامة، كما تميزت بالتوسع في وسط الجزيرة العربية حيث شن هجوما على قبيلة معد التي تقيم ما بين شمال نجران وجنوبي مكة المكرمة وهذه الحملة ذكرها الإخباريون العرب، انظر: السقاف، حمود محمد جعفر، تبابعة وملوك اليمن (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود/ نجد وتهامة) تاريخ اليمن من أسعد الكامل وحتى أبرهة الأشرم (378حوالي 571م)، ط1، دار الكتب، صنعاء، 1425هـ.ص14-13.

(5) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي،البداية والنهاية، ج2، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م، ص 165، الأزرقي، أخبار مكة، ج 2، ص 207-205.

(6) الحميري، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقيال اليمن، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي، بيروت، 1978م، ص125-123. أبو الغيث، عبد الله عبده إسماعيل، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها خلال القرنين الخامس والسادس الميلادي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب، جامعة صنعاء، 1423هـ/2003م.ص 8.

(7) طيران، سالم: نقشا مأسل الجمح، مأسل، تصدر عن قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، الرياض، 1420هـ-1999م، ص26-25. المخلافي، عارف أحمد إسماعيل، هل كانت يثرب مملكة؟ دراسة تاريخية لنشأة المدينة وتطورها قبل الإسلام، مجلة دورية علمية محكمة، مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية، ع2، 2019م. ص57.

(8) أبو الغيث، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، ص18-17.

(9) أبو الغيث، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، ص9.

(10) حلمي: إبراهيم، كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، مؤسسة أخبار اليوم، العدد 1991،320م. ص34. ذكر أن إسماعيل هو من كسا الكعبة، أما تبع فهو أول من كساها الأنطاع والوصائل. الأنطاع: بسط من الجلد، والوصائل:
ثياب جبرة من عصب اليمن، انظر، الأنصاري، وآخرين، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ط1، جامعة الملك سعود، 1404هـ. ص140.

(11) ابن كثير، البداية والنهاية، ص169، الشامي، محمد بن يوسف ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج1،القاهرة، 1997م، ص215.

(12) ابن كثير، البداية والنهاية، ص169، الشامي، سبل الهدى، ج1، ص215.

(13) مثل كنيسة «أيا صوفيا « في القسطنطينية، وكنيسة « المهد « في بيت لحم، مهران: محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم (1) في بلاد العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م. ص 393.

(14) قصر بلقيس: نسبة إلى بلقيس ملكة سبأ التي ذُكرت قصتها في سورة النمل. الحضراني: بلقيس إبراهيم، الملكة بلقيس، تقديم جبرا إبراهيم جبرا، (د.ط)، (د.م)، 1994م. ص41.

(15) السهيلي، الفقيه أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، قدم له وعلق عليه وضبطه: طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت،2008م،ص63 ،ابن كثير، البداية والنهاية، ص 170، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع،الطبقات الكبرى،ط1، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة،2001م، ص91، الشامي، سبل الهدى، ج1، ص 215.

(16) ابن سعد، الطبقات، ج1، ص 91، الشامي، سبل الهدى، ج1، ص 216، النجم، عمربن فهد، إتحاف الورى بأخبار ام القرى، ط1،ج1، معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، 1403هـ ،ص21.

(17) ابن إسحاق، محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق المسماه بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي،تحقيق: محمد حميد الله، تقديم، محمد الفاسي،ج1، المغرب، 1976م، ص38، الشامي، سبل الهدى، ج1، ص216، الطبري، محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، ج24، تحقيق الدكتور، عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط1، القاهرة، 1424هـ- 2001م. ص636، الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن لمسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ج6، دار الفكر، 1399هـ-1979م.ص291-290. السمرقندي: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، ج3، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1413هـ- 1993م. ص513.

(18) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص484، السمرقندي ج3، بحر العلوم، ص513، مهران، دراسة تاريخية، ج1، ص396، الماوردي، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النكت والعيون تفسير الماوردي، ج 6، راجعه: مقصود بن عبد الرحيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1412هـ - 1992م. ص340، الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه، أحمد شمس الدين، ط3، ج7، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009م. ص321.

(19) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور، ط1، ج8، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان-بيروت، 1403هـ-1983م. ص 627، مهران، دراسات تاريخية، ج1، ص395 جواد علي، «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط2»، ج4، جامعة بغداد، العراق،1993م ، ص510.

(20) السيوطي، تفسير الدر المنثور، ج8، ص627.جواد علي، المفصل، ج4، 512-511.

(21) الطبري، تفسير، ج24، ص636، مهران، دراسات تاريخية، ج1، ص396، النجم عمر، إتحاف الورى، ج1، ص20.

(22) مهران، دراسات تاريخية، ج1، ص 399، عثمان، الجميعي، الاعتداءات على الحرمين، ص 22.

(23) مهران، دراسات تاريخية، ج1، ص 400. عثمان، الجميعي، الاعتداءات الحرمين، ص 21.

(24) عثمان، الجميعي، اعتداءات الحرمين، ص21.

(25) العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، ج1، ص260، سالم، عبدالعزيز، تاريخ العرب قبل الإسلام،الأسكندرية،1988م، ص79.

(26) ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ ط1، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي،دار الكتب العلمية،بيروت،1407هـ ص373، المقدسي، مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، ج1، إشراف، نور الدين طالب، ط1، دار النوادر، سوريا، 1431هـ ص56، ابن الوردي، العلامه زين الدين عمر الوردي، تنمية المختصرفي أخبار البشر، ط1،ج1، دار المعرفة، بيروت ، 1970م، ص150.

(27) الفاسي، العقد الثمين، ص36.

(28) إن القول بأن ذا نفر كان من ملوك اليمن، ربما فيه بعض الريب، حيث إن اليمن وقتها كان مستعمرة من الأحباش، ولا ملوك فيها.

(29) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2،مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت،1979م، ص61. ابن الأثير، الكامل، ص373، السنجاري، علي تاج الدين بن تقي الدين، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم،تحقيق جميل المصري، مكة المكرمة، ط1، ج1، 1419هـ ص428-427، الشامي، سبل الهدى، ج1، ص216.

(30) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص373، الشامي، سبل الهدى، ج1، ص216، النجم عمر، إتحاف الورى، ج1، ص23.

(31) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص61، ابن الأثير، الكامل، ص374، ابن كثير، البداية والنهاية، ص61، الطبري، تفسير الطبري، ج24، ص 638, السمرقندي، بحر العلوم، ج3، 513.

(32) الشطر الثاني من البيت في ديوان جرير هو: (كما ترمون قبر أبي رغال). جرير، ديوان جرير، (د.ط)، دار بيروت، بيروت، 1986م. ص342.

(33) سمسم، عبد المعطي بن محمد عبد المعطي، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة منذ القرن السادس ق.م وحتى نهاية العهد الحبشي باليمن، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، مكة المكرمة، 1410هـ ص285.

(34) السنجاري، منائح الكرم، ص453.

(35) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار الكتب الحديثة، مصر، ج1، ص 91، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 62-61, ابن كثير، تفسير القرآن، ص 484.

(36) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص 62، الطبري، تفسير الطبري، ج24، ص639، ابن كثير، تفسير القرآن، ص484 -485.

(37) ابن اسحاق، سيرته، ج1، ص39ابن كثير، البداية والنهاية، ص، 173-172، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص62، ابن سعد، الطبقات، ج1، ص 92-91، الطبري، تفسير الطبري، ج24، ص 640-639.

(38) ابن إسحاق، سيرته، ج1، ص39، ابن كثير، البداية والنهاية، ص62، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص62، اليعقوبي، أحمد بن واضح، تاريخ اليعقوبي، مج1، بيروت،1980م، ص 253، ابن سعد، الطبقات، ج1، ص 92، الخازن، تفسير الخازن، ج6، ص 292، الماوردي، النكت، ج6، ص339، ابن كثير، تفسير القرآن، ص 485، السنجاري، منائح الكرم، ج1، ص 431، الجوزي، لوفا، ج1، ص92، السيوطي، الدر المنثور، ج8، ص628.

(39) الأرزقي، أخبار مكة، ج2، ص225-220.

(40) سمسم، العلاقات بين الجزيرة العربية والحبشة، ص285.

(41) السمرقندي، بحر العلوم، ج3، ص514، السيوطي، الدر المنثور، ج8، ص630، الخازن، تفسير الخازن، ج6، ص295، الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تفسير البحر المحيط، ج8، ط2، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود، علي بن محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م. ص512.

(42) الماوردي، النكت والعيون، ج6، ص 342.

(43) الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، ج7، ط3، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009م. ص323.

(44) السيوطي، الدر المنثور، ج8، ص633، الماوردي، النكت والعيون، ج6، ص344. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القران، ج3، ط3، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، علي النجدي ناصف، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 2002م. ص292.

(45) سيد، عبد المنعم عبد الحليم، هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل؟ مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم الإنسانية، مج3، جدة، 1410هـ 76-71.

(46) ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص173، ابن سعد، الطبقات، ج1، ص92، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3، ص62، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص376-375، ابن كثير، تفسير القرآن، ص642-641، الخازن، تفسير الخازن، ج6، ص 293، الطبري، تفسير الطبري، ج24، ص 643-642، الخولي، محمد زكي عبدالحليم، مسك الكلام في أخبار البلد الحرام ،ط1، 1431، ص 131، الجوزي، الوفاء، ج1، 93-92.

(47) مهران، محمد بيومي،تاريخ العرب القديم، ط11، ج2،دار المعرفة الجامعية،2004م، ص 162.

(48) مهران، دراسات تاريخية، ج1، ص411-410.

جوانب من مظاهر الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد المماليك الجراكسة (784 – 923 هـ/ 1383 - 1517م)
(دراسة تاريخية تحليلية)

د.شريع سعيد علي الشهراني

دكتوراه - تاريخ إسلامي - المملكة العربية السعودية

مستخلص:

تتناول الدراسة جوانب من مظاهر الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد المماليك الجراكسة خلال الأعوام من 784 وحتى 923 . تنبع أهمية الدراسة من كونها عملت على مناقشة دور المماليك الجراكسة في مكة المكرمة والتعرف على الأدوار التي قاموا بها، استخدمت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي بغية الوصول لعدد من النتائج والتي من أهمها: تميزت مكة المكرمة خلال عهد المماليك الجراكسة بالعديد من المظاهر الاجتماعية، كان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف أحد أهم مظاهر الاحتفالات عند أهل مكة في عهد المماليك الجراكسة، وهناك أيضاً الاحتفالات برؤية بعض الأهلة وتحديداً هلال شهر رجب، بالإضافة للاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والأهلة، والأعياد هناك احتفالات تتم عند تنصيب شريف مكة، وعند تحقيق الانتصارات الحربية.

كلمات مفتاحية: مظاهر الحياة الاجتماعية، مكة المكرمة ، المماليك الجراكسة، المولد النبوي ، الأعياد

Aspects of social life in Makkah during the Circassian Mamluk (784-923 AH /1383-1517 AD) (Analytical historical study)

Dr. SHORIA SEED ALI ALSHARANI

Abstract:

The study deals with aspects of social life in Makkah Al-Mukarramah during the reign of the Circassian Mamluks during the years from 784 to 923**.** The importance of the study stems from the fact that it worked on discussing the role of the Circassian Mamluks in Makkah Al-Mukarramah and identifying the roles they played. The study used the historical and analytical method in order to reach a number of results, the most important of which are: The Noble Prophet is one of the most important manifestations of the celebrations of the people of Makkah during the era of the Circassian Mamluks, and there are also celebrations of seeing some crescents, specifically the crescent of the month of Rajab, in addition to the celebration of the Prophet's birth, and the crescents and holidays**.**

Keywords: aspects of social life, Makkah Al-Mukarramah, Mamluks**,** Circassians, Prophet's birthday, holidays.

مقدمة:

لقد كان لمكة المكرمة خلال عهد المماليك الجراكسة حياتها الاجتماعية التي تميزت بمظاهر خاصة بها، وسوف نحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على مظاهر الحياة الاجتماعية خلال هذه الفترة التاريخية من تاريخ مكة المكرمة أول هذه المظاهر الأعياد والاحتفالات الدينية .

أولاً : الأعياد والاحتفالات الدينية:

1- الاحتفال برؤية بعض الأهلة ، وحلول بعض الاشهر :

لقد كان لأهل مكة احتفال خاص برؤية بعض الأهلة ، مثل الاحتفالات التي تصاحب شهر رجب، فهذا شهر مبارك عند أخل مكة إذ يرونه من المواسم المعظمة فهو أحد الأشهر الحرم[1] ، وكان قاضي القضاة الشافعي أو من ينوب عنه يخرج الي جبل أبي قبيس لتحري رؤية هلال اول الشهر[2] وكان هذا الشهر المبارك كله معمور بأنواع العبادات من العمرى وسواها . ويعتبر شهر شعبان من الاشهر التي اعتاد اهل مكة علي الاحتفال بقدومها ، ويختص اوله ونصفه من ذلك بخط متميز حيث إن ليلة النصف من شعبان من الليالي العظيمة عند اهل مكة بصفة عامة فيجتمعون في المسجد الحرام ويكثرون من العبادة وقد يستمرون الي الصبح[3] .ويفرغون منها ويقوم الصبي فيهم خطيباً ، ثم يستدعيهم والد الصبي الى المنزل لتناول الطعام والحلوى. وإذا كان والد المختتم من ذوي اليسار والمكانة العالية يحتفل بابنه احتفالاً عظيماً كما حدث في الليلة التي ختم فيها الشريف هزاع بن محمد بن بركات ، حيث رفّ من بيته إلى باب الصفا ، ثم إلى السعي، ثم إلى باب السلام وقد مشى في هذه الزفة جميع الناس إلا النادر ، وكان والده في مقدمتهم وأنشد المنشدون في هذه الزفة ، ووزع الخلع علي جماعة من المكبرين والفراشين والوقادين وغيرهم ، ووزع أصناف مختلفة من الحلوى على القضاة والفقهاء والتجار والأمراء والمجاورين حتى أصبح يضرب به المثل في ذلك[4]

ومن مظاهر الاحتفالات التي كانت تتم في شهر رمضان خلال هذه الفترة الاحتفال بختم أمهات الكتب الإسلامية من كتب الحديث والفقه وغيرها ، وكان يتولى ذلك القضاة والعلماء ويحضر ليلة الختم كبار رجال الإدارة المملوكية بالإضافة إلى الأعيان من أهل مكة وغيرهم[5]. وقد ينشد بعض الحاضرين في نهاية الختم قصيدة في مدح القاضي[6].

2- الاحتفال بالأعياد :

كما هو معروف للمسلمين عيدان هما عيد الفطر والأضحى ، وقد كان أهل مكة يحتفلون بها احتفالاً دينياً رسمياً[7] . ولم أجد فيما تيسر من مصادر تلك الفترة ما يوضح مظاهر احتفال أهل مكة بالأعياد سوى بعض الإشارات التي تدل على بعض العادات المتبعة في هذه الأعياد منها قيام الأطفال بتسميع بعض أمهات الكتب ، وذهاب التجار الى نائب جدة للسلام عليه والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما ذكره العز بن فهد في أحداث عام 911هـ ، حيث قرأ عليه والده محمد بعض الكتب بين الصلاة وخطبة العيد، ثم في النار قرأ عليه بعض كتب

أخرى، وبعد ذلك سمعها للفقهاء ثم الحفاظ[8] أما عمل بعض المواليد في هذا الشهر تيمناً بمولد الرسول ﷺ ، من ذلك إرسال نائب جدة للباش بمكة يطلب من إرسال المنشدين والمقرئين للمولد ليقرأ مولده بجدة ، مع أن هؤلاء قرأؤا مواليد للدويدار أمير كبير قيس بالمسجد وأنشدوا قصائد فيه قبل ذهابهم لجدة

وكان ذلك في عام 911هـ[9] . ومن عاداتهم كذلك عمل مولد في هذا الشهر حيث يقرؤون التواشيح وينشدون الأناشيد ، ويسمون ذلك مولد تيمناً بما ينشد في مولد الرسول ﷺ . وقد يذهب المنشدون والمقرؤون إلى جدة لعمل مولد هناك بناءاً على طلب نائب جدة. ويبدو أن أهل مكة كانوا يلعبون في أيام العيد ومن ذلك ما أورده العز بن فهد من قيام مجموعة من العبيد باللعب في أول أيام العيد عام 920هـ وما حدث بينهم من تنافس انتهى بحدوث مشاجرات بينهم يصعب السيطرة عليها[10]

3- الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف:

لقد اعتاد أهل مكة علي إقامة بعض الاحتفالات بالمولد في فترة دراستنا ، ومن اعظمها الاحتفال بالمولد النبوي . فقد كان أهل مكة في ليلة الثاني عشر من ربيع الاول من كل عام يتهيؤون لزيارة المحل الشريف الذي ولد فيه رسول الله ﷺ والكائن في سوق اليل – على اتفاق أغلب اهل مكة في هذه الفترة – فيخرجون عد صلاة المغرب في جمع عظيم على رأسهم قاضي مكة الشافعي والقضاء الثلاثة الآخرين ، واكثر الاعيان والفقهاء والفضلاء باش الترك وغيرهم ، وعندما يصلون أي مكان المولد تلقى خطبة المولد التي عادة يلقبها خطيب المسجد الحرام ، ثم يعودون منه الى المسجد الحرام قبيل العشاء ويجلس القاضي خلف مقام الخليل عليه السلام بإزاء قبة الفراشين ، ويدعو الداعي لمن ذكر آنفاً بحضور القضاء واكثر الفقهاء ، ثم يصلون العشاء وينصرفون[11]وفي صبيحة اليوم الثاني عشر يعمل القاضي الشافعي اجتماعاً في منزله يحضره عليّه القوم ، ويتكفل القاضي بإطعامهم وتوزع قطع الحلوى ليهم ، وتسمى هذه زفة الصبح [12].

أما بالنسبة للعادات الدينية في مكة المكرمة فمنها إنارة الشموع علي المقامات ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، ويبدو ان هذه العادة قد أبطلت بدليل اجتهاد بعض الناس في إعادة هذه العادة عام 820هـ[13]

ومنها ايضاً عادة زيارة الاماكن المأثورة ، ومن أهم الاماكن ما يلي :

1- زيارة قبر الرسول ﷺ :

اعتاد أهل مكة المكرمة في هذه الفترة علي زيارة قبر الرسول ﷺ في كل سنة، حيث يتوجهون الى المدينة في قافلة غالباً تضم وجهاء وأعيان مكة ، بأن علي رأسها شريف مكة وقاضي القضاء الشافعي وأهله وكذلك القاضي الجنبلي والتجار وغيرهم[14] ويصف لنا النجم بن فهد القافلة التي توجهت لزيارة قبر الرسول ﷺ في شهر ربيع الأول من عام 870هـ وكان على رأسها شريف مكة محمد بن بركات بقوله (توجه صاحب مكة السيد محمد بن بركات بقافلة عظيمة لزيارة النبي ﷺ ومعه أهله وعسكره وفيها جماعة من الأعيان منهم قاضي مكة الشافعي برهان الدين بن ظهيرة وكثير من جماعته، وقاضي مكة الجنبلي ،

وجماعة من اعيان التجار والمجاورين.... وكان عدة الشقادف[15]).

(خمسمائة واربعة وعشرين ، والشجرة[16] اثنين وتسعين ، والمحائر[17] وستين والزوامل[18] ثمانمائة واثنين وستين و الجمال مائتين وسبعة وعشرين والخيل ثمانية وثلاثين والبغال ثلاثة وثلاثين والحمير خمسمائة وخمس والنياق الخاصة للشريف عشرين ناقة[19] ومن الأماكن التي اعتاد أهل مكة علي زيارتها ، التوجه إلى زيارة قبر حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بمدينة الطائف . حتى أن البعض عرف عنه كثرة زيارة قبر بن عباس لما كان يتكبده من عناء الزيارة في كل سنة[20] وبعض أهل مكة كانوا يتجهون إلى زيارة بعض المقابر مثل مقبرة المعلاة [21]

بالإضافة إلى ما سبق فقد شاعت في هذه الفترة بعض العبادات الاجتماعية الدينية، مثل قيام بعض كبار الموظفين وبعض خدام درجة الكعبة بعمل عمرة لسلطان مصر، حيث يقومون بالدعاء للسلطان ويهبون له ثواب العمرة ، وكان السلطان يرسل لهم مكافاة سخية تصلهم مع امير الحج . من الأمثلة على ذلك ما حدث في عام 913هـ ([22])، ومن العادات الدينية التي ربما استحدثت في هذه الفترة عادة كسوة الحجر الشريف، حيث ذكر النهرواني انه في عام 853ه ـوتحديداً في الاخيرة من ذي الحجة كسي حجر اسماعيل بكسوة من الداخل ولم تجر عادة بذلك قبل هذا التاريخ[(23)] .

أما بالنسبة للعادات والتقاليد التي شاعت في تلك الفترة في مكة فمنها :

الرحلات العلمية سواء كانت داخلية أو خارجية . وقد أورد العز بن فهد مثالاً علي ذلك، فقد ذكر في أحداث عام 915هـ أنه توجه الى الطائف لزيارة قبر بن عباس ومعه الوالدان جار الله وعبد القادر وكان بصحبته قاضي القضاة النوري علي بن أبي الليث بن الضياء الحنفي ، وفي أثناء الرحلة قام الأولاد بختم بعض أمهات الكتب [(24)].ومن العادات والتقاليد العلمية المرعية ، ما كان يقوم به كبار رجال الدولة وعلى رأسهم السلطان برصد بعض الكتب في المسجد الحرام طلباً للمثوبة ، أو يعملون ربعات لختم القرآن الكريم ، وكانوا يسندون مهمة ذلك للمقرئين والعلماء يخصصون لهم بعض الأعطيات ، وكان القاضي الشافعي في بعض الأحيان يتولى الختم[(25)] . ومن العادات الاجتماعية الثقافية التي سادت في هذا العصر ما كان يقوم به أرباب العلم من العلماء والطلاب من جلوس في المسجد الحرام ، حيث كانوا يختمون القرآن الكريم مجوداً ، كما يختمون بعض أمهات الكتب كصحيح البخاري وغيره وكان يحضر الختمة احياناً القضاء الأربعة والمشايخ والعلماء وعامة الناس ، وبعد الختمة يدعو شيخ المقرئين للمصنفين والسلطان ، القاضي والشافعي والباش وشيخ الدرس وجميع الحاضرين ، وبعد ذلك يرش ماء الورد علي الحاضرين[(26)]

ثانياً : المناسبات السياسية والاقتصادية ومناسباتها :

لقد شاعت في هذه الفترة بعض العادات السياسية والاقتصادية ، ومن أهم الاحتفالات السياسية التي انتشرت في فترة ما يلي :

1- احتفال بتنصيب الشريف على ولاية مكة :

وكان سلاطين المماليك الجراكسة يبعثون بمراسيم تولية أحد الأشراف علي إمارة مكة في كل سنة مع أمير محمل المصري . وقد جرت العادات في هذه الفترة أن يخرج الشريف ومعه أعيان مكة وأهلها لاستقبال أمير المحمل خارج مكة المكرمة [(27)] ويسمى هذا اليوم يوم العرضة [(28)] وقد جرت العادة في أغلب الأحيان بقيام شريف مكة بتقبيل خف البعير الذي يحمل المحمل[(29)] ويتم قراءة المراسيم الخاصة بتولية أحد الاشراف بإمارة مكة وتعين المناصب مثل الباش أو القضاء في الحطيم في المسجد الحرام وبحضور الأعيان والقضاة [(30)] .

الجدير بالذكر أن هنالك بعض التغيرات التي حدثت في فترة المماليك الجراكسة والمتعلقة بالاحتفال بتنصيب الشريف على إمارة مكة من أهمها ما يلي :-

في بعض الأحيان أُعفي الشريف من تقبيل خف جمل المحمل ، كمل حدث في عام 743هـ [(31)] كذلك قد يكتفي شريف مكة بمسح ثياب المحمل بيده ، ويترك تقبيل خف جمل المحمل لولده الذي يكون مشاركاً

له في الإمارة كما حدث ذلك عام 918هـ عندما خرج الشريف بركات بن محمد وولده (أبو نمي) – الذي كان مشاركاً له – لملاقاة المحمل وترك مهمة تقبيل خف المحمل لولده[32] .

جرت العادة علي ان يخلع الأمير علي الشريف وغيره من الأعيان والقضاة بعد الاجتماع بهم في المسجد الحرام وقراءة المرسوم لمن أنعم عليه بخلعه ، ولكن بعد ذلك تغير هذا المكان ، حيث شهد عام 885هـ أول تغيير لهذه العادة عندما التقى الشريف محمد بن بركات بالأمير الأول الوالي بالقاهر بشبك بن حيدر في وادي الزاهر حيث خلع عليه هناك[33].وقد يطلب السلطان المملوكي في مصر من شريف مكة أن يحضر إلى مصر مع شريكه حتى يتم تقليده بإمارة بمكة المكرمة بعد أن يطأ في السباط كما حدث 850هـ[34].

كذلك كان على الشريف حسن بن عجلان غي عام 828هـ أن يقابل أمير المحمل ويستقبله ويطأ على البساط [35] بالإضافة الى ذلك اعتاد سلاطين المماليك الجراكسة لبعث مرسوم سلطاني لتعيين الشريف ، حيث كان يكتب بصيغة خاصة وتوقعات معينة في بعض الأحيان كان سلطان مصر يشترط في مرسومه علي شريف مكة عندما يصله أن يطوف ويصلي ركعتين خلف المقام ويسعى بين الصفا والمروة ، وفي أثناء الطواف الرئيس يدعو للشريف من فوق ظلة زمزم علي العادة[36] . وقد اعتاد أهل مكة للخروج لاستقبال شريف مكة بعد سماعهم للنقارة التي تضرب عند باب شريف إيذاناً بقدوم الشريف المُعين على إمارة مكة ، واحياناً يُنادي المنادي في مكة بأن لا يتأخر أحد ، فيخرج أغلب الناس الى وادي الزاهر لملاقاة الشريف واستقباله[37] .

ومن أشهر تلك الاحتفالات : الاحتفال بحضور الشريف محمد بن بركات من مصر في عام 921هـ حيث استقبله أعيان مكة المكرمة وغيرهم بأعلام الخطيب وشمع المسجد الحرام كله ودخلوا معه المسجد، وقد ابتهج الناس بدخوله وأوقدت الشموع وغيرها والقناديل في بعض الاماكن على البيوت وظهر على الناس غاية السرور [38] وكذلك من مظاهر الاحتفال بقدوم الشريف تزيين مكة المكرمة كما حدث عندما قدم السيد أبو القاسم بن حسن بن عجلان في السابع عشر من ذي الحجة عام 846ه ـقادماً من القاهر [39] وفي عام 914هـ نادى باش مكة بالزينة سبعة أيام ، وصار أهل مكة يجتمعون علي عادتهم صباحاً ومساء ، ويذهبون الى بيت الشريف حيث تضرب النقارة ويلعبون بالرقص[40] والصفق [41] و المقاداة [42] .

الاحتفال بانتصار الشريف أو عودته إلى مكة :

من الاحتفالات السياسية التي سادت في هذه الفترة ، الاحتفال بانتصار شريف مكة علي خصومه والتنكيل بهم ، ومن مظاهر ذلك تزيين مكة المكرمة لمدة معينة غالباً ما تكون اسبوعاً . ويصاحب ذلك إلقاء بعض القصائد وغير ذلك ، ومن الأمثلة علي تلك الاحتفالات:

الاحتفال بانتصار شريف مكة بركات بن محمد علي مالك بن رومي الزبيدي ومقتله عام 913هـ ومعه ثلاثة من أولاده من الخارجين [43] . وقد زينت مكة عام 882هـ سبعة أيام بمناسبة انتصار الشريف محمد بن بركات على صاحب جيزان [44] .

في عام 914هـ خرج أهل مكة – الرجال والنساء – لاستقبال شريف مكة ، واظهروا الثير من الفرح والسرور ، بل أن احتفالهم باستقبال الشريف جعلوه كاحتفالهم بالعيد [45] . ومن الاحتفالات التي اتخذت طابعاً سياسياً الاحتفال باستقبال بعض أمراء مصر[46]

أو أصحاب الوظائف الذين يتم تعينهم من قبل سلطان المماليك الجراكسة في مص، حيث يستقبلون بالشموع والفوانيس وتزيين دكاكين المسعي بالشموع الكثيرة ، بالإضافة إلى إنارة القناديل والثريات في الصفا والمروة . وقد وصف النجم بن فهد ، بعض مظاهر تلك الاحتفالات أثناء حديثه عام 852هـ واستقبال الأمير جاني بك بقوله: (... دخل الأمير جاني بك إلى مكة المشرفة بعد أن تُلقّى بفوانيس المسجد الحرام، وشموع كثيرة، واربعة عشر مشعلاً إلى الحجون ، وأوقدت الشموع من مسجد الراية إلى المسعى ، وأوقدت دكاكين المسعى بالشموع الكثيرة كل حسب حاله ، واوقد المشعران الصفا والمروة بالقناديل والثريات ... فكانت جملة القناديل خمسين قنديلا والثريات خمسة عشر...)[47] .

3- ومن العادات السياسية ، التي اختص بها أمراء الأشراف عادة (النزلة) أو(الجيرة) ، وذلك أن يستجير بهم الغارم من مطالبة حق أو غير ذلك فيمنع عنه غريمه، وقد تسببت هذه العادة في كثرة الفساد، حتى أن الظاهر (جمقمق) طلب من الشريف بركات ين حسن بن عجلان في (الرميلة) ان يبطل هذه العادة[48] كما أن سلاطين المماليك كانوا يبعثون بما يسمى بمنديل الأمان – وهو عبارة عن غطاء للرأس له ألوان خاصة – لبعض المطاردين والمغضوب عليهم ليرتدونه تأميناً لأنفسهم وعهداً من السلطان بعدم الغدر وقد أُعطي منديل للشريف أحمد جازان في عام 908هـ ليتمكن من مقابلة أمير المحمل الذي يمنحه الخلعة [49].

كما أرسل سلطان مصر بمنديل الأمان لشريف مكة الشريف بركات بن محمد في عام 921 هـ ولذلك لسرور السلطان لما فعله شريف مكة (لخوند) الأشرفية من حسن استقبال وتكريم [50].

أما بالنسبة للاحتفالات التي اتخذت طابعاً اقتصادياً ، فمنها الاحتفال بتعيين المحتسب ، حيث يُعمل له زفه يمشي فيها أهل مكة وأمامهم المغاني والطبل والزمر ، ومن الامثلة على ذلك الاحتفال بتولي علي بن قرقماس بن حليمة العجلاني [51]. الحسبة بمكة ، فقد زُف علي فرس من بيت الشريف الى بيته بالمعلاة ، وأمامه أهل مكة ، والمغاني والطبل ، والزمر [52]. ومن العادات الاقتصادية التي عاشت في هذه الفترة عمل زفة للسكة الجديدة، ومن الأمثلة على ذلك الاحتفال بالسكة الجديدة التي ظهرت في عام 901هـ.وكذلك عمل زفة أخرى مماثلة في عام 911هـ وطيف بها في مكة ([53]).

وفي بعض الزفات يصاحبها الطبل والزمر – كما حدث في شهر جماد الآخر من عام 919هـ وطيف بها في مكة [54].

في بعض الزفات يصاحبها الطبل والزمر – كما حدث في جماد الآخر من عام 919هـ عندما زفت سكة الجديدة [55]. ومن الاحتفالات الاقتصادية الاحتفال بإتمام عقد البيع مثل الاحتفال الذي أقيم في المسجد الحرام عقب إبرام عقد البيع بين الشريف بركات بن حسن والوكيل المباشر لصاحب ولاية (كلبرجة) والذي تَم بموجبه بيع دار للسيد بركات عند باب الصفا وقد قدر ثمنها بسبعة آلاف مثقال .. وبهذه المناسبة اقيم حفل عظيم في المسجد الحرام حيث أعدت الشموع وأطلق البخور وتليت بعض أجزاء المصحف الكريم [56]. وهنالك احتفالات تمت في مكة – خاصة في ربيع الأول من القرن العاشر – كانت من نتاج وجود المماليك الجراكسة في مكة خل فترة حكمهم . ومن الأمثلة على ذلك ، تلك الاحتفالات المصاحبة لتجديد وعمارة بعض عيون المياه. ومن مظاهرها المناداة بزينة البلد كل على حسب قدرته المالية ، ودخول مكة في زفة من المغاني، بالإضافة إلى توزيع الخلع على المهندس المتولي العمارة ومن معه [57].

الخاتمة:

تناولت الدراسة جوانب من مظاهر الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد المماليك الجراكسة في الفترة من (784 – 923 هـ/ 1517-1383م) وهي دراسة تاريخية تحليلية، وقد شهدت هذه الفترة العديد من مظاهر الاحتفالات مثل الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والأعياد والمناسبات الدينية ، وتنصيب وانتصارات الشريف في مكة، وقد تميزت الحياة الاجتماعية بالكثير من الظواهر التي ميزت تلك الفترة.

النتائج:

خلصت الدراسة لعدد من النتائج والتي من أهمهما:

شهدت فترة المماليك الجراكسة في مكة العديد من الاحتفالات والتي من أبرزها الاحتفال بالمولد النبوي والمناسبات الدينية.

كان تنصيب الشريف في مكة وانتصاراته الحربية محل تقدير واحتفال من أهالي مكة.

تعددت مظاهر الاحتفال في مكة طوال حكم المماليك الجراكسة.

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

دراسة الاجتماعي لمكة المكرمة في مختلف العصور والحقب التاريخية وذلك لتوضيح دور وهمية هذه المدينة العريقة.

الهوامش:

(1) العبيكان : طرفة بنت عبدالعزيز ، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض 1416هـ/1996م، ص 277 .

(2) العز بن فهد : بلوغ القرى ، جـ 3 .

(3) المصدر نفسه ، ص 1311

(4) الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، جـ1 ، ص 275 ، والنجم بن فهد : اتحاف الورى ، جـ 4 ص 618 ، 619.

(5) والسخاوي ، شمس الدرين محمد بن عبد الرحمن : الضوء اللامع ، مج 2 ، جـ 6 ،دار الجيل ، بيروت 1412ه/1992م، ص 265 .

(6) العز بن فهد : بلوغ القرى جـ 3 ص 1403 ، وابن صبر .

(7) المصدر نفسه ، جـ 2 ، ص 782

(8) العبيكان : المرجع السابق ، ص271 .

(9) بلوغ القرى ، جـ 3 ، ص 1485 ، 1486.

(10) العز بن فهد : بلوغ القرى ، جـ 3 ، ص 1487 .

(11) المصدر نفسه ، جـ 3 ، ص 1959 .

(12) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص 285 .

(13) العز بن فهد : بلوغ القرى ، جـ 3 ، ص1291.

(14) السنحاري : منائع الكرم ، ج 2 ، 425.

(15) العز بن فهد : المصدر السابق

(16) الشقدف : مركب أكبر من الهدوج يستخدمه العرب وكان يركبه الحجاج الى بيت الله الحرام للمزيد انظر المعجم الوسيط ص 488

(17) الشجر: جمع شجار وهو الهودج . النجم بن فهد : اتحاف الورى ، جـ 4 ، ص 465 ، والمعحم الوسيط ص 473 .

(18) المحاير : هي عبارة عن هودج لنفر واحد فقط . أنظر : المصدر نفسه .

(19) الوامل : مفرد زاملة ، ومؤنث الزامل ، وهو ما يحمل عليه من الإبل وغيرها ، انظر : المعجم الوسيط ، ص 401 .

(20) إتحاف الراوي ، جـ 4 ، ص 465 ، 466 وغاية المرام جـ 2 ص 510 ، 511 .

(21) النجم بن فهد : الدر الكمين ، جـ 1 ص 621 ، انظر العز بن فهد : بلوغ القرى ، جـ 1 ، ص 188

(22) انظر العز بن فهد : بلوغ القرى ، جـ 2 ، ص 1386 .

(23) المصدر نفسه ص 1601.

(24) كاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، ص 637

(25) ولتفاصيل هذه المرحلة انظر : العز بن فهد : بلوغ القرى ، جـ ، ص 1676 – 1684

(26) العز بن فهد : المصدر السابق جـ 3 ص 1648 .

(27) العز بن فهد : بلوغ القرى ، جـ 3 ، ص 1460 – 1461 .
(28) العز بن فهد : اتحاف الورى ، جـ 4، ص 253
(29) الطبري : الاريج المسكي ، ص 151
(30) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص 278
(31) العز بن فهد : بلوغ القرى، جـ 2، ص 790
(32) الجذزري : المصدر السابق ، جـ 1،ص 454
(33) العز بن فهد : بلوغ القرى، جـ 2، ص 1877
(34) المصدر نفسه جـ 1 ، ص 109 – 111
(35) النجم بن فهد : اتحاف الورى جـ 4 ، ص 53
(36) الجزيري : المصدر السابق ، جـ ، 443
(37) العز بن فهد : بلوغ القرى، جـ 2، ص 1027 - 1028
(38) المصدر نفسه : جـ 3 ، ص 1348 – 1349 .
(39) المصدر نفسه : جـ 2 ، ص 2002 ، 2003 ، 2004 .
(40) الجزيري : الدرر الفرائد ، جـ 1 ، ص ، 457 ، 492
(41) الرقص منشق من الفعل رقص ، رقصاً فهو راقص . وراقص صيغة مبالغة ، ويتحدى بالألف فيقال أرقص ، والرقص هو النقزان . للمزيد أنظر المقري ، أحمد بن محمد الفيومي : الصباح المنير ن تحقيق يوسف الشيخ محمد ، طبعة المكبة العشرية ، دت ، ص 123
(42) الصفق : مشتق من صفقت الشيء اذا ضربته بباطن اليد فسمع له صوت . ويقال تصادف القوم اذا تبايعوا.
(34) والصفق هو اللعب واللهو . للمزيد انظر : أبو فارس ، ابو الحسين أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، جـ 3 ، دار الفكر ، 1399 ، 1979م ، (باب الصفق) ، ص 293 ، وبن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، جـ 10 ، ط 1 ، بيروت د ت ، ص 200 .
(44) 42) العز بن فهد : بلوغ القرى : جـ 3 ، ص 1783 ، والمقاداة : مأخوذة من تقاود . الرحلات : ذهباً مسرعين كان كل واحد منهما يقود الآخر لسرعة أنظر : المعجم الوسيط ، ص 765 .
(45) العز بن فهد : المصدر نفسه ، 1587 ، 1588 ، . والطبري اتحاف الفضلاء ، ص 244 وما بعدها .
(46) العز بن فهد : غاية المرام جـ 2 ، ص 552 .
(47) العز بن فهد : بلوغ القرى، جـ 3، ص 1622 .
(48) الجزيري : المصدر السابق . ص 547
(49) النجم بن فهد : اتحاف الورى جـ 4 ، ص 278 .
(50) العز بن فهد : غاية المرام جـ 2 ، ص764 ..
(51) المصدر نفسه ، ص 1281.
(52) المصدر نفسه ، ص 1976 ، 1977 .

(53) هو علي بن قرقماس بن حليمة الملكي ، مات في ربيع الأول سنة 892هـ خلفه في الولاية بعد تشهر علي القحطان ، السخاوي : الضوء اللامع ، مج 3 : جـ5 ، ص 275 .

(54) العز بن فهد المصدر السابق جـ 1 ، ص 391 .

(55) العز بن فهد بلوغ القرى ج 1 ، ص 334 ، جـ 2 ص 925 ، جـ 3 ، ص 1440 .

(56) المصدر نفسه ، جـ 3، ص 1905.

(57) المصدر نفسه السابق جـ 3 ، ص 1905 .

(58) الدهاس : المدارس في مكة في العصر الايوبي ، ص 59

(59) العز بن فهد المصدر السابق جـ ، ص1744

.

لمحات من مشاركات البادية في جيوش الملك عبدالعزيز في منطقة عسير وخارجها (1338- 1373هـ /1920 - 1953م) (دراسة تاريخية تحليلية)

أ.سعيد بن عبدالله بن علي جفشر

باحث – جامعة الملك عبد العزيز
المملكة العربية السعودية

مستخلص:

تهدف الدراسة لتسليط الضوء على مشاركات البادية في جيوش الملك عبدالعزيز في منطقة عسير وخارجها خلال الفترة (1338- 1373هـ /1920 - 1953م)، وتنبع أهمية الدراسة من مكونها تناقش واحد من الموضوعات المهمة والتي توضح مشاركة البادية في جيوش الملك عبدالعزيز في منطقة عسير وخارجها، والأدوار التي قامت بها خلال فترة الدراسة، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول لنتائج والتي منها: العلاقات الوثيقة لبادية عسير بآل سعود منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى ، أسهمت حياة التنقل طلباً للماء و والكلأ لبادية عسير في تقوية الصلات بآل سعود، كان أهل البادية من الدعائم الأساسية لضم عسير.

الكلمات المفتاحية: لمحات، مشاركات ، البادية ، جيوش الملك عبدالعزيز، عسير،

Glimpses of the participation of the Badia in the armies of king Abdulaziz in the Asir region and beyond (1338-1373 AH -1920-1953 AD) (Analytical historical study)

Saeed Abdullah Ali Jafsher

Abstract:

The study aims to shed light on the participation of the Badia in the armies of King Abdulaziz in the Asir region and outside it during the period (1338-1373 AH / 1920-1953 AD). And the roles she played duringDuring the study period, the study followed the historical, descriptive and analytical approach in order to reach results, including: The close relations of the Asir Badia with the Al Saud since the establishment of the first Saudi state.

Keywords: glimpses, posts, Badia, King Abdulaziz armies, Asir,

مقدمة:

كان لبادية منطقة عسير علاقات وثيقة بآل سعود منذ عهد الدولة السعودية الأولى التي عندما تنامت قوتها خاصةً بعد خضوع نجد كلها لها وأوشكت على ضم كافة شبة الجزيرة العربية.

حيث سعت إلى توسيع سلطتها إلى جنوب غربي البلاد كان ذلك بسبب تنامي القوة التي ذكرنا، وقبول عدد من العلماء لأهداف الدولة السعودية الأولى.

فربما كان لبادية قحطان خاصة أثرهم على أبناء عمومتهم وغيرهم من أبناء المنطقة في الأنضمام للدولة السعودية، وهذا ما يؤكده التاريخ أن قبائل الإقليم الذي يمتد من جنوب بلاد يام إلى حدود بلاد غامد وزهران قد انضمت دون حرب، وكان ذلك في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في عام 1215هـ وانضمام هذه المنطقة (السراة) التي عرفت فيما بعد باسم عسير[1] للدولة السعودية الأولى، ولا نستبعد أن لباديتها دورًا في إقناع أبناء هذه المنطقة بمبادئ الدولة السعودية الأولى بشكل عام وأبناء عمومتهم بشكل خاص[2].

إن حياة بادية منطقة عسير واعتمادهم في رحلاتهم على الإبل والخيول والأغنام وبحكم تنقلاتهم طلبًا للماء والكلأ فيما بين نجد الجنوب، فقد كانوا على صلة وثيقة بأسرة آل سعود ودولها في أدوارها الثلاثة وكان للعدل الذي أقامته الدولة السعودية الأولى والأمان ونشر العلم ومحاربة الشركيات والبدع والخرافات أثره الباقي في قلب وجدان كل بدوي من أبناء المنطقة وليس البادية فقط، بل لا نبالغ بل جميع أبناء المنطقة، فوجد من يحب هؤلاء الحكام، ويميل إليهم منذ وقت مبكر، وقد سبق وأوضحنا ترقب وتتبع أبناء البادية لأخبار الدولة وضمها للرياض ولمعاركها، بل ووجد من قدم على الملك عبدالعزيز وبيعته بعد استعادته للرياض وإعلام قيام الدولة السعودية الثالثة[3]، وكان لهم أسبقية المشاركة في جيوش الملك عبدالعزيز -رحمه الله- وكان أهل البادية هم أهل الأسبقية، وكانوا هم الدعائم الأساسية لضم عسير خاصة، وقد توزعت المعارك والغزوات التي شاركوا فيها هؤلاء الرجال، والذين بذلوا أنفسهم وأموالهم طاعةً لله ثم لولي الأمر؛ وسنحاول عرضها وسردها حسب ما وصل إلينا من وثائق ومصادر ربما كان بعضها جديدًا في عرضه، محاولين أن نصل إلى الحقيقة التاريخية التي أصابها شيء من الغموض فيما يخص كثيرًا من الحوادث والغزوات، وتنوعت الجهات كالتالي:

1- نجران وقبائل يـــام.

2- بلاد رجال الحجر.

3- ابن عائض وقبيلة عسير.

وهذا يظهر جليًا في خطاب للشيخ عبدالله بن محمد بن راشد إلى الإمام عبدالرحمن آل فيصل والد الملك عبدالعزيز ومؤرخ في عام 1338هـ وهذا دليل يؤيد أن علاقة البادية مع الملك عبدالعزيز منذ عام 1321هـ أي: في أعقاب استعادة الملك عبدالعزيز للرياض، وهذا يدل على أن دور ابن راشد[4] كان ممهدًا لضم منطقة عسير، وهذه الخطابات النادرة التي وجدنا فيها مخاطبة الإمام عبدالرحمن[5] بشكل مباشر؛ وفيما يلي نورد ما تضمنه هذا الخطاب: «من عبدالله بن محمد بن راشد إلى جناب الأشم الأحشم الإمام المكرم عبدالرحمن آل فيصل لا زالت سعوده في غالبة البلدان طالعة.. وسيوفه عن أهل الشرك والتوحيد قاطعة فارقة آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخطأ إبلاغ جنابكم الشريف جزيل السلام، والسؤال عن أحوالكم الفاضلة الكرام وعن مجدكم نحمد إليكم الله الذي لا اله إلا هو وعلى حلو النعم ومر البلوى الله يجعلنا وإياكم من الشاكرين، وكتابكم المكرم الشريف وصل وبه السرور لمحبكم حصل، وما عرف

جنابكم كان لدى محبكم معلوم من طرف الخدم -إن شاء الله- نحطهم على الجبال لأننا حال التاريخ في «تثليث» متجهون للصبيخة أعلى الهجر ثم نخبر جنابكم المكرم لما جينا على المهاجرين من وإذ أنهم جامعون جيشهم همتهم المعزا على يام وقرعناهم، وامتثلوا وما صار عندهم من شدة في الدين على غير دليل وفي قليل حين سمعوا بكراهيتنا لذلك انتهوا قبل أن ننهاهم، ولوجب بهم واحد منا بالإخوان بكتاب ولي الأمر وأمرهم بالخروج من أموالهم خرجوا من ذلك، يرون السمع والطاعة من أعظم الدين، والحمد لله الذي أرانا فيهم العفاف ومحبة الخير والرغبة، فالسمع والطاعة من ولاة الأمور، كذلك نبشر جنابكم بأن عربان الجنوب وقراهم الذين دون عسير مقبلون على الخير رغبًا ورهبًا من ولاة الأمور، ومن الذين يلونهم من المهاجرين، ولابد -إن شاء الله- يأتيكم منا تعريف بعد وصولنا إلى القرى والبادية الجنوبية هذا ما لزم أن تعرفه جنابكم المكرم مما يدوام لازم الخادم وغير وعلى جنابكم تبليغ السلام، الأبن المكرم عبدالعزيز وإخوانه والشيخ عبدالله... والمشايخ ومن لدينا الإخوان يسلمون كثيرًا ودمتم ساعين محروسين...»[6].

إن هذه الوثيقة تشير إلى أسبقية رجال البادية في شرق منطقة عسير في انضمامهم وولائهم للملك عبدالعزيز، وصادق ولائهم حتى أنهم يرون أن طاعة ولي الأمر من الدين، ويظهر اهتمام الملك عبدالعزيز بهذه الجهات وتواصله الدائم معهم إلا أن المصادر لا تسعفنا بمعلومات مشاركة أبناء بادية منطقة عسير في جيوش الملك عبدالعزيز الموحد في عام 1337هـ حيث تذكر المصادر عن مشاركة قبائل البادية في منطقة عسير؛ ففي رواية أحد المعاصرين لهذه الأحداث يوردها العمروي، يذكر مشاركتهم في معركة تربة في شهر شعبان سنة 1337هـ ثم عادوا إلى ديارهم وصاموا رمضان في تثليث[7]، وبعد أن أفطروا من صيامهم جاءتهم الأوامر بالتوجه إلى نجران[8] وما حولها لصد قوة كان قد بعثها إمام اليمن[9]، فتقاتل الجمعان في وادي بدر ودارت المعركة وكان النصر حليف أهل «تثليث» وما جاورها حيث قتلوا من عدوهم ما يقارب من ثلاثمائة قتيل من بينهم داعيهم وقائد جمعهم السيد عبدالله أحمد الكرمي، وقد شاهدت بعض الغنائم التي سبق وغنموها يومئذ ومنها بعض صناديق من الخشب عند آل بخيتان حيث كان فيها أدوات حربية وغيرها وكذلك حربة وكلها للمكرمي أو غير تلك المعركة ومثل ذلك عند آل عبود»[10].

هذا ما رواه العمروي في كتابة منطقة «تثليث» وما حولها نقلها عن الشيخ: راشد بن علي بن بخيتان من المشاعلة والشيخ خنثل بن جعفر بن شري من المساردة بجاش، والشيخ محمد بن مذكر بن سجعان من آل فطيح المشاعلة موضحًا أنهم شاركوا في ضم الحجاز وعسير وما تغيبوا عن وقعة من الوقائع، وفي الحقيقة أن الاشتبكات مع قبائل يام تحتاج إلى دراسة وتحقيق حول ما ورد عند العمروي، وما ورد في العديد من المصادر المحلية والتي تثبت أن بعضها موضوع، والآخر لا يخلو من معلومات غريبة أو مغلوطة ومختلفة، وهذا الأمر ليس مجال بحثه وتمحيصه في هذه الدراسة، وربما كان من أفضل من كتب في هذه الأحداث خاصة منذ ضم عسير في عهد الملك عبدالعزيز عام 1338هـ وانتصار حملة الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي حتى تولى الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم الإمارة في المنطقة إلا أن الإشارة إلى غزوات عسكرية موجهة إلى نجران لم ترد بشكل مفصل؛ فنجد النص التالي: «وكذلك الغارة التي قادها في آخر عام 1337هـ ابن عبود ومترك والحميداني وشعوان وابن بخيتان، وهاجمت جماعات من ناهس وكود، كما نهبوا بلدة بدر وقتلوا من قتلوا ومنهم المكرمي»[11].

وفي مرجع آخر ورد ما نصه: «فعندما عزم الملك عبدالعزيز على إخضاع عسير السراة نراه قبل فتحه أبها قد أنفذ إلى بلدة بدر في نجران سرية عسكرية بقيادة ابن عبود الذي تمكن من ضبطها وأخذ العهد على المكرمي بأن يكون وقومه صادقي الولاء لعبدالعزيز والذي تمكن بعد فتح عسير بتوجيه قوة أخرى بقيادة ابن عمر – وهو حمود بن عمر بن قرملة إلى جبونه وألحقها بدولته بعد أن أخذ العهد والميثاق على أهلها»[12].

إلا أن المرويات الشفهية لهذه الأحداث قد أوردت الكثير من الروايات المتضاربة والتي تضاربت في الأحداث والنتائج واختلفت في تحديد تاريخها بدقة سواءً أكانت معركة بدر وما أعقبها من صدامات عسكرية تتمثل هذه الصدامات فيما يلي:

1. معركة بدر الجنوب وكان الجيش بقيادة ابن عبود وشعوان ابن مشبب وابن جافل[13].
2. معركة حبونا بقيادة بيرم آل مالك[14].
3. معركة نجران وتحديدًا في قرية آل منجم وهي بقيادة حمود بن عمر بن قرملة[15] سنعرض للأقوال والرويات المتباينة ثم نقوم بترجيح الأصح.

«ففي معركة بدر يذكر أن محمدًا بن جعفر بن عبود توجه أول سنة 1338هـ صدرت الأوامر له من الملك عبدالعزيز إلى بدر لصد قوة بعث بها الإمام يحيى وورد في مخطوطة عبدالرحمن بن ناصر: «وكذلك في تلك السنة 1338هـ أنفذ إلى بلدة بدر سرية وأمر عليها ابن عبود فاستولى عليها وتمكن من ضبطها وأخذ العهد على رئيسها المكرمي بأن يكون وقومه صادقي الولاء»[16].

ثم وقعت معركة بين قبائل البادية وقبائل نجران بعد اعتدائها على إحدى قبائل الحجار من بادية منطقة عسير، وحدثت هذه المعركة في عام 1339هـ في موضع اسمه مخصوب، وقبلها معركة في موقع يسمى الصفاح وكان النصر حليف البادية الذين كانوا يمثلون جيوش الملك عبدالعزيز..»[17]، وفي القول الثاني والذي سنقوم بالإيجاز في الاقتباس: «.. أمر عبدالعزيز بدو قحطان بإنشاء هجر لها في نجد خـــلال الفترة... حيث قـــاد محمد بن جعفر بن عبود في بداية عام 1335هـ ومعه شعوان بن مشبب وفهاد بن محمد بن جافل وحامل الراية عائض بن مذكر بن حافل وبجيش قوامه أكثر من ألفين فـــارس...»[18]. وتشير هذه المعركة إلى تضارب الأقوال حيث كل جانب يدعي الانتصار فيها، كما تشير إلى صدامات عسكرية موازية ضد قبائل ناهس وقبائل أخرى من شهران.

وعلى ضوء هذه النصوص يتضح أنها تجمع على أن معركة بدر كانت قبل معركة حجلا عام 1338هـ إلا أن هذه النصوص لا ستند إليها ولا يعول عليها كثيرًا لعدة أسباب:

أولًا: فالروايات متضاربة، فهي تذكر وجود جيش للإمام يحيى يتمركز في بدر الجنوب والقوة تحركت لإيقافه، ثم تذكر هزيمة أهالي بدر وأخذ العهود على المكرمي في الولاء للملك عبدالعزيز[19].

ثانيًا: وفي جانب من هذه الروايات نذكر أن الجيش كان بسبب مكائد من مشائخ وقادة البادية وحاضرة قحطان ضد قبائل بدر وأنها قبل معركة حجلا وفي الفترة ما بين أواخر عام 7331هـ وبداية عام 8331هـ وتذكر الروايات استشهاد عدد من قادة هذه الحملة(20).

ثالثًا: تذكر هذه الروايات وجود عدة معارك ضد قبائل شهران وخاصة ناهس وكود وهذا ما لم نجد ما يؤيده في المراجع أو الوثائق التي بين أيدينا[21].

وأغلب ما كتب في هذه الأحداث هي روايات شفهية والمراجع التي أشارت إليها لم تشر إلى مصادر معلومات في حين أن الوثيقة التي سبق وأورد منها في هذا المبحث من الشيخ عبدالله بن محمد بن راشد إلى الإمام عبدالرحمن الفيصل، والد الملك عبدالعزيز المؤرخة في 20 ربيع أول 1338هـ والتي تشير فيها إلى أن الإخوان من البادية كانت همتهم الغزو على قبائل يام؛ فمنهم من ذلك الأمر ولم يشر إلى أي غزو سابق قد حدث بين الأطراف، وفي هذا دليل واضح قاطع أن من يذكر أن هذه الصدامات قد سبقت معركة حجلا فيه الشيء الكثير من مجانبة الصواب[22]، وعدم الدقة؛ وفي وثيقة أخرى وجهت لمشايخ من البادية موجهة من الشيخ عبدالله الراشد مؤرخة في 9 جمادى الأولى 1338هـ ورد في نصها ما يلي: «إنا أرسلنا المسردي لابن معمر على وعد عند ابن هشيل وخفنا يضيق علينا الوقت وما مر بنا على... وأنا المسردي فعارضه ناس من ناهس منهم محمد بن جرمان وأحمد بن خزام معهم خطوط من الإمام مرو بها السليل وخطوط من بيشة من ابن معمر وابن ثنيان وناهس ظنوا أنا نحتاج للمسردي فرد جواب الخطوط فالظاهر أنا تتواصل إلى بيشة إن شاء الله.. «[23]. وفي هذه الوثيقة إشارات واضحة وكبيرة إلى أن البادية في منطقة عسير من قبائل قحطان وشهران وأبناء عمومتهم من الحاضرة قد بايعوا الملك عبدالعزيز وأصبحوا كلهم دعاة لملـــك ولدعوته التي بنيت على العدل والمساواة ورفع المظـــالم، وأن الكثير مما يرون عن الصدامـات المسلحـة بين قبائـــــل البادية في منطقة عسير وقبائل البادية فيما بينها تحتاج لكـثير من التروي والدراسة، وأن كثيرًا من المعلومات التي كتبت لا يركن إلى صحتها بل أن من خلال البحث وجد أن التراث الشفوي قد نظر إليها أنها صراعات قبلية[24]. وأن تمنع القبائل في نجران لم يكن رفضًا للانقياد للملك عبدالعزيز بل ربما كان خوفًا من التعصب الديني الذي صاحب حركة الإخوان.

وفي ذلك يقول شاعر من يام[25]:

مرة يركب ومرة يقـــــوده... نصه ابن سعود راعي الكلام

خبر ابن سعود يردع جنوده... ما يبني بأرض يام خيـام

وفي هذه الأبيات يتضح لم يتضجروا من ابن سعود، وإنما الضجر من جنوده الذين يطلبون منه أن يردعهم ويبعد عنهم بعضهم حتى أنه يقسم أنه لن يرتدي الزي الذي ميز الإخوان، وهي العمامة البيضاء وهي كناية أنه يرفض التعصب الديني تميز به الإخوان أثناء حروبهم ضد أعداء الملك عبدالعزيز.

فالراجح عند الباحث أن معركة بدر لم تكن قبل معركة حجلا بل في أعقابها إلا أن المصادر لم تسعفنا بتحديد دقيق لها، وفي وثيقة تثبت أن بدر الجنوب وأهلها قد دخلوا في أمان الملك عبدالعزيز.

الوثيقة التي سنورد نصها والتي حررت في 18 صفر ولكن للأسف لم تكتب فيها السنة بما يجعلنا في حال عدم الزم بوقت معركة بدر، وابن عسكر عين في عام 1342هـ في شهر رجب فهل كانت الرسالة في العام الذي يليه هذا ما لا نستطيع الزم به، وما أعقبها من أحداث صباح القصب في بلاد سنحان[26]، حيث ورد أن معركة القصب في شهر رمضان 1342هـ وغزو بيرم آل مالك وغزو حمود بن قرملة. وهذه الوثيقة جاء فيها: «من عبدالله العسكر ومحمد بن دليم إلى من يراه من الإخوان وكافة قحطان.. عرفتوا أن أهل بدر وجميع من قد عاهد عند عمر من يام تركم مقروعين منهم ولا عليهم اعتراض في البلاد والأسواق تراهم آمنين بأمان الله ثم أمان ابن سعود ثم أماننا..»[27].

إضافة إلى أن حنكة الملك عبدالعزيز المعهودة لم تكن لتجعله يوجد عدوين له في وقت واحد في جبهتين مختلفتين، وهو من عرف خلال سيرته العظيمة في توحيد المملكة أنه كان سياسيًا حاذقًا وشجاعًا مقدامًا في آن واحد مما جعله بعد الله -عز وجل- يستطيع أنه يسقط أعداءه واحدًا تلو الأخر بما لا يسمح لهم بالتعاون ضده والاتحاد ضد أهدافه النبيلة السامية.

بعد جلاء الأتراك عن عسير حاول حسن آل عائض الأمساك بمقاليد الأمور إلا أن سياسته اتسمت بالقمعية والتعسفية في الإقليم الجبلي للمنطقة، وفي أيضًا الأجزاء التهامية التي كانت منقسمة الولاء فقبائل قحطان وشهران وإن أظهرت الولاء للإدريسي إلا أن المراسلات بينهم وبين أبناء عمومتهم من البادية مستمر، ودعاة الملك عبدالعزيز والمبشرين بحكمه العادل والحاملين لكتبه المرسلة للمشائخ والأعيان يجوبون البادية وغيرها من الديار التي بعيدة عن مراقبة ابن عايض[28].

إلا أنهم معلنون الولاء للإدريسي مع استثناء أوضحوه له وأقرهم عليه[29]، وربما كان إقرار الإدريسي لعلمه ويقينه أن قوة الملك عبدالعزيز لا يمكن أن يوقفها كيد كائد أو نقمة حاسد أو محب الفساد والفرقة[30].

لقد جعلت سياسة حسن آل عائض الغير موفقة في إيجاد صدامات عسكرية مع أجزاء من قبيلة عسير السراة وتهامة تسندهم قوات الإدريسي ضد ابن عائض وصدامات أخرى ضد بعض قبائل رفيدة وتسندهم قبائل قحطان بزعامة محمد بن دليم ودعم محدود من الأدريسي[31]، وإن كانت الحادثة التي أثارت الحرب بين قحطان الحاضرة وابن عائض لم تكن فقط أمورًا سياسية وسعيًا للسيطرة كما ذكرت عند النعمي وابن زلفة، بل كانت لتعدي واضح من ابن عائض على حقوق كفلها الدين والعرف للإنسان فما كان إلا الوقوف في وجه الظالم هذه الصدمات العسكرية التي مني فيها ابن عائض بالهزيمة في أولها ثم جهزه حملة أخرى مجهزه بالمدافع والقوات الكثيرة فوصلت قواته إلى السراة إلا أن سياسته مع الأهالي أتسمت بالظلم والعدوان واستنزاف خيراتهم مما جعل الشكاوي ترفع إلى مقام الملك عبدالعزيز والوفود تفد إلي خاصة من قبائل قحطان[32]. وبسبب ذلك نفرت منه القبائل وخصوصًا قبائل قحطان، وأرسلت وفودها شاكية إلى السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود[33]، شارحين له ما الت إليه المنطقة من الفوضى والاضطراب، وكان الملك عبدالعزيز لا ينفذ سياسته بالقوة إلا بعد أن تسد الأبواب في وجه المساعي الحميدة للسلام[34]؛ فبعث إليهم بستة من علماء نجد للإصلاح بينهم، وكتب إلى الأمير حسن يدعوه للرجوع إلى ما كان عليه أجداده، وهو العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. وقد استمر حسن في غيه وسياسته القمعية والتعسفية، فأبى توسط العلماء، وعد تلك الوساطة تدخلًا في شؤون عسير الداخلية، وردهم مكابرًا، حيث قال: «إذا كان ابن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسير فسنمشي إلى بيشة النخل - قلعة بيشة، ونستولي عليها، حيث إنها كانت تابعة لأجدادي في الماضي[35].

لذلك اضطر السلطان عبدالعزيز إلى تجهيز حملة عسكرية قوامها ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ابن عمه عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي؛ لتوطيد الأمن، وإنهاء الفوضى الضاربة في بلاد عسير، وأمره أن يدعو حسن بن عائض للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان أسلافه الأولون في منطقة عسير، وكانت الأسلاف عبدالعزيز سيادة على المنطقة، وقد دخلت ضمن أملاكهم[36]. وكانوا يرجعون إليهم في حل مشاكلهم، ويرون في حاكم

نجد أنه هو الحاكم الشرعي، إذًا لابد من الاقتداء بأسلافهم السابقين[37]، إضافة إلى ما سبق وذكرنا من علاقة البادية المبكرة بالملك عبدالعزيز وسعيهم إلى توطيد حكمه والدعوة إليه في عسير.

سار الأمير عبدالعزيز بن مساعد بحملته عندما لم تنجح الوساطة السلمية في شهر شعبان ١٣٣٨ه الموافق مايو 1920م، وواصلت تقدمها عن طريق رنية حتى وصلت إلى بيشة، وتقع هذه المدينة في المنتصف بين نجد وعسير، والتي اتخذها الجيش السعودي قاعدة لعملياته العسكرية[38]، وقيل: واصل زحفه إلى القاعة[39]، وهي أرض منبسطة تقع في شرق بلاد شهران، حيث عسكر بجيشه هناك، وفيها انضم إليه قبائل قحطان وشهران. وقد خاطب الأمير عبدالعزيز مشايخ وقبائل قحطان وشهران بادية وحاضرة يدعوهم إلى مقابلته في القاعة ويدعوهم إلى الأنضمام لقواته ويدعوهم إلى جمع الشمل، واتحاد الكلمة، وتطبيق الشريعة كما كان أسلافهما[40] عليه ويحذرهم مغبة التأخير.

ومن القاعة بعث الأمير عبدالعزيز بن مساعد الرسائل التي كان يحملها إلى أصحابها مصحوبة برسائل منه شخصيًا يحثهم فيها على تجنب مخاطر الحروب والجنوح إلى السلم، والدخول تحت الطاعة للملك عبدالعزيز فسارت إليه وفود القبائل مؤيدة له وكامل عدتهم وعتاهم. ومن المشائخ الذي أرسل عيونه إلى أبها عونًا للأمير ابن مساعد الشيخ ابن مشيط[41].

أما حسن بن علي بن محمد بن عائض فقد بعث إليه الأمير عبدالعزيز بن مساعد برسالة الملك عبدالعزيز ومعها رسالة أخرى منه يحملها وفد يتكون من كبار قادة الجيش برئاسة القاضي الشيخ عبدالله بن راشد، ومحمد بن سلطان، وفيصل بن حشر القحطاني وآخرين معهم[42]، وكان مضمون رسالة السلطان عبدالعزيز هي دعوة ابن عائض إلى اجتماع كلمة العرب بتقويم دين الله والتعاضد على كلمة الله؛ لتكون هي العليا، وأنه ليس له قصد في الأذى أو التعدي على أمر من أمور الدنيا غير راحة المسلمين[43]، وتضمنت رسالة السلطان عبدالعزيز أيضًا تفويض الأمير ابن مساعد في المفاوضات معه على ما يتفق عليه الطرفان[44].

فاستدعى الأمير حسن كبار قومه بعد وصول الرسالة؛ للتشاور والرد عليها للأمير بن مساعد غير أن رد ابن عائض امتاز باللباقة عندما استعرض فيها العلاقات بين الاثنين، ورحب بتطبيق الشريعة الإسلامية واتحاد الكلمة، وأظهر رغبته لإيفاد من يدير المباحثات معه إلا أنه في الوقت نفسه تمنع من الدخول تحت طاعة آل سعود عندما قال: «إن آل عائض ملتزمون بحدود الله وتطبيق شريعته، ولسنا بخارجين عن طريق الحق والشرع»، ثم بعد ذلك أفصح عن حق عسير في الاحتفاظ باستقلالها ضمن حدودها المعروفة، وما أشكل يعرض على هيئة تحكيم شرعية تفصل بين الطرفين[45]، بقوله:

« وتعلم -بارك الله فيك- ما بين الحمولتين آل سعود وآل عائض من مراعين قواعد ما نحن ممن يخلف العادة ولا تستنكر السوابق أخبارنا إلا الأنام على ما تحب.. الله ورسوله وأمرنا من فظل الله على الشرع الأنور آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر نحل الحلال، ونتجنب الحرام وعلى ما عليه أوائلنا السابقين..»[46]. وهنا يؤكد ابن عائض تمسكه بالدين والأخلاق الإسلامية والحذر من سماع أخبار عنه غير صحيحة، والحقيقة أن هناك كثيرًا من الأخبار بظلم وتعدي حسن آل عائض، ومن ذلك أخباره مع محمد بن علي بن مريع شيخ قبيلة لحاف رفيدة التي رواها الكثير من المعاصرين، والتي كانت من الأمور التي أثارت الخلافات بين ابن عائض ومشايخ رفيدة وناصرتها بقية قبائل قحطان، وهذه أمور وأحداث سكت عنها

النعمي وابن زلفة[47]، وغيرهم ممن كتب في هذه المرحلة التاريخية، وإن كان أفضل من أشار إليها إشارة على أخطائها ابن زلفة، حيث ذكر أن الصدامات مع علي بن مريع بن غوي والصحيح أنها مع محمد بن علي بن مريع شيخ الحاف من رفيدة وكان له دور بطولي، وقد مات كلاله رحمه الله رحمة واسعة؛ إلا أن والمعلومات لم تكن كاملة مفصلة[48]، ثم يقول ابن عائض في خطابه مطالبًا الأمير ابن جلوي بما نصه: «حدود ابن عائض لا يصير فيها هتك وتعدي، وإن اشتبه حال بيننا فلا تزكى أنفسنا وقارعيكم بالقرع المحمدي، ثم يظهر تمسكه بدعواه في تلك المنطقة فيقول: «ونحن آل عائض بحمد الله ملوك أرطنا من ساعدنا وعاملنا بالجميل ساعدنا ومن أراد هتك أمرنا فلا قد أطاح الباري لنا حظ»[49]، وكانت الرسالة هذه في 11 شوال 1338هـ وفي تلك الأثناء كان الأمير ابن مساعد يبعث للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الرسائل من بيشة، ومن القاعة محملة بأخبار الحملة وخطواتها وما يستجد فيها لحرب ابن عائض والمراسلات معه، ولم ييأس ابن جلوي من عايض، بل بذل محاولة سلمية أخرى، فأرسل إليه وفدًا برئاسة القاضي عبدالله بن راشد؛ لمناقشته لإعادة النظر في السلم ودخول الطاعة[50]، والحقيقة فقد مال الأمير حسن للسلم إلا أن ظهور جناح متصلب من قبيلته بني مغيد كان يرى عكس ذلك؛ فقاموا بتهديده بالخلع لو جنح للسلم، وقالوا له: «إن القوة لا تواجه إلا بالقوة»، فأحبطت تلك المساعي من قبل الذين لا يريدون السلام[51]، فصار الصدام بين الأنبين، وخاصة حينما قام ابن عمه عم حسن ابن عائض بإخراج مشطًا (رصاصًا) للوفد، وهذا معناه علامة الرفض للمفاوضات السلمية، لذلك واصل الأمير ابن مساعد تقدمه من القاعة[52] في طريقه لابن عايض. وعندما دنا من جبال عسير انضمت له قبائل شهران التي سبق أن أعلنت طاعتها، وعلى رأسها رئيساها سعيد بن مشيط[53]. ثم واصل زحفه إلى أبها، فخرج إليه حسن بن علي آل عائض من أبها ومن معه من قبائل عسير، فالتقى الفريقان في يوم الخميس من النصف الأخير من شهر شوال في «حجلًا» الواقعة بين أبها وخميس مشيط، فكانت المعركة شديدة، والهزيمة فيها من نصيب حسن وأتباعه. وكان دور البادية فيها مؤثرًا فلم يشارك في معركة حجلا إلا الجيش القادم مع الأمير ابن جلوي والبادية من قحطان والبادية من شهران وأبلوا بلاءً حسنًا واستشهد منهم الكثير. وبدأ الهجوم في معركة حجلا التي تعد بحث من أعنف المعارك ومن المرجح أنها آخر أسبوع شهر شوال عام 1338ه[54]، أو أول أسبوع من شهر ذي القعدة من العام نفسه.

تمركز جيش ابن عائض في جبل قحطان وكان معه مدفعية ركزت على البل ووضعت المتاريس «المحاجي» للرماه وتحصنوا في الأبراج والمنازل في حجلا مما أدى إلى مقتل الكثير من جيش الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي الذي قام بالالتفات من خلف الجيش العسيري[55]، وإخماد نيران المدفعية مما جعل الكفة تنقلب ويكثر القتل في جيش ابن عائض وانتهت المعركة قبل غروب اليوم الثاني إلا أنه اسمر أسر عددًا من المتحصنين في إحدى قصور جحلا وكان لبادية قحطان، وبادية شهران «بني واهب» جهودًا كبيرة في تحقيق النصر وفي ذلك يقول الشاعر:

يوم الخميس أنشى على كل ديرة... وأنشى على حجلا بصفر المعابر[56]

وفي اليوم الثالث دخلت قوات الجيش السعودي المكونة من قحطان وشهران الحاضرة[57]، مدينة أبها ويبدو أن البدو قد تم منعهم من دخول مدينة أبها[58].

أما ابن عائض فقد توجه إلى السقا والحرملة للالتجاء إليها[59]، إلا أن رواية لأحد معاصريه والذي كان من المقربين لحسن آل عائض يروي ما نصه[60]: «بعد فشل المفاوضات مع عبدالعزيز ابن مساعد قائد جيش ابن سعود تأزم الموقف وأصبح حسن بن عائض في موقف حرج بعد أن وصلت أنباء زحف جيش ابن سعود من القاعة باتجاه أبها وعلى أثر ذلك طلبني ابن عائض على وجه السرعة وأمرني أولًا أن أخرج المساجين من أبها وأنقلهم إلى ريدة في تهانة ثم أمرني بأخذ عدد من الرجال المسلحين ثم قرصني في عضدي الأيمن بشدة، وقال يا محمد بعد أن تترك المساجين في ربدة، اصطحب الرجال الذين انتدبتهم معك وتمركزوا في جرف ربدة عند بداية طريق العقبة وراقبوا الجانب السروي والتهامي في آن واحد وإياك أن تسمح لأحد أيًا كان بالنزول أو الصعود عبر العقبة..»[61] يكمل.

هذا المعاصر لروايته فيقول: «مع إشراقة يوم الخميس بدأ صوت دوي المدافع في جحلا يصل إلى جرف ربدة حيث يتمركز محمد بن راشد مع رجالة لتأمين ومراقبة العقبة ودارت رحى المعركة وهزم جيش ابن عائض هزيمة ساحقة وتراجع إلى أبها ولما رأى ابن عائض أنه لا جدوى من المقاومة اختار اللجوء إلى حصنه المنيع في حرملة بتهامة...»[62]. وبذلك فإن ابن عائض لم يكن لم يتوجه إلى «السقا» بل إلى «الحرملة» التي هي من أمنع المواقع التي توجد بها قلاع وحصون آل عائض[63]. وسعى الأمير عبدالعزيز بن مساعد والشيخ عبدالله بن راشد ترسيخ النظام الجديد في المنطقة، وقد بعث الملك عبدالعزيز بالتعليمات والتوجيهات إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد والتي احتوت عددًا من النقاط المهمة كان منها شيوخ في شهران وقحطان كل على قبيلته وديرته ومرجعه الملك مباشرة، وسحب جميع المعدات الحربية من مدافع وذخيرة بجميع أنواعها من المنطقة، والأهم هو توجيه الملك عبدالعزيز بمرابطة جيش الإخوان في المنطقة، وإذا ما قاموا بأي غزوة في الأطراف الجنوبية القريبة ينفذونها ويعودون إلى أماكنهم لحين صدور الأوامر[64].

هذا الجيش من بادية عسير «إخوان في طاعة الله» والذي تكون أغلبه من الحادر من قحطان وعبيدة من قحطان وبني واهب من شهران، وعرف الكثير من قادته والذي سنذكر منهم: معيض بن جعفر بن عبود ومترك بن عشق بن شفلوت ومحمد بن جحدب بن بخيتان وجعفر بن جمل بن شري ومحماس بن ريحان وهذال بن حويزي وناشر بن محمد بن وله وجراب بن حسن آل جميح[65]، وفهاد بن محمد بن جافل[66]، وابن نورة[67]، والفوية من بني واهب[68]، ثم بعد لذ تعيين شويش بن ضويحي أميرًا على عسير ومعه القاضي محمد إسماعيل[69]، وذلك بعد ذلك تم البيعة من آل عائض والإذن لهم بالرجوع إلى المنطقة وفي هذا الأمر نجد وثيقة موجهه لمشايخ من البادية من الملك عبدالعزيز يقول فيها: «حطينا خادمنا شويش أمير؛ لأن القصد بذلك دوره الذي يصلح عليه الحال وأمركم وأمره راجع إلى حكم الشريعة والشيخ محمد نايب عني في أحكام الشريعة..»، وفي موضع آخر من الوثيقة: «من طرف آل عائض في حسبة أولاد آل سعود وصادر القرار فيما بيننا وبينهم كما ترون في ورقتهم التي علها أمضاهم برضاهم»[70]. وتولى الأمراء في المنطقة حتى حدثت ثورة عسير على الحكم السعودي بقيادة بن عائض وهذا أمر سنوضحه من خلال ما كتبه أحد الذين كانوا من ضمن المحاصرين.. ولكن يبدو أن البادية وجيشهم كانت لهم تحركات وعمليات موجهة لبسط نفوذ الدولة، ولم يكن فقط أعمالهم عسكرية فقط بل هناك توجهات وتوجيهات لنشر العلم وتعليم الناس أمور دينهم، وكانت التعليمات الموجهة لهم تقضي أن يكون تعاملهم بالرفق واللين وبالأخلاق الحسنى.

وفي خطاب موجه من الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ[71]، إلى أحد قادة البادية مترك بن شفلوت[72]، حيث ورد في الخطاب الكثير من التوصيات والتوجيهات والتنبيهات في تعليم الناس وإرشادهم وبسط نفوذ الدولة على رعايها. وفيما يلي نورد الخطاب: «من محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ إلى جناب الأخ المكرم الأمير مترك بن عشق بن شفلوت (....) الخط المكرم وصلنا وما ذكرت كان معلومًا وجيشك أنت والإخوان هذا هو الظن فيك، والواصل إليك الإخوان فهد بن عبدالرحمن الصميت وعدالله بن إبراهيم وعامر وأخواهم ووصيناهم بالرفق واللطف واللين في الله، والقول باللسان بالنصح، وأما اليد فلا لأحد مدت يد لا صغير ولا على خاص ولا عام، وأما الكلام فهو موقوف على الاثنين فهو وعبدالله وإلي غيرهم من الإخوان ما له رخصة لا في كلام ولا مدت يد... واللي بيني وتبيك وثراه كلمة أو فعل من صغير أو كبير مخالف لشوفتك أنت والإخوان ترى المعروف فيه أنت، واعتمادنا على الله ثم عليك يا ولد عشق لأننا نظن فيك الخير، وإن شاء الله من يحامي على ولاية المسلمين لكن خوفنا من زلة سفيه تغفل عنها ويصير ضررها كبير وأنت فاهم أن هذه الجهات ما بعد عرفوا الإسلام ونبي الإخوان يعلموهم دينهم بسلاسة وحسن خلق؛ لأن أهل تهامة تعرف حالهم كل شيء يخيل إليهم، ويجعل كذلك طوارف السيد من بادية وحاضرة الحذر من تعرضهم أو أمرهم أو نهيهم؛ لأن ما هم في لزمتنا ولا في لزمن أمامنا كذلك طوارف الشريف القنفذة ومن حولها لا تعتبر ضوهم أنم روحتكم لأهل تهامة اللي في ولاية عبدالعزيز اللي الله يا مترك يا خوي الحذر الحذر من أمور تنقينا وتنقدك إياك إياك تظهر من شوفه فهد وعبدالله، وإنا ما حرصت عليك إلا خوف من أمور تقع وإلا الإخوان فيه بركة والنصايح مع الأخوان، وفيها الكفاية هذا ما لزم وسلم لي على من عندك وأنت سالم والسلام 30 صفر 1340هـ»[73].

في هذا الخطاب الموجه لأحد من أهم قادة البادية في منطقة عسير، والهدف ليس عسكريا بل تعليم الناس وتوعيتهم وحرص على حسن الجوار مع القوى المجاورة للبلاد التابعة لحكومة الملك عبدالعزيز، ولم يكن الهدف عسكريا بل هو بسطًا لنفوذ الملك عبدالعزيز تأكيدًا له وحرصًا على محاربة الجهل ونشر العلم، والخطاب تضمن تحديد المسؤوليات، وكذلك تحديد الصلاحيات ومنع التعدي باليد أو بالكلام، وفيه توجيهات راقية سلمية توضح حرص هذه الدولة على احتواء أبنائها بادية وحاضرة، والسعي إلى خدمتهم ونشر العلم بين أبنائهم.. وحرصهم عليه.. وبذلك فالفترة بين معركة حجلا عام 1338هـ وحتى ثورة حسن آل عائض لم تكن كلها أحداثًا عسكرية إلا أنه للأسف لم يتم تناول الجوانب التعليمية والاجتماعية والإنسانية في هذه الفترة حيث ندرت الوثائق التي تتعلق بهذه الوانب، وكان الاهتمام بالنواحي والحوادث السياسية والعسكرية التي كانت هي المسيطرة على جميع من تناول هذه الفترة بالكتابة والبحث[74].

نعود لهذه الفترة الحرجة والمهمة في فترة تأسيس المملكة العربية السعودية وضم منطقة عسير إلى هذا الكيان الذي سعى إلى توحيده الملك عبدالعزيز.

سعى الأمير عبدالعزيز بن مساعد إلى بسط النفوذ على السراة بجميع نواحيها، وسعت الرسل لتأمين حسن وابن عمه القوي محمد بن عبدالرحمن وإعطائهم الأمان فسلما أنفسهما للأمير عبدالعزيز بن مساعد الذي قام بإرسالهم إلى الملك عبدالعزيز الذي أكرمهم واستقبلهم وعاملهم كأبنائه فقد مر معنا في أحد خطاباته ما نصه: «... من طرف آل عائض في حسبه أبناء آل سعود..»[75]، وقد وجه الملك عبدالعزيز لآل

عائض ما نصه: «.. ما تخلينا أبدًا عنكم يا آل عائض وعندما سأل الترك الشريف عبدالله بن عون أن يهاجمكم وينكل بكم أرسل الشريف يستنجد بعمي الإمام عبدالله فأجابه ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه..» [76]، وتذكر العديد من المصادر أن الملك عبدالعزيز قد عرض إمارة منطقة عسير على ابن عائض بالشروط التي تقيد بها أجداده فرفض ابن عائض هذا العرض متعذرًا بما نصه: «قد عادينا الناس ونخشى إن أمرتنا أن يقوموا علينا ولكننا نكون معاونين لمن توقدون أيدكم الله، ولا تقصروا عنا من جهة الدنيا» [77]. وهذه الإجابة توضح بشكل جلي علاقة ابن عائض المتوترة مع قبائل المنطقة والعداوة بينه وبين قبائلها وصداماته العسكرية التي سبقت معركة حجلا والتي سكت عنها كل من تحدث عن منطقة عسير وضمها لحكم الملك عبدالعزيز، ومما يؤكد ذلك أيضًا وصول وثائق من زعماء عسير القبلية وغيرهم تطلب عدم السماح لآل عائض بمغادرة الرياض [78].

فواصل الأمير ابن مساعد سيره غربًا بجنوب، وسيطر على جميع السراة، وغيرها من النواحي التي تتصل بحدود السيد الأدريسي [79]، وكان الإدريسي مواليًا لابن سعود، وقد أسر بعض الفارين من آل عايض، ثم أخلى بعد ذلك سبيلهم إجابةً لطلب السلطان عبدالعزيز [80]. وبعد أن تمت للأمير ابن مساعد السيطرة على عسير السراة بجميع نواحيه أرسل إلى حسن وابن عمه محمد بن عبدالرحمن بن عائض يؤمنهم [81]. فرجع حسن وابن عمه من حرملة إلى الأمير ابن مساعد للاستسلام، فأرسلهما إلى الرياض حيث قوبلا من السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بالعفو والأمان، وقد أقاما شهرًا بضيافة السلطان، واتفقا وإياه على أن يكونا معه كما كان أجدادهم من قبل [82]. قال السلطان عبدالعزيز: «ما تخلينا أبدًا عنكم يا آل عايض، وعندما سأل الترك الشريف عبدالله بن عون أن يهاجمكم وينكل بكم، أرسل الشريف يستنجد بعمي الإمام عبدالله [83]، فأجابه: ابن عايض، رجل منا فكيف نساعدك عليه!»، ثم عرض إمارة عسير؛ إلا أن الملك عبدالعزيز أكرمهم وسمح لهم بالعودة خاصة بعد ما أعطوه البيعة والولاء وأعطاهم خمسة وستين ألف ريال قريشي وهو ما يعادل ستة آلاف وخمسمائة ليرة ذهبية وخصص لهم مقررات شهرية [84].

عاد آل عائض إلى عسير وكان أمير عسير شويش بن ضويحي الذي اشتكاه حسن بن عائض فعزله الملك عبدالعزيز [85]، وأمر مكانه عبدالله بن سويلم [86]، إلا أن حسن آل عائض رفع للملك يطلب عزله ولم تذكر لنا المصادر ما هي التبريرات [87]، التي تعذر بها حسن أثناء طلب لعزل هؤلاء الأمراء فلبى الملك طلباته المتكررة، وربما كان ذلك من باب إحسان النية وإكرام من الملك لحسن الذي ربما كان بتصرفاته هذه يتعمد إظهار سطوته واستمرار نفوذه الذي تلاشى.

تولى عبدالله بن سويلم الإمارة، ولكن لم تحمد سيرته وساءت الحالة بسبب تصرفاته وعدم خبرته، وأظهر الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ غضبه عليه وذهب للملك عبدالعزيز غاضبًا له فقام الملك عبدالعزيز بعزله وعين بدلًا عنه فهد العقيلي أميرًا على عسير [88].

لقد كان تعاقب عدد من الأمراء على عسير في وقت وجيز دليلًا على أن هناك اضطرابًا في الإدارة وربما كان لحسن وجماعته دور في إثارة القلاقل والاضطرابات، وفي الوقت نفسه كان يتصل سرًا مع الشريف حسين بن علي في مكة المكرمة لمساعدته فقام الأمير ببعث الكثير من المال والعتاد لإعانته في حربه لابن سعود [89]. وقد ساعدت بعض الأحداث حسن آل عائض في تخطيطه للثورة حيث استغلت بعض الأحداث في إثارة

حفيظة الأهالي، ومن ذلك أنه يذكر أن خادمًا من هدم الأمير فهد العقيلي اشترى من السوق حطبًا فلم يجد من يحمله فطلب أحد المارة حمله، فرفض فضربه[90].

فيما يورد معلومة مشابهة لهذه الحادثة، ولكن لم تكن مع أحد المارة أو المتسوقين ولكن كانت مع امرأة من نساء مدينة أبها وهي شريفة بنت حماس[91]، لقد استغل حسن آل عائض هذه الحادثة وكذلك مؤيديه على قلتهم فهاجت الماهير وأعلنت الثورة، وقد تناول الثورة وأحداثها العديد من الباحثين، ولكن بدراسة كل من تناول هذه الثورة والحصار كانت مذكرات[92] الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن إلياس[93]، من أهم ما كتب في تلك الفترة وإن كانت لا تروى كبود العطشي لتفاصيل الأحداث، ولكنها كانت الأقرب للصحيح وذلك إن كان أحد المحاصرين في تلك الفترة وعليه أثبتت أن أورد شهادته على تلك الفترة الحرجة.

ويبدو أن ما شجع ابن عائض أيضًا على هذه الثورة هو ما حدث لشريفه مترك بن شفلوت في بلاد رجال الحجر والمعروفة بمعركة الخلصة[94]، والتي نرجح أنها كانت متزامنة مع ثورة حسن آل عائض، أو قبلها بقليل حيث إن هذه الثورة وأثناء حصار العقيلي قام مترك ابن شفلوت وابن عبود بقيادة قوات البادية المرابطة في خميس مشيط بغزو سبت آل يزيد في الشعف[95].وإبان غزوتهم تقدمت قوات ابن عائض واحتلت الخميس وحاضرت قصر ابن مشيط في ذهبان إلا أن ابن مشيط استسلم بعد أن استجار بآل أمخزمة من بني جري من بني معتيد[96]، وأمنوه على نفسه وأملاكه وأما عبدالوهاب أبو ملحة فقد تم إحراق قصره بعد أن تمكن من الهروب وكان للشيخ هيف بن ناصر القوة دور في حماية من طلب الأمان به[97]، وتجمع الموالون للملك عبدالعزيز وكانت هجر الإخوان والبادية في «تثليث» وجاش والصبيخة وبني واهب خطًا ثانيًا لمواجهة الثوار وحشدًا لقواتهم[98].

كان ذلك بعد أن خرج العقيلي ومن معه من «أخوياه» بعد صلحه مع حسن آل عائض حيث خرج بعد تأمين حياته هو ومرافقيه على شرط أن يتوجه إلى الرياض دون أن يبقوا في الخميس أو بيشة آنذاك.

إلا أنه مع وصول فهد العقيلي و»خوياه» إلى الخميس وردت رسائل كل من سعد بن عفيصان أمير الدواسر آنذاك، وأمير بيشة ابن ثنيان يطلبون تأخره في الخميس، وهم و(غزواتهم) سيصلون لنصرته و(أخوياه) في الوقت المعين.

ثم غزت قبائل عسير الخميس، وبعد معركة دارت هناك القى ألعسيريون القبض على العقيلي، والشيخ ناصر سالف الذكر، وسعد بن سعيدان المطوع.وقد منع العقيلي ومرافقوه المذكورون الشيخ محمد بن زايد شيخ القصير من قبيلة علكم، على ألا يمسوا بأذى[99].

ثم استمرت الأمور، واستمرت قبائل عسير حتى وصلت قرية آل عابس في بلاد عبيده آل الصقر[100]، ثم عاد إلى أبها، واستمر الوضع حتى نهاية جمادى الأولى عام 1340ه.وصلت الجيوش في يوم ٢٢ [من] جمادى الأخرة إلى بيشة، ثم أبها تحت قيادة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - ومنها توجهت إلى الخميس، ومن الخميس إلى أبها - يرافقه في تلك الحملة الشيخ عبدالله بن حسن - يرحمه الله - وسلطان بن بجاد، والدويش، والدهينة، وخليل بن عمر بن قرملة، وغيرهم من الحضر والبدو.

وقد هرب كل من حسن بن علي بن عائض وبعض أسرته، والتجؤوا بالشريف الحسين شريف مكة، وكانت إقامتهم عند أمير القنفذة عبدالله بن حمزة.

وفي تلك الأثناء وصلتني رسالة من محمد الحجازي الذي مازال يبحث عن موقع إقامتي وطلب حضوري لديه في دار أرحامه آل بن عبشان، وصلت إلى المذكور و(أنها أنا وياه) وفي صلاة فجر تلك الليلة (تواجدنا) في مسجد برزان الذي كان فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن -طيب الله ثراه- يصلي في ذلك المسجد، ثم سبقناه في منزله الذي يسكن فيه وبعد وصوله ذكر له محمد بن عبدالله الحجازي عن موضوع (تواجدي) في القصر إبان ثورة عسير على الأمير فهد العقيلي و(أخوياه). وبعد ذلك مشينا الجميع مع فضيلة الشيخ، حتى حظيت بالمثول بين أيادي قائد السرايا التي وصلت لإخماد ثورة عسير تحت قيادة الملك فيصل بن عبدالعزيز - تغمده الله برحمته ورضوانه - وبعد قناعته -رحمه الله- أمر بأن أكون عند أمير البيارق المدعو إبراهيم بن ودعان؛ وذلك لقيام إبراهيم بن ودعان المذكور بحل مشاكل الغزوان - كشبه كاتب عنده. ومن ضمنها ما حصل بين غزوان آل عسيلة وغزوان آل جميح في شأن بكرة ضلت، وذهبت من إبل آل جميح. وفي تلك اللحظة أظهروا من السجن كلًا من عبيد الحريقي ومحمد العبسي من عبيد المذنب، وكان صدور الأمر بـ (طق) هؤلاء الاثنين السالف ذكرهما حتى الموت؛ وذلك بسبب بقائهما في الخميس بعد غزو عسير إلى الخميس[101].

«... أما عبدالعزيز الطبقا القحطاني وحمران الشدي، فهؤلاء هربا بعد اختفائهما مع عبيد الحريقي، ومحمد العبسي، وهذا مما يثبت لكل من يعرف الغزو آنذاك، ومنهم جراب بن حسن، على مطاردة آل عائض.

مشت بعض (الغزوان) التي تحت قيادة سلطان بن بجاد والدويش، والدهينة، وخليل ابن عمر بن قرملة شيخ بادية قحطان نجده.

وقد صدر أمر قائد الحملة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز بعدم احتكاك الجيوش السعودية بحدود الشريف الحسين، وأمرهم بالعودة إلى أبها. وقد مكث الأمير فيصل مع جيشه في أبها حتى 18[من] شوال من العام 1340هـ ثم تعين بأمره لإمارة أبها سعد بن سليمان بن عفيصان، وللقضاء ناصر بن عبدالعزيز آل حسن، وشيخ الأمير فيصل على قبيلة بني مغيد الشيخ علي بن محمد بن مشيبة، وتعينت أنا - عبدالله بن إلياس - بأمره الكريم وكيلًا للمالية، وذلك بعد (قناعة) سموه التامة (بتواجدي) ضمن من حوصر في القصر مع العقيلي.

ثم توجه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز مع جيشه إلى الرياض، وقد تعين من الغزو مع بن عفيصان، وهم من الدواسر والحوطة.. خرج واستمرت الأمور على ماذكر حتى يوم 22من شهر صفر عام 1341هـ حيث وصلت السرية التي كانت بأمر الشريف الحسين؛ وذلك لمناصرة آل عائض - السرية التي قابلتها في الدرجة تحت قيادة سليمان بن سعد عفيصان، وصلت إلى الدرجة، وهناك كانت المعركة. وقد قتل القائد سليمان بن سعد بن عفيصان، وولد محمد بن دليم المسمى علي ومحفر عبد آل عائض وغيرهم»[102].

ثم تراجعت السرية السعودية، وتفرق الكثير، ومنهم القليل من دخل القصر مع كل من جعفر بن عبود، وجراب بن حسن مع (أخويا) الأمارة، ثم وصل محمد بن دليم أبو لعثه[103] على أساس ما بلغه من خبر قتلة ولده وهو ملازم القصر مع عفيصان[104]. وقد كان من بادية منطقة عسير كل من محمد بن جعفر بن عبود ومحمد بن بخيتان وعلي بن محمد بن يخيتان «المطوع»، وربيع بن صالح وبطي بن حنيشل

ومحمد بن مسفر وشارع بن جربوع، وعايض بن محمد بن حيدان وعيفة بن آل سجعان المشاعلة والعواوي من العجمان وابن جويعد من العجمان[105]، وانضم لهم من قبيلة عسير، أما شيخ علكم أحمد بن حامد، فقد انضم إلى من كان بالقصر يرافقه محمد بن زايد من قصير علكم، ومحمد بن أحمد بن يحيى[106].

أما شيخ بني مغيد المدعو علي بن محمد بن مشيبه يرافقه أحد عشر نائبًا من نواب قبيلة بني مغيد، وانضم مع من كان بالقصر، ومن ضمنهم الشيخ عبدالله بن أحمد بن مفرح. وقد تواجدت أنا - عبدالله بن إلياس - من ضمنهم بالقصر، وأغلق القصر على من فيه، وصار المدفع بعد كل عصر يرمي شدا من جبل شمسان، والرشاش يرمي من بيت دابدة زوجة علي الصنعاني، والأخرى ترمي من منزل محمد الراقدي في الربوع[107]. واستمر الحصار من 25 [من] صفر حتى 12 [من] ربيع الأول، ثم قدمت السرية من الرياض تحت قيادة مترك بن عشق بن شفلوت يرافقه في تلك الحملة محمد بن سعد ابن جيفان، ولدى وصولها إلى الخميس هربت سرية الشريف الحسين تحت قيادة الشريف راجح وعبدالمعين -سالف الذكر- منهما ومن معهما ليلًا، ومن ضمنهم أسرة آل عائض بدون قتال، ودخلت السرية أبها، وفتح القصر بنصر من الله تعالى؛ وذلك بحسن نوايا الملك عبدالعزيز يرحمه الله تعالى.وفي أواخر شهر ربيع الأول عام 1341هـ توفي سعد بن عفيصان - رحمه الله - وبعد دفنه ليلًا قام كل من محمد بن دليم، وعلي بن مشيبه، وأحمد بن حامد، وعبدالله بن أحمد، وأنا - عبدالله بن إلياس - واتفقنا على تكليف محمد بن سعد بن جيفان بالقيام بأعمال الإمارة، وبالفعل حضرنا في قصر شدا، فاعتذر المذكور بقوله:

إنه كان في مجيئه مرافقًا للسرية، ولا يمكن أن يقبل القيام بأعمال الإمارة إلا بأمر من الإمام عبدالعزيز - طيب الله ثراه - وفي تلك اللحظة قام محمد بن دليم وطلب منه أن يقوم بأعمال الأمارة، والتزمه له محمد بأنه المسؤول فيما ذكر قائلًا له: إن قصدنا نرفع للإمام التعزية في سعد بن عفيصان، ونخبره بما حصل، وعلى كل حال فالأمر لله، ثم لإمام المسلمين.وعند ذلك، وبعد إعطائه تعهدًا من ابن دليم، وشهادتنا – نحن الحاضرين - وافق على القيام بأعمال الإمارة حتى يصدر الأمر الأخير، وطلبنا منه قيام أحد (أخوياه) بحمل رسالتنا إلى الملك عبدالعزيز.وقد قام بأعمال الإمارة حتى آخر جمادى الآخرة، حيث وصل عبدالعزيز بن إبراهيم أميرًا معينًا لإمارة عسير في أول يوم من شهر رجب عام 1341ه، وقد استمر أميرًا للمنطقة حتى آخر شهر جمادى الأولى[108].وفي وثيقة من الملك عبدالعزيز لأحد المشائخ ورد فيها خبر وفاة ابن عفيصان وتعيين ابن إبراهيم حيث ورد ما نصه: «بلغنا ما قدر الله على ابن عفيصان في يومه الموعود الذي لا يتقدم ولا يتأخر... فلما بلغناه ذلك وجهنا إليكم عبدالعزيز بن إبراهيم أمير لكم مكانه والذي عليكم لأميرنا السمع والطاعة والمناصحة والمساعدة في جلب الصالح ودفع الفاسد ومضادة العدو»[109].

ومن نفس العام، وصلت السرية تحت قيادة عبدالرحمن بن سعيد، ورابطت في حجلا بهدف الاستطلاع عن بعض الأشياء بموجب التعليمات الخفية التي كان يحملها القائد المذكور، وذلك في عهد إمارة عبدالعزيز بن إبراهيم.وفي شهر محرم عام 1342ه، وعلى ما حصل من كسيرة راجح بن العرفج وعبدالمعين ومن معهم من السرية، ووصول أل عائض إلى القنفذة، لم يعد الشريف الحسين يصرف لهم شيئًا، يقوم بتأمين معيشتهم[110]، على ذلك طلبوا: «في وصول أحمد بن محيي من سكان السقي، وقد وصل المذكور إلى القنفذة، ثم كتب حسن بن علي بن عائض معه رسائل إلى كل من ابن دليم، وسعيد بن مشيط، والثالثة للأمير

عبدالعزيز بن إبراهيم يطلبون عودتهم إلى بلاد عسير. وقد وصل أحمد بن محيي برسائل لآل عائض إلى المذكورين، فلبوا الطلب ورافقوا المذكور وقابلوا الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم فرحب بطلبهم على أن يكون وصولهم إلى بلدهم آمنين، وفي حالة ما يطلبهم الملك عبدالعزيز - رحمه الله - فإنه يجب عليهم السمع والطاعة؛ حيث يكون وفودهم إلى إمام - عادل، وقد وافقوا على ذلك. وعند وصولهم قام الأمير عبدالعزيز بما يجب اتخاذه من إكرامهم. وبعد تداول الآراء اتفقوا على أن يذهبوا بدون طلب، وعلى أن يرافقهم كل من: محمد بن دليم، وعلي بن مشيبة، وعبدالله بن أحمد بن مفرح، ومرافق مندوب من الأمارة، وهو صالح آل جبر وقد توجهوا إلى الرياض، وهذه هي الحقيقة»[111]. وبذلك انطوت صفحة من الفتن ودعاتها وتثبيت دعائم الحكم السعودي في منطقة عسير وفي وثيقة موجهة من الملك عبدالعزيز لأحد مشائخ البادية جاء فيها: «أحسنتم الإفادة عن محبتكم وصدقكم والحمد لله أذل الله العدو ونصر الله دينه وأعلى كلمته ولا بقى عندنا لأهل الشر والفساد إلا السيف ومن دور العافية فله الكرامة أصلح الله الأحوال...»[112]. وبعد هذه تم تجهيز الغزاة «الغزوان» للمشاركة في فتح مكة وضم الحجاز؛ فقد مر معنا مشاركة قوات البادية في «معركة تربة» عام 1337هـ وفي عام 1343هـ تحركت الألوية وذكر منها لواءان لأهل الرين وأصبحا أهل، ولواء أهل المنيصف وهي بقيادة كل من خزام بن عمر وهذال بن سعيدان ومعيض بن عبود وحزام الحميداني الحباب هذا ما أورده صاحب كتاب الرحلات الملكية[113]، ولكن هناك آخرين فقد شارك أبناء البادية في منطقة عسير في ضم الحجاز بدون استثناء، ومن أشهر قادتهم حمود بن قرملة، مترك بن عشق بن شفلوت، شقيقة زيب بن عتيق بن شفلوت وجعفر بن جمل بن شري وابنه خنثل بن جعفر والغميص بن هرسان ومعيض بن جعفر بن عبود وشقيقاه محمد وجربوع ومحمد بن بخيتان وابنه علي «المطوع»، وابن أخيه محمد بن جخدب، وفيصل بن حشر وابن عمه محمد بن سحمي وقنيفذ بن لبده وعشق بن سفر بن سعيدان وناشر بن محمد بن وله وهذال بن جويزي، وجراب بن حسن وحزام الحميداني[114]. وكذلك كان من حاضرة منطقة عسير (2500) من المنضمين لجيش الملك عبدالعزيز لضم الحجاز[115]. وفي وثيقة للملك عبدالعزيز موجهة لأحد المشائخ يخبره فيها بتوجهه إلى مكة المكرمة ويستحثه على المسير هناك الوثيقة التي تعرض لنصها: «نحن حالًا قافين البيرق متوجهون إلى مكة المشرفة للنظر في أمورها وتأمين سبلها إنشاء الله تعالى فسأل الله التوفيق وحررنا هذا على عجلة وباقي الأخبار من روسي الماعة...»[116].

يقول أحد الشعراء من البادية -يوثق مشاركة أبناء بادية منطقة عسير في هذه الحرب لضم الحجاز:

وأهل الهياثم وأهل «تثليث» من داني

مسبلين وغـالي الروح ناسنـــه[117]

وآخر يطلب أن يخبر برسوله الملك عبدالعزيز بأنه جنوده انتصروا على أعدائه المكابرين فيقول:

هيــة يا مندوبنـــا هجـــــرع وعلم

شيخنـــا الإمام بالـــلي عاجلوه

قـــل يا بو تركي الوريع الحر لقطعه

جندك الإخوان من كابر وطوه[118]

لقد كانت مشاركات بادية منطقة عسير مستمرةً ودائمةً وذات أثر قوي، وقد استطاع الملك عبدالعزيز

أن يجذب إليه القلوب حتى من أعدائه ويجعلهم في صفه ومن جنوده[119].

واشتركوا في جميع المغازي والصدامات في الزعامة، وكان من بادية منطقة عسير من نجح في إسقاط الطائرة الحربية[120] في «حرب الرغامة» أثناء «حصار جدة»، وكذلك في إخضاع «ثورة وتمرد ابن فاضل» في جنوب «الطائف» وفي معارك «جازان» و»اليمن» و»حرب القهر» عام 1360هـ[121]، بل ووصلت مشاركتهم إلى الدفاع عن فلسطين حيث شاركوا عام 1366هـ في حرب فلسطين[122]، وقد سقط منهم الكثير من الشهداء.

يقول شاعرهم:

ما اتقينا من الموت الحمر

كون باروا حنا بآخر لمور[123]

الخاتمة:

مما سبق حاولت الدراسة إيجاز مشاركات وبطولات هؤلاء البادية في منطقة عسير وإيضاح أدوارهم السياسية والحضارية والعلميـــة والدينية والعسكرية في ضم عسير وعلاقتهم الوطيــدة القديمة بالدولة السعودية في أدوارها الأولى والثانية وارتباطهم وتأييدهم للملك عبدالعزيز في وقت مبكر وإنشائهم للهجر واحتــوائهم وحمايتهم لبعوث الملك عبدالعزيز إلى منطقة عسير؛ وبذلك فإن علاقة الملك عبدالعزيز كانت علاقةً مبكرةً تبدأ من عام 1330هـ وهذا ما أغفل عنه الكثير من الباحثين والدارسين، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على بعد نظر الملك عبدالعزيز وإدراكه للأبعاد السياسية والعسكرية لضم عسير، حيث هي بوابة ضم الحجاز بموقعها الجغرافي ومكونها البشري كما كانت في عهد الدولة السعودية الأولى.

النتائج:

مما سبق خلصت الدراسة لعدد من النتائج والتي منها:

العلاقة القديمة للملك عبدالعزيز بمنطقة عسير كانت علاقةً مبكرةً تبدأ من عام 1330هـ الأمر الذي أغفل عنه الكثير من لاباحثين والدارسين.

تأكيد مشاركات البادية في منطقة عسير في جيوش الملك عبدالعزيز.

أظهرت قوات البادية التي انضمت لجيوش الملك عبدالعزيز قدر كبير من البطولة والشجاعة.

التوصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

- إجراء المزيد من الدراسات والبحوث حول دور منطقة عسير في جيوش الدولة السعودية في مراحلها المختلفة.
- العمل على توثيق المعارك التي اشترك فيها أبناء البادية بصورة علمية.

الهوامش:

(1) كان تلك التسمية من قبل العثمانيين إبان احتلالهم للمنطقة. انظر: خلف بن دبلان الوذيناني، حملة فيصل بن عبدالعزيز آل سعود لترسيخ الحكم السعودي، مرجع سابق

(2) للاستزاده انظر: أحمد بن يحيى آل فائع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها -1215 1233هـ / -1800 1818م، ط1، 1427هـ/ 2006م، مطابع الحميضي.

(3) العمروي، مرجع سابق، ص:117 ومابعدها، مقابلة مع الشيخ سعيدان بن جريدان آل مهمل آل شنان، عام1419هـ

(4) سبق التعريف به.

(5) الإمام عبدالرحمن الفيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود، آخر أئمة الدولة السعودية الثانية، ووالد الملك عبدالعزيز رحمه الله حكم لفترتين الفترة الأولى -1291 1293هـ الفترة الثانية من عام -1370 1309هـ توفي في عام 1346هـ/ 1928م، في مدينة الرياض، وقد تنازل عن الحكم لابنه عبدالعزيز في باحة جامعة الإمام تركي بن عبدالله في وسط الرياض عام 1320هـ/ 1902م.

(6) محمد بن سعد النهاري، مرجع سابق، ص: 498.

(7) العمروي، مرجع سابق، ص: 48.

(8) العمروي، مرجع سابق، ص: 49.

(9) هذا الخبر تفرد به صاحب السراج المنير، وهو قول بعيد عن الصحة، وهو من الكتب المكذوبة والتي فيها أخبار ملفقة عارية عن الصحة. انظر: العمروي، مرجع سابق، ص: 48.

(10) العمروي، مرجع سابق، ص: 148.

(11) هذا النص أورده العمروي في كتابة تثليث، ووجد أنه رجع فيه إلى كتاب تاريخ عسير خلال خمسة قرون لإبراهيم بن زين العابين، تحقيق ابن مصلط وهذا الكتاب من ضمن الكتب المفتراة على تاريخ عسير ولا يركن إلى معلوماته.

(12) عبدالكريم المطهر، سيرة الإمام يحيى، تحقيق محمد بن عيسى صالحية، نسخة مصورة في مكتبة الباحث بدون معلومات نشر، ص: 190، 231، 269.

(13) مقابلة مع الشيخ علي بن فهاد بن جافل رحمه الله عام 1419هـ

(14) مقابلة مع علي بن محمد بن شافع السخانيي، 1443هـ

(15) مقابلة مع الشيخ عجيم بن مطارد وكان ذلك في حديث جانبي معه في مجلس الأمير نواف الشعلان في عام 1443هـ

(16) العمروي، مرجع سابق، ص: 148.

(17) روايات شفوية عديدة إلا أننا لم نجد نصا يركن إلى صحته ويطمئن الباحث إليه.

(18) حامل الراية هو فهاد بن محمد بن جافل شيخ آل سليمان الحرقان وليس كما ورد في هذه الرواية الشفوية.. مقابلة مع الشيخ سعيد بن علي بن فهاد آل جافل.

(19) ورد ذلك في كتاب تاريخ عسير خلال خمسة قرون وهو – كما ذكرنا - من الكتب لا يعول عليها ولا يعتد بها وللأسف أستند إليه بعض الباحثين في إعدادهم لأبحاث ودراسات عن تاريخ عسير.

(20) هذه الروايات لم نجد ما يسندها لا في الوثائق ولا المصادر والمراجع المعتبرة.

(21) العمروي، مرجع سابق، ص: 148، وهو في هذه المعلومة يشير إلى مصدره تاريخ عسير في خمسة قرون وبذلك فهذه الرواية لا يستند إليها وخاصة وأن هناك وثائق تشير إلى أن قبائل شهران البادية بني واهب وناهس كانت من القبائل المؤيدة للملك عبدالعزيز. انظر ص: 33 من هذا الفصل.

(22) هذا ما وجدناه وتوصلنا إليه وهذا الرأي الذي وصل إليه الباحث إلا أن يظهر دليل أقوى من هذا الاستنتاج.

(23) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ وصورتها في مكتبة الباحث وهي صورة من الأستاذ الباحث: سعيد بن سحيم البسامي.

(24) هذا ما وجدنا عند الكثير من الرواه والحقيقة غير ذلك بل هي قوات ضمن جيوش الملك عبدالعزيز رحمه الله وكانت أهداف تحركها هو بث الأمن وتوحيد الأمن.

(25) رواية الراوي، علي بن محمد بن شافع السنحاني، مقابلة عام 1442هـ.

(26) محمد بن معيض أبو مخزوفة آل عاطف، من شعراء قحطان القدامى، ديوان ابن عاطف الحبابي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، بدون معلومات للنشر، ص: 14.

(27) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ صورتها في مكتب الباحث.

(28) كان من أشهرهم وأبرزهم الشيخ عبدالله بن راشد رحمه الله وقد سبق التعريف به.

(29) يذكر آل زلفة في كتابه تاريخ عسير في عهد الملك عبدالعزيز علاقة الإدريسي بمنطقة عسير. انظر: آل زلفه، مرجع سابق، ص: 41، 42، 43.

(30) تذكر الروايات أن بعد خروج الأتراك قامت قبائل قحطان بمبايعة الإدريسي إلا أن الإدريسي قد طلب منهم المكوث حتى قدوم محمد بن دليم أبو لعنة شيخ قحطان ورادعه فمكثوا حتى قدم إليه وبايعه على السمع والطاعة إلا إذا قدمت جيوش الملك عبدالعزيز فهو في حل من بيعته وقد أقره الإدريسي على ذلك. مقابلة مع الوالد الشيخ أحمد بن حسين آل شايع المصياد وقشه، ومع الأستاذ علي بن محمد آل محسنه الأزرقي. نقلًا عن ابن قوشع من الوادي الأبيض من قبيلة آل معمر وكان أحد من حضر هذه الواقعة المكانية المقابلة في عام1433هـ

(31) انظر: سعيد بن جفشر، حملة الأمير عبدالعزيز بن مساعد على عسير، مرجع سابق، بحث غير منشور.

(32) سعيد جفشر، حملة الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوس لضم عسير، مرجع سابق، ص: 21.

(33) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص: 200.

(34) هاشم النعمي: المرجع السابق ص: 354.

(35) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص: ٣٠٠, هاشم النعمي: المصدر السابق، ص: 354.

(36) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص: ٣٠٠.

(37) عبدالرحمن الحصين: فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، 1416هـ/ 1995م، ص: 42.

(38) أمين الريحاني: المصدر السابق.

(39) قاعة ناهس: حيث يقع تجمع رجال قحطان، وتبعد عن مدينة أبها في الأتجاه الشرقي بحوالي سبعين كيلًا. انظر: هاشم النعمي: المصدر السابق، ص: 355.

(40) محمد بن عبدالله آل زلفة: عسير في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1415هـ/ 1995م، ص: 29- 30.

(41) حسن حسن سليمان: المرجع السابق، ص: 74- 77، عصام الدين السيد: المرجع السابق، ص: 47.

(42) هاشم النعمي: المصدر السابق، ص: 356.

(43) رسالة حسن بن علي بن محمد بن عايض، أمير عسير إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد في 11/10/1338هـ نقلًا عن عصام ضياء السيد؛ عسير، ص: 325.

(44) محمد آل زلفة: المرجع السابق، ص: 30.

(45) عصام الدين السيد: المرجع السابق، ص: 46-47. محمد آل زلفة: المرجع السابق، ص: 30.

(46) محمد آل زلفة، المرجع السابق، ص: 31، 32.

(47) سعيد عبدالله حفشر، حملة الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي لضم عسير، بحث غير منشور.

(48) هذه النقطة تحتاج استجلاء ودراسة أكثر وهذا لم يتح لنا لإنعدام وجود وثائق تشير إلى هذه الفترة فلم نجد إلا الروايات الشفوية فقط.

(49) محمد آل زلفة، المرجع السابق.

(50) عصام الدين السيد: المرجع السابق، ص: 47.

(51) محمد آل زلفة: المرجع السابق، ص: 34- 35.

(52) أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، دار الكتاب العربي، ج٢، ص: 96.

(53) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص: 145.

(54) محمد آل زلفة: المرجع السابق، ص: 36.

(55) مقابلة مع الدكتور: عوض آل ناجي، 1443هـ رواية عن والده الشيخ عبدالله بن ناجي من قبيلة آل حبشي من قبيلة بني مالك عسير، د. علي بن زحيفة، مرجع سابق.

(56) مقابلة مع الشيخ مسفر بن عوض بن جفشر آل حنش، ويذكر أن عمره آن ذاك عشرون سنة، المقابلة عام 1410هـ

(57) مقابلة مع الشيخ مضواح بن حسين آل حمران وكان والده أحد المشاركين في المعركة، المقابلة عام 1429هـ

(58) د. علي آل زحيفة، مذكرة عن معركة جحلا، 1443هـ غير منشورة.

(59) محمد بن زلفة، تاريخ عسير، مرجع سابق، ص: 38، النعمي، مرجع سابق، ص: 235.

(60) محمد بن راشد الوقشي القحطاني، كان من المقربين لحسن آل عائض ومن المخلصين للدولة السعودية فيما بعد، مقابلة مع الأستاذ عبدالكريم آل أحمد آل عمرة.

(61) عبدالكريم آل أحمد، مذكرة عن ما رواه الشيخ محمد بن راشد الوقشي القحطاني لجد الأستاذ عبدالكريم آل أحمد، 1443هـ غير منشورة.

(62) المرجع السابق.

(63) انظر: آل زلفة، مرجع سابق، ص: 38؛ النعمي، مرجع سابق، ص: 235.

(64) آل زلفة، تاريخ عسير، مرجع سابق، ص: 39، 40.

(65) جراب بن حسن آل جميح، شيخ آل جميح الحباب ومن رجال الملك عبدالعزيز وله دور معروف في تأييد الدولة.

(66) فهاد بن محمد بن جافل شيخ آل سليمان الحرقان، استشهد في معركة بدر وخلف ابن عمه حلاص بن علي ثم أخيه فهاد بن علي على مشيخة آل سليمان، وهو من المؤيدين للملك عبدالعزيز وهناك العديد من الوثائق للشيخ فهاد بن علي بن جافل، مقابلة مع الشيخ سعيد بن علي بن فهاد ابن جافل، عام 1443هـ.

(67) انظر: ناصر بن سيف بن سعد بن نورة الحرقان، روضة بن نورة ورسالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، رحمه الله، بدون معلومات نشر، 1338هـ/ 2017م، نسخة مصورة في مكتبة الباحث.

(68) محمد آل زلفة، مرجع سابق، ص:...

(69) سبق التعريف به.

(70) وثيقة (بدون تاريخ) وبدون رقم وصورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة لدى الشيخ محمد بن شويل شيخ آل الجحل.

(71) سبق التعريف به.

(72) مترك بن عشق بن شفلوت شيخ شمل قبائل عبيدة قحطان وأحد القادة السورين ورجال الملك عبدالعزيز المعدودين. انظر: العمروي، مرجع سابق، ص: -159 163.

(73) محمد سعد النهاري مرجع سابق، ص: 496.

(74) انظر: آل زلفة، تاريخ عسير، مرجع سابق ص: 45؛ النعمي، تاريخ عسير، مرجع سابق، ص: 245.

(75) وثيقة سبق الإشارة إليها.

(76) خلف الوذيناني، مرجع سابق، ص: 80.

(77) المرجع السابق، ص: 85.

(78) محمد آل زلفة، تاريخ عسير، مرجع سابق، ص: 38؛ حسن حسن سليمان، الأمير عبدالعزيز بن مساعد.. حياته وشعره، ص: 87.

(79) الزركلي: المصدر السابق، ص: 251.

(80) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص: -145 146.

(81) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص: ٣٠٠؛ الزركلي: المصدر السابق، ص: 350؛ سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص: 146.

(82) هو الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي بن عبدالله.

(83) محمد بن عائض، هو المقصود.

(84) خلف الوذيناني، مرجع سابق.
(85) محمد آل زلفة، تاريخ عسير في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق.
(86) سعيد جفشر، تاريخ القضاء في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق.
(87) ورد أن شويش كان قاسيًا وشديدًا في تعامله. انظر: الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج1، ص: 439؛ النعمي، مرجع سابق، ص: 255؛ محمود شاكر، مرجع سابق، ص: 263.
(88) سعيد جفشر، تاريخ القضاء في عسير، مرجع سابق.
(89) أحمد عدالغفور عطار، مرجع سابق، ص: 250.
(90) خلف الوذيناني، مرجع سابق، ص: 84.
(91) محمد آل زلفة، مرجع سابق، ص: 45.
(92) غيثان بن علي جريس، أوراق من تاريخ في فترة حكم الملك عبدالعزيز كما أملاها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن إلياس، بيادر، نادي أبها الأدبي، العدد 22، 1998م، ص: 85-53.
(93) الاطلاع على سيرته رحمه الله أطلع على المرجع السابق، ص: -52 54.
(94) مقابلة مع الشيخ مسفر بن غاصب عام 1443هـ مقابلة مع الشيخ علي بن فهاد ابن حافل عام 1420هـ. انظر: ابن زلفة، مرجع سابق، ص: 58.
(95) مقابلة مع الأستاذ عبدالكريم بن محمد بن هادي عام 1438هـ.
(96) مقابلة مع الأستاذ علي بن محمد بن عون العسيري عام 1433هـ.
(97) محمد آل زلفة، مرجع سابق، ص: 46.
(98) العمروي، مرجع سابق، ص: -156 157.
(99) غيثان بن جريس، أوراق من تاريخ عسير، مرجع سابق، ص: 64؛ محمد آل زلفة، مرجع سابق، ص: 45.
(100) ما تواتر عن الرواة أن قبائل عسير التي ساعدت ابن عائض لم تتعدى خميس مشيط إلا أن ابن إلياس في مذكراته ذكر وصولهم إلى قرية آل عباس وبلاد عبيدة وآل الصقر وال زلفة ذكر احتلال ابن عائض لبلاد رفيدة دون ذكر وصولهم إلى السراة.
(101) غيثان بن علي جريس، أوراق من تاريخ عسير، مرجع سابق، ص: 65 – 69.
(102) هامش (53) غيثان بن علي جريس، المرجع السابق، ص: -65 69.
(103) علي بن محمد بن دليم ابن شيخ قبائل قحطان ووداعة وعرف بلقب راعي الدرجة اشتهر بالفروسية والشجاعة مقابلة مع حفيده الشيخ دليم بن سعيد وهو يعمل مقدم في الحرس الوطني كانت المقابلة في لقاء معه في ضيافة الشيخ علي بن ناصر آل كناد عام 1437هـ.
(104) غيثان بن علي جريس، المرجع السابق.
(105) العمروي، «تثليث» وما حولها، ص: 171، 172.
(106) غيثان بن علي جريس، أوراق من تاريخ عسير، مرجع سابق، ص: 60 – 69.
(107) المرجع السابق.
(108) 108 () غيثان بن علي جريس، المرجع السابق.

(109) وثيقة (بدون رقم) وتاريخ 1 شوال 1341هـ صورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة لدى الباحث الأستاذ سعيد آل سحيم.

(110) غيثان بن علي جريس، المرجع السابق، ص: 60 – 69.

(111) غيثان بن علي جريس، أوراق من تاريخ عسير، مرجع سابق.

(112) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ صورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة من الأستاذ محمد آل سحيم البسامي.

(113) يوسف ياسين، الرحلة الملكية، دارة الملك عبدالعزيز، 1419هـ.

(114) العمروي، مرجع سابق، ص: -136 137.

(115) محمد آل زلفة، تاريخ عسير، مرجع سابق.

(116) وثيقة بدون تاريخ وبدون رقم وصورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة لدى الشيخ محمد بن ناصر بن شويل شيخ آل الحل.

(117) العمروي، مرجع سابق، ص: 153.

(118) المرجع السابق، ص: 144.

(119) هذا يتضح جليًا في أصطفاف قبيلة عسير ضد أفة عايض. انظر: آل زلفة، ص: 405.

(120) يذكر أن ابن صلم من قبائل آل الجرو وعبيدة من بادية المنطقة هو من أسقط الطائرة ونال تكريمًا من الملك عبدالعزيز رحمه الله. مقابلة مع الشيخ مسفر بن فهد آل غاصب نقلًا عن الشيخ بجاد بن قبلان من بجاد شيخ قبائل آل الجرو، عام 1442هـ.

(121) انظر: آل زلفة، تاريخ عسير، مرجع سابق.

(122) العمروي، مرجع سابق، ص: 167.

(123) العمروي، مرجع سابق، ص: 174.

إسهامات تجار مكة المكرمة في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر ميلادي

أ.ليلى عبد اللطيف مثبت القريقري

باحثة دكتوراه في التاريخ الحديث
جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

كان لمكة أهمية خاصة في الحياة التجارية خلال العصر العثماني , ومما جعل الحركة التجارية مزدهرة بها خلال القرن الثاني عشر هو ازدهار حركة التجارة الخارجية عبرها, كما أن فرضتها الرئيسة -أي ميناء جدة- كانت فيه السفن المحملة بالبن اليمني وكانت تصل إلى الميناء في أي وقت من العام، ولا تقتصر على موسم محدد. وعلى جانب أهمية مكة في التجارة الداخلية فخلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي شكلت مواسم الحج والعمرة رواجا تجاريًا عظيمًا في هذه الأراضي المقدسة من حيث كثرة البيع والشراء. فالتجار يفدون إلى بلاد الحجاز من أرجاء العالم الإسلامي للحج والتجارة معاً، ومثلت تجارة الحج هذه أهمية كبيرة في حياة أسواق الحجاز، التي كانت تعتمد على السلع التي يحملها الحجاج معهم إلى الحجاز. ونتيجة لذلك استطاع تجار مكة تكوين ثروة هائلة بفضل التجارة , ومن خلالها تمكنوا من الإسهام في المجال الحضاري بالبلد لحرام عبر سبل متعددة, وهذا البحث سوف يهتم بدراسة « إسهامات تجار مكة المكرمة في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي – التحليلي , لما لهذا المنهج من مزايا في دراسة الموضوع , إيمانًا بأن الدراسة لا تقتصر على سرد حدث تاريخي ووقائع فقط, بل حَاولَتَ مناقشة عدد من الأفكار والآراء وتحليل أسبابها بغية الوصول إلى استخلاص النتائج وما تركته من آثار , وذلك لرسم صورة واضحة المعالم للأحداث التاريخية. وقد اقتضت طبيعة المادة العلمية التي تتناول موضوع إسهامات تجار مكة المكرمة في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن12هـ/18م» تقسيم البحث إلى مبحثين هما : المبحث الأول: العوامل التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية , وقد درس العوامل السياسية والاقتصادية , وكذلك العوامل الفكرية والاجتماعية. بينما جاء المبحث الثاني بعنوان : الإسهامات العلمية للتجار وفيه تم بحث مسألة التأليف وإلقاء الدروس العلمية وكذلك المنشآت التعليمية [كتاتيب ، مدارس ، مكتبات ، أربطة].

الكلمات المفتاحية : التعليم ، تجار مكة المكرمة ، الكتاتيب ، المدارس.

Makkah traders contributions to the scientific and cultural movement during the 12th AH/18th AD century

A.Layla Abdulltif Muthbet Alquraqri

Abstract:

During Ottoman-era, Makkah was important in trade movement which flourished during the twelfth century due to foreign movement. In Jeddah port, ships, loaded with Yemeni coffee, arrived at any time.

For internal trade during 12th AH/18th AD century, Hajj and Umrah seasons constituted prosperity regarding sales and purchases. Traders come for Hajj and trade benefiting Hijaz markets relying on goods carried by pilgrims.Thus, Makkah traders created wealth and contributed to cultural field. This research discusses "Makkah traders contributions to scientific and cultural movement during 12th AH/18th AD century".The study adopted historical-analytical research approach with topic studying advantages as the study is not limited to narrating historical events and facts, but discussed ideas and opinions and analyze their causes for conclusions and implications painting a clear historical picture.Scientific material nature, concerning Makkah traders contributions to the scientific and cultural movement during the 12th AH/18th AD century, necessitated dividing the research into two sections: First: Factors that helped traders contribute to the scientific cultural movement discussing political and economic factors and intellectual and social factors. Second: Traders scientific contributions discussing authorship and scientific lessons delivery and educational establishments [brochures, schools, libraries, links].

Keywords: Education, Makkah Traders, Brochures, Schools

المقدمة :

انضم إقليم الحجاز بطريقة سلمية إلى الحكم العثماني عقب انتصار السلطان[1] العثماني سليم الأول[2] (918 - 926هـ/ 1512 - 1520م) على المماليك في معركتي مرج دابق في الشام عام 922هـ/ 1516م، والريدانية على أبواب القاهرة في مصر في عام 923هـ/ 1517م، وقضائهم على الدولة المملوكية نهائياً[3]، ويعود ذلك لعدة عوامل وظروف، بعضها محلية خاصة بإقليم الحجاز، وإقليمية خاصة بالكيانات، والأقاليم السياسية المجاورة للحجاز، وثالثة تعود للدولة العثمانية ذاتها، وصراعها الخارجية مع الدولة الصفوية في فارس، أو مع الغرب الأوروبي متمثلاً في البرتغال في البحار الجنوبية، ومنها البحر الأحمر.[4]. وقد كان أمير مكة المكرمة - آنذاك - هو الشريف بركات بن محمد (903 - 931هـ/ 1497 - 1525م)، خاضعاً لسلطة المماليك في مصر، وبسقوطها رأى أنه يتوجب عليه الدخول تحت سيادة العثمانيين سلمياً؛ لعدة أسباب منها: حاجة الشريف بركات وإقليم الحجاز لحليف سياسي وعسكري قادرٍ على رد خطر البرتغاليين عن الإقليم، بعد أن تعرض الإقليم لخطر برتغالي كبير على امتداد الربع الأول من القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)،كما أن الشريف بركات أراد الإفادة من المساعدات المالية والعينية التي خصصتها الدولة العثمانية لإقليم الحجاز خاصة[5]، والتي كانت تشكل عوناً كبيراً لأهالي الحجاز الذين كانوا يعتمدون كثيراً على وصولها بمن فيهم حكام الإقليم؛ نظراً للفقر الذي كان يعاني منه إقليم الحجاز، وقد كان وصول تلك المساعدات مرتبطاً باعتراف أمير مكة المكرمة بتبعيته للدولة العثمانية، أما السبب الثالث للدخول تحت السلطة

العثمانية فهو رغبة أمير مكة المكرمة الشريف بركات[6]، في تقوية مركزه في الإقليم ضد خصومه من الأشراف، والذين كانوا يسعون إلى إزاحته والاستئثار بالحكم، خاصة وأن الإقليم كانت تعمه الفوضى السياسية، وكثرة أحداث تعيين الشريف، وخلعه لأكثر من مرة؛ حتى إن الشريف بركات نفسه قد حكم إمارة مكة المكرمة عدداً من المرات؛ ولهذا أراد أن يحظى بدعم السلطان العثماني سليم، والدولة العثمانية ومساندته ضد خصومه؛ لتثبيت سلطته في إقليم الحجاز، وهو ما حدث فعلاً، فبعد أن أرسل الشريف بركات ابنه الشريف محمد أبا نمي[7] إلى السلطان العثماني سليم الأول في القاهرة عقب انتصاره في معركة الريدانية، قام السلطان العثماني بتثبيت الشريف بركات في إمارة مكة المكرمة، وحكم الحجاز، وجعل ولاية العهد لابنه الشريف محمد ابنا نمي، وأصدر بذلك فرمان سلطاني[8]. وقد أبقت الدولة العثمانية الأوضاع الإدارية في إقليم الحجاز على ماهي عليه في العهد المملوكي، واكتفت فقط بالسلطة الاسمية عليه؛ مما أدى إلى استمرار الاضطرابات السياسية في الحجاز منذ ذلك الوقت وطوال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، فكان الإقليم عبارة عن حلقات صراع بين الأشراف من أجل السيطرة على منصب الشرافة وكان الصراع في ذلك الوقت محتدماً بين أشراف بنو زيد [9]وبنو بركات[10]، ويعود ذلك لسياسة العثمانيين تجاه هذا الإقليم، والقائمة على عدم التدخل في اختيار شريف مكة، بل تركت اختياره للأشراف أنفسهم[11]

اولاً : العوامل التي ساعدت التجار على الاسهام في الحركة العلمية والثقافية:

العوامل السياسية والاقتصادية :

بدخول الحجاز تحت الحكم العثماني في مصر السلطان سليم الأول سنة 923ه / 157م، حظيت مكة المكرمة باهتمام كبير من السلاطين العثمانيين نظرًا لكونها أقدس بقاع الأرض [12]. وتمثل هذا الاهتمام بالامتيازات التي أعطيت لبلاد الحرمين ومن أهمها الصرة الهمايونية [13]، بالإضافة للأوقاف[14] التي أوقفها السلاطين العثمانيون للصرف على الأوقاف المختلفة في مكة المكرمة والحجاز عامة مثل حلقات العلم والكتاتيب والمدارس وكذلك الصرف على الفقراء من سكان الحجاز، وحرص العثمانيون على سد احتياجات مكة المكرمة، وجعلها من الأقاليم المهمة التي يتولون الإشراف عليها، نتيجة للأهمية الدينية التي تتمتع بها الحرمين [15]. وكانت هذه العوامل السياسية والاقتصادية متجهة لتجار مكة حتى يسهموا في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

فطوال العصر العثماني الأول كانت الهجرة مستمرة إلى مكة المكرمة، حيث بدأت آفاق الإسلام تجد طريقها ميسورًا إلى مكة أكثر من ذي قبل، فكثر المجاورون وتنوعت أصنافهم، فكان منهم المتقطعون للعبادة والزهد، ومنهم الراغبون في البطالة، والخلود إلى ظلال التكايا[16]، ومنهم العاملون الذين أغراهم الكسب في بلد مفتوح، ومنهم العلماء الذين طاب لهم أن يجاوروا بيت الله الحرام، ونشروا علومهم في أرجائه؛ وكان من بين هؤلاء العلماء من عمل بالتجارة وعمد إلى ترك بصمات ملحوظة على الجانب العلمي والثقافي.

على سبيل المثال [17] ومما يلاحظ أن العثمانيين كانوا يتولون مناصب القضاء والحسبة في مكة أولًا، ثم في فترة لاحقة بحوالي القرن الثاني عشر الهجري / الثالث عشر الميلادي، أخذت ترابط قوة عثمانية في المدينة المقدسة، وكانت المرابطة في السابق في جدة، غير أنه بمرور الزمن شملت شؤون البريد، ونظارة السوق، وأعمال الأوقاف وغيرها [18]، ومن الراجح أن عدد سكان مكة في القرن الثاني عشر الهجري قد ازداد

نتيجة الأمر الذي دفع بالتجار الأتراك في مكة إلى الإسهام في المجال العلمي والثقافي لخدمة أبنائهم وابتغاء أجر نشر العلم في هذه البقعة المباركة [19]. وبشكل غير مباشر يقدم لنا السويسري (بوركهارت) الذي زار مكة- بعد نهاية العصر العثماني الأول- التقسيمة التي كان عليها سكان مكة وبالتالي تقسيمة الاهتمام بالمجال الثقافي من قبل تجار هذه الفئات فيقول : «... إن كل سكان مكة غرباء أو نسل غرباء خلا قلة من بدو الحجاز أو سلالتهم المستقرين هنا...» ففي موسم كل حج يتخلف بعض الحجاج، والمسلم إذا ما استقر في أي مكان لأي فترة زمنية اتخذ زوجه، وغالبًا ما يدفعه ذلك إلى الاستقرار الدائم، وعلى هذا فمعظم أهل مكة منحدرون من أصلاب غرباء، أتوا من مناطق بعيدة من مختلف أنحاء المعمورة، وأكثر هؤلاء الغرباء هم الذين قدم آباؤهم من اليمن وحضرموت، يليهم الهنود فالمصريون فالسوريون فالمغاربة فالأتراك. وهناك أيضًا مكيون عن أصول فارسية ونثرية وبخارية وكردية وأفغانية، وباختصار فإن في مكة عناصر من مختلف أنحاء العالم الإسلامي...» [20].

فقد كان ارتحال المسلمون من بقاع الأرض إلى مكة المكرمة كان غرضه الأساس الحج وطلب العلم، ولكن كانت هناك دوافع اقتصادية هامشية استفاد منها البعض فى إطار الجانب العلمي. حيث عقد بعض التجار والحجاج العزم على البقاء بمكة المكرمة للبقاء أبدياً أو قضاء فترة للتجارة أو للتعلم ومن ثم العودة للوطن الأم، وقد أدى ذلك إلى قيام جالية كبرى وافدة لكل أمة فى مكة المكرمة قوامها الذين أثروا البقاء بحثاً عن مصدر رزق أفضل، أو نهل العلم الذى لا ينصب له معين بالحرم المكي وقد اعتمد أفراد الجالية الوافدة فى معاشهم على عائدات الخدمات التى كانوا يقدمونها إلى ضيوف الرحمن، القادمين من أطراف العالم الإسلامي المختلفة، وذلك من خلال عملهم فى المجال التجاري مع أصحاب رؤوس الأموال من التجار المكيين الذين كانوا ينعتونهم بالإخلاص والاستقامة فى السلوك، وبجانب ذلك كانوا يقومون بأعمال تجارية صغرى[21]، ولاشك أن عائدات هذه الخدمات التجارية كانت تدر على المحترفين منهم عطاء مجزياً [22].

كان القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، هو العهد الذي كثرت فيه الهجرة إلى المدينة المقدسة ظاهرها دافع التجارة والكسب، وإذ نظرنا إلى أوضاع العالم الإسلامي في تلك الفترة لرأينا أن كل أقطار العالم الإسلامي كانت تعيش تحت نير الاستعمار، فنجد الهولنديين في إندونيسيا والإنجليز في ماليزيا وبلاد القوقاز، وكان من نتيجة ذلك أن حيث هذه الشعبة لمقاومة المستعمر، فكانت الثورات التي قضى عليها المستعمرون بكل قسوة ووحشية، وكان من جراء ذلك تضييق الخناق على السكان، ومصادرة ممتلكاتهم، والزج منهم في السجون، وقد يصل الأمر إلى مستوى طردهم من بلادهم[23].

«إن هذا كان من الدوافع القوية (من الناحية السياسية والاقتصادية) الطاردة لهؤلاء من بلادهم والمشجعة لهم على الهجرة من بلادهم، ولذا يمكننا تصور أن الهجرات التي تمت إلى مكة من الخارج كانت هجرات قسرية فرضت على الكثيرين، وأمليت عليهم إملاءً، فليس لهم الخيار في ذلك، وعلى البعض من ذلك أسباب جاذبة تتعلق بالهجرة والوصول إلى مكة المكرمة، أو هي أن مكة بلدًا مفتوحًا للنشاط التجاري، والكسب المادي .

كان هناك أسباب أخرى رئيسية تتعلق بالهجرة إلى مكة وليس الكسب والتجارة فقط، نلمسها في الإجراء الروحية التي تضفيها المقدسة على ساكنيها، بالإضافة إلى ما لهذه المدينة من قدسية احترام في نفوس

المسلمين جميعًا جعلت الأفئدة تهفوا إليها دائمًا، يضاف إلى ذلك الإجراء العلمية، وخاصة ما يتعلق منها بالعلوم الشرقية والغربية، التي كانت متوافرة طوال عهود التاريخ في أروقة الحرم وجنباته ويمكن ترتيب العوامل التي أسهمت في الهجرة إلى مكة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي كالتالي :

- الانقطاع للعبادة والزهد والعيش بجوار بيت الله العتيق

— طلب العلم، والتفقه في العلوم الشرعية والعربية، والاستعادة من حلقات العلم التي تعقد في الحرم المكي الشريف.

— الاستفادة من الجانب الاقتصادي بمكة من شتى جوانبه والبحث عن مجال تجاري يعينهم العيش بشكل ميسور.

وكان لتجار الحج –أي المرافقين لقوافل الحجيج أو المنتظرين والمستقبلين للموسم في مكة وبلاد الحجاز- دور كبير في تنشيط الحياة الاقتصادية بمكة المكرمة , بحيث أن قوافل الحج في نفس الوقت كانت قافلة تجارية, لأن الحجاج الأفارقة والمغاربة...وغيرهم كان بينهم تجار يحملون معم سلع وبضائع, ليبيعوها أثناء مرورهم عبر الدروب والمسالك والبلدان[24] , وفي موانئ ومدن الحجاز وفي طريق عودتهم , كان التجار يحملون معهم السلع المشرقية المختلفة, من حجازية وهندية وشامية ومصرية ليبيعوها في الموسم بمكة ومنها تحمل لباقي الأقطار, وبالتالي أضحت التجارة في مواسم الحج ضرورة من ضرورات الحاج والمسافر , خاصة إنه لابد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة ؛ لأن الرحلة قد تتجاوز المدة المحددة لها[25]. وهكذا كانت مكة المكرمة بسبب العوامل الاقتصادية والسياسية المذكورة, تعج في أوقات معلومة كل سنة بالعدد الكبير من الناس من مختلف البلاد , كما تمتلئ بالعدد الكبير من دواب الحمل والإبل , وتمتلئ خانات مكة وجدة بالمتاجر من كل صنف فتروج الحركة التجارية , كان تجار مكة ينتظرون هذا الموسم بفارغ الصبر لأنه سبب نشاط أسواقهم التي ذاع صيتها في الأفاق[26].

وعلاوة على ذلك, كان هناك طائفة صغار التجار والحرفيين (حيث حُسبت على طائفة التجار بمكة), استفادت اقتصاديا. حيث قاموا بتقديم خدمات الحجيج مثل طائفة المقومين التي تعهدت بنقل الحجاج بين جنبات مكة , وطائفة الجمالين التي أمنت الجمال لنقلهم, وطائفة المحايرية التي أعدت المحارات وهي مقاعد خشبية تثبت على ظهر الجمل لنقلهم, وطائفة العكامة التي قادت الجمال وقامت بخدمة الحجاج في سفرهم[27].

كما كانت هناك أسباب اقتصادية لمن اشتغلوا بالتجارة «الوقتية» من بعض أبناء القبائل العربية بمكة المكرمة خلال القرن 12هـ/18م التي وجدت في موسم الحج فرصة هامة لعرض منتجاتها والتجارة فيها , من أجل تعويض الركود الاقتصادي خارج موسم الحج[28]. ومن جهة أخرى استفاد تجار البلاد الأخرى من تجار مكة عن طريق شراء البضائع غير الموجودة ببلدانهم من تجار مكة[29], فأثناء عودتهم من أداء المناسك وانتهاء الموسم يبيع تجار مكة لتجار القوافل العائدة السلع المشرقية , من حجازية وهندية وشامية ومصرية من أجل بيعها في بلدانهم , وبذلك يحقق كل طرف ربحًا ملحوظًا[30].

حيث كانت تأتي بضائع إلى مكة المكرمة من الحبشة والهند, وبلاد فارس, وكذا من سوريا وغيرها من الأقطار العربية , فمن الهند تجلب كميات كبيرة من الجواهر, وكل أنواع البهارات وإن كان جانب من

البهارات يرد من أثيوبيا , ومن البنغال وكميات كبيرة من الأقشمة القطنية والحريرية, بحيث شكلت مكة في ذات الوقت منطقة عبور للكثير من البضائع , كالقطن والبهارات بكميات كبيرة والشمع والمواد العطرية([31]). كما كان تجار مكة يشترون من تجار العراق البضائع الحريرية والصوفية والرز والسمن البقري والغنم , ثم يشتري الحجاج هذه البضائع من التجار المكيين[32] .

كما كان تجار مكة يحصلون على سلع وبضائع الشرق الأقصى عن طريق الحكام والنبلاء، والتجار في هذا الإقليم البعيد حيث يؤمنون للتجار المكيين وسائل السيطرة، على حركة التجارة ويقدمون لهم التسهيلات التجارية ويدافعون عن حقوقهم، ومصالحهم، ويصونون كرامتهم ويتبادلون معهم المنافع التجارية أو يقاسمونهم عائدات التجارة [33] خاصة وقد استأثر هؤلاء المكيين منهم توريد البخور، واللبان، والصدف والودع والعنبر الشجري، وبالمقابل كانوا يصدرون إلى شرق أسيا سلع المنطقة المختلفة فهيأ لهم ذلك الاحتفاظ بدورهم الريادي فى التجارة البحرية [34]، وقد تلازم مع الجانب التجاري الاقتصادي الاهتمام بالارتقاء بالجانب العلمي، وكانت حصيلة هذا العمل الجليل من قبل المكيين أن برز من التجار الجاوة الذين فضلوا البقاء بمكة نفر من طلبة العلم الشرعي والعلماء ساهموا فى تعميق ودراسة العلوم الإسلامية وقد وجدوا دعماً وسنداً من أخوتهم العلماء المكيون الذين وقعوا معهم بصدق فى خدمة الدين الحنيف وتعليم الناس أسس ومبادئ وقيم هذا الدين حتى أصبح العمل الدعوى والتعليمي عملاً قائماً بذاته ولم يعد مرتبطاً بالتجارة [35] وأصبح أمر ارتحال تجار مكة المكرمة إلى الشرق الأقصى أو ارتحال تجار الشرق الأقصى وطلبة العلم والحجاج منه إلى مكة المكرمة أمراً رئيس، ومن هذا المنطلق ازدادت توثيق عرى الصلات العلمية للتجار بمكة المكرمة بفضل الجانب الاقتصادي [36]. ولعل التأثير السلبي للتجارة ببلاد الحرمين هو إهمال التجار للحياة العلمية إبان موسم الحج نتيجة تدفق التجارة التي دفعت بأهل مكة إلى انشغالهم بالتجارة وعدم تحصيل العلم إلى فترة انقضاء الحج, فقد حفظ لنا الرحالة أبو سالم العياشي هذه العادة التي تتم في كل سنة , فقال: «... وأيام الموسم عند أهل الحرمين الشريفين فيها يجمعون غالب أمور معاشهم, فلا يتفرغ أحد لتدريس ولا عبادة , إلا ما لابد منه , فإذا انقضت أيام الموسم وذهبت الركبان الواردة من الأفاق ولم يبق بالحرمين, إلا أهلها رجعوا إلى معتاد حالها في الأمور الدينية من القراءة والتدريس وأنواع العبادات والدنيوية...»[37].

هكذا كانت العوامل الاقتصادية التي عادت على التجار المكيين بالمكسب المادي الجيد عاملا لهم علهم للإسهام في الحركة العلمية والثقافية بشكل أفاد أهل مكة, فقد شكلت ارباح التجارة وعوائدها مصدر دخل لهم وموردا أساسيًا في حياتهم الاقتصادية . مما جعلهم ميسورين وشجعهم ذلك للاتجاه للجانب الثقافي.

العوامل الفكرية والاجتماعية :

من جانب آخر، تدفقت جموع من المسلمين لأداء فريضة الحج ملبية نداء خالقها جل جلاله، فحملت قوافل الحجيج كل عام علماء مارسوا التدريس والفتوى أثناء السير وخلال تحركهم داخل مكة المكرمة كان مهمتهم إلقاء الدروس لبيان المناسك، ووعظ التجار بتقوى الله [38]. وكانت الدولة العثمانية تساعد على جذب العلماء نظرًا لعطاء الذين كانوا يخصصونه لرجال العلم، والاحترام الذي كان يقوي من مركزهم الاجتماعي وفي هذا العهد أثناء الرحالة إلى أن المسجد الحرام كان يمثل مكان الدراسة بالتالي لطلب

العلم [39]. حدد أماكن التدريس في أروقة المسجد الحرام المظللة بالقباب، ونادرًا ما كانت دروس العلم تلقى في غيرها [40].ولعل تصدر الحرم المكي كقاعدة للحركة العلمية والحياة الثقافية، يعود إلى تصدر ابن العباس الذي اتخذ له موضعًا به يلقى فيه دروسه، وتلاه بعد ذلك تلاميذه [41]؛ فكان لوجود الحرم المكي أثره في ازدهار الحركة العلمية ورواجها، ففيه جلس العلماء للتدريس، وعنه حملت العلوم مرة أخرى إلى جميع الأقطار الإسلامية [42]. ولعل من العوامل الفكرية التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية هو وفرة الكتب والمكتبات في دفع عجلة الحركة العلمية قدمًا، فقد زخرت كتب الرحالة المغاربة بالعديد من الإشارات الدالة على وجود مكتبات عامة وخاصة، حيث رأى الرحالة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، في المكتبات العامة كتبًا لعلماء مكة المكرمة، والتي يبدو أن الرحالة كانوا على علم بها، وبمؤلفيها الذين عمل نفر منهم بالتجارة إلى جانب إقباله على العلم[43].

علاوة على العديد من الكتب في كل علم وفن التي وجدت بمكتبات الوقف داخل الحرم المكي [44].

أضف إلى ذلك المكتبات الخاصة، العلماء في مكة المكرمة سواء في منازلهم أو في أركان المسجد الحرام [45]، وكان من أصحاب هذه المكتبات من يسارع إلى اعارتها بالرغم من كونها من الكتب النادرة، وهو ما عاد بالنفع على الحركة الثقافية عامة [46]. ومما ساعد على رواج الحياة الثقافية في فترة الدراسة هو مشاركة التجار والعلماء الوافدون بكتبهم الخاصة والتي أحضروها معهم إلى مكة، وكان الحاملون للعلم من أهل التجار من حملة من حمل الكتب [47]. وللدلالة على العوامل التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية، هو واقع مكة نفسها التي كان بها جميع الكتب العلمية , فما من عالم صنف كتابا بالمشرق أو السند، أو الهند، أو العراق، أو غيرها من الأقاليم إلا بصرف نسخة لمكة تبركًا ورجاء الإقبال على كتابه، أطلب ما شئت تجده موجودًا في كل فن من العلوم [48].

كما ذكر العياشي عن كتب مكة «... أن هذه الكتب من النوادر التي قل ما توجد في غيرها من الأماكن...» [49]. ومن العوامل أيضًا هو احتراف بعض المكيين لتجارة الكتب وكذلك حرف النسخ والتجليد [50]، وكذلك ما أوقفه بعض الأثرياء من كتب على طلبة العلم، وإعارة من يملكها للراغبين في الاطلاع والمعرفة، كما خصصت أوقاف يذهب ريعها لدفع رواتب بعض المعلمين القائمين على التدريس[51]. ولما كانت الدولة العثمانية تخصص رواتب مجزية للعلماء المقيمين بمكة المكرمة، سواء من كان متوليًا لمنصب ديني، أو قائمًا على التدريس [52]؛ الأمر الذي ساعد كثيرًا على تفرغهم للعلم والتدريس، وعدم شغل أنفسهم في طلب الرزق، كما تحملت بعض الدول الإسلامية الأخرى أو بعض أفرادها الأثرياء جانبًا من هذه الأموال، والتي كانوا ينتدبون من يحملها إلى العلماء حملة معهم . ومن العوامل التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية بمكة إبان القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي مسألة تعدد المذاهب الإسلامية، وظهر ذلك جليًا في تعدد الأئمة بالمسجد الحرام [53]، ومع أن الدولة العثمانية المهيمنة على الحجاز في تلك الفترة تبنت المذهب الحنفي، وبالتالي حظى بعنايتها، إلا أن ذلك التبني لم يؤثر كثيرًا على غيره من المذاهب الأخرى[54].

فقد ذكر الرافعي أنه استفتى عالمًا في مِنى عن كيفية رمي الجمار فأفتاه على المذهب المالكي [55]. ومن ضمن العوامل التي أسهمت في الحركة العلمية والثقافية في العصر العثماني، توفر الأربطة والزوايا خلال

القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، وقد أحصى المؤرخون أسماء وأماكن وجودها في تلك الفترة[56]. ومن أهم العوامل التي ساعدت التجار على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية بمكة المكرمة، هو المزاوجة بين الحج والتجارة عن ناحية والنشاط العلمي من ناحية ثانية. فإذا كان الحج بمثابة «مؤتمر عالمي للفكر الإسلامي» فإنه في الوقت نفسه ليس أداء للفريضة، ولكنه تعلُّمٌ وتعليم، وسياحة وإطلاع، وتجارة وكسب، ومشاركة في كثير من جوانب الحياة [57].

كانت مكة عبارة عن معاهد مفتوحة أمام الحجاج، تفدُ عليها الكتب والمؤلفات، وتتبادل فيها الرسائل والإجازات، وما يحيط بركوب الحج من نشاط علمي يشمل رحلة القعود في مكة [58]. أضف لذلك تضاعف نشاط المجاورة خلال القرن 12ه / 18م، ونجد ذلك كثيرًا في تراجم بعض التجار كالتالي «... قدم مكة للحج والتجارة، وحاور بها لمدة سنة، فمات هناك ودفن بمقبرة المعلاة سنة 1140ه / 1728م...» [59]، والناصر محمد بن أحمد الشريف الجزائري (ت159ه / 1746م) إذ كان كثير التنقل بين مكة والجزائر وأزمير التركية، وذهب خلال أسفاره تلك إلى الحجاز في آخر المطاف، حيث بقى مجاورًا بمكة فترة من الزمن [60]، والتاجر الحاج حسن الجزايرلي الذي مكث بالحرمين الشريفين لسنوات من أجل الإتجار، وصارت لها الشهرة في العلم بالجملة [61].

حقيقة، لم يكن المجاورون بمكة المكرمة عالة على المقيمين بها او الوافدين عليها بل كان منهم تجار يساهمون في أعمال الخير والحملات التطوعية في الموسم [62].

كما أن بيوت بعض التجار في مكة المكرمة صارت مجالس للعلماء والفقهاء، ومحط رحالهم، إليهم يأوون وعندهم ينزلون [63]. ومن الملاحظ أن العامل الثقافي مرتبط بالعامل الديني والتجاري، فمع أن مكة والذهاب إليها أولًا وقبل كل شيء مكانًا دينيًا، إلا أنها تعتبر كذلك ملتقى ثقافيًا إسلاميًا، وكذلك سوقًا تجاريًا إسلاميًا، لعقد الصفقات التجارية، وكذلك لتلبية احتياجات أهل الموقف العظيم، ذلك المكان يجمع نخبة طيبة من العلماء، والتجار، فهناك جلسات العلم والأدب، وأسواق المال والتجارة [64]. وفي الجانب الاجتماعي نلحظ أن الحج بدوره كان يتيح لأهل مكة –عامة وتجارا-أن يطلعوا على أحوال الشعوب التي يأتي أبناؤها لأداء الفريضة , فيرونهم في ملبسهم ومأكلهم, وفي عاداتهم وتقاليدهم , خصوصًا وأنهم يقومون مدة شهر تقريبًا , فيعاشرونهم ليل نهار ويتباسطون معهم في الحديث والسمر , ويشهدون عن كثب ما يمارسه هؤلاء الحجاج من نشاط , وليس بوسع أهل مكة وتجارها إلا أن يتأثروا بما يرون[65].

لما تقتصر العوامل الاجتماعية التي دفعت بالتجار للمشاركة في الجانب الثقافي في التعرف على عادات وتقاليد المجتمع الأخر , بل كانت هناك جوانب اجتماعية عملت عملًا كبيرا على إحداث الاستقرار الاجتماعي , للعديد من الأجناس والأعراق في مكة وبالتالي تقليد المجتمع المكي في طلب العلم ورعاية المجال العلمي والنهوض الثقافي[66] .

فقد كان معتادا أن يستقر بعض التجار غير المكيين لبضع سنوات بمكة بعد الحج نظرا لارتباطهم بها بروابط علمية وتجارية , مما ساعد على حدوث نوع من المخالطة والمصاهرة, هذا إلى أن كثيرا من أغنياء التجار الذين يفدون على مكة المكرمة في موسم الحج يحملون معهم كميات من السلع التجارية , فقد يضطرون في حالة عدم تمكنهم من تصفية حساباتهم إلى الانتظار سنة أخرى فيسكنون خلال ذلك حسب عادة

البلاد, ثم لا يلبثون أن يتزوجوا, وينتهي الأمر بهم إلى تكوين أسر, مما يغريهم بالاستقرار والتجارة والتعليم بمكة[67] . وهكذا كان كل موسم حج عاملًا من عوامل الاستقرار للعديد من الأجناس والأعراق بمكة المكرمة, وعامل من عوامل الاندفاع للمشاركة الثقافية رعاية لأولاده ونفسه وتجارته. ومن العوامل الاجتماعية أنه عاش بعض الوافدين فى مكة المكرمة على الإعانات المالية أو ما أسماها سنوك «الحوالات النقدية التى وعدوا بها من أسرهم وأولياء أمورهم[68] حيث كان بعض الموسرين المسلمين في البلاد المختلفة يرسلون أولادهم لتعلم العلوم الشرعية بمكة المكرمة على أن يوفروا لهم مبالغ مادية تضمن لهم معيشة كريمة، مما سبب زيادة الهجرة لمكة المكرمة، وفى ذلك يقول أحد شهود العيان :»... إن حديثي السن من أفراد الجاوي يسمعون من المواطنين العائدين من الديار المقدسة كيف أن الحياة مريحة فى مكة المكرمة، وكيف يمكن للإنسان هناك أن يشترى حبشية جميلة أو أن يتزوج مصرية وكيف يمكن للإنسان فى مكة المكرمة أن يحيا حياة مواطن حر مستقل بمئات قليلة من الجيلدرات[69] (وحدة النقد الهولندي)، لهذا زاد عدد القادمين إلى مكة المكرمة من الشباب.....» [70]، وبذلك يستطيع الطالب أن يجمع بين البقاء بمكة المكرمة والحج وطلب العلم، علاوة على العيش الأفضل بمكة المكرمة من الناحية الاقتصادية. وكل ذلك له انعكاسات ايجابية على الحركة الثقافية.

لذلك كله؛ كان لمكة وتجارها وتجارتها خلال القرن12هـ/18م دور في توثيق الصلات بين الشعوب الإسلامية , والعمل على الوحدة الثقافية والفكرية والتشريعية بين المسلمين خلال العصر العثماني, وذلك من خلال اللقاءات والحوارات , والأخذ والعطاء, في الطريق إلى الحج, أو العودة منه, وفي رحاب الأراضي المقدسة , مكة المكرمة, وما يلحق بها والتعرف على خصائص البلاد والشعوب , التي يمر بها التاجر والحاج, منذ أن يغادر بلده حتى يبلغ مهبط الوحي[71].

ثانياً : الإسهامات العلمية للتجار

التأليف :

كان من الإسهامات العلمية للتجار المشاركة الملحوظة في الجانب الثقافي من خلال تأليف الرحلات الحجازية، وهي أهم أنواع الرحلات، لأن مقصدها كان أسمى ألا وهو أداء فريضة الحج، فالرابط الروحي المتمثل في أداء فريضة الحج، وما يصاحب ذلك من منافع دنيوية كالتجارة كان محفزًا على هذا النوع من الرحلات إلا أن الرحلات الحجازية هي التي يكون الباعث إليها زيارة البقاع المقدسة، وعلى رأسها مكة المكرمة مهبط الوحي، وزيارة العلماء والأخذ عنهم، مما يدفعهم ذلك إلى تسجيل ما يشاهدونه وما يرونه خلال السفر، ويصوغون ذلك في قوالب فنية تخلد رحلاتهم وذكرياتهم [72].

فالحج هو الدافع الأساسي للرحلة الحجازية ولظهور وهذا النوع من الفن الأدبي، فقد كان الحج هو من أهم أسباب حركة التجار بين المشرق والمغرب وعمل الحج على توحيد الثقافة ومعاملات التجارة في سائر أنحاء البلاد الإسلامية، على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصلها عن الحجاز، مع اختلاف وسيلة التعامل إلا أن طريقة التعامل كانت قريبة من بعضها إلى حد بعيد [73].

إذ عدت مكة ينبوعًا فجر طرق التجارة، محرك أقلام الرحالة لوصف وسرد كثير من القصص والأخبار، التي سمعوها في طريقهم، ووصف المشاهدات التي رأوها في أثناء رحلتهم ، ودون بعض الحجاج واسعي الثقافة مشاهداتهم بعد عودتهم، لينتفع بتجاربهم سائر المسلمين، ومن ثم زخرت كتبهم بأحوال سكان

البلاد الإسلامية، وطبيعة مزاجهم، وأسس اقتصادهم، وينابيع ثروتهم ورخائهم [74]. والواقع أن المؤلفات المكرسة – التي أسهم فيها تجار مكة – لوصف هذه الرحلات إلى الأماكن المقدسة جدّ مأثورة العديدة، بحيث أنها تشكل جنبًا أدبيًا هو أدب الرحلة لما تشهد على الأهمية الاقتصادية والدينية والثقافية لهذه الانتقالات وفي ذلك يقول أحد المتخصصين: «... كما أنها تستحضر مشاعر الوحدة العميقة، التي كان من غير الممكن أن يستثيرها لدى كل هؤلاء الرحالة القادمين من الغرب ومن الشرق، الواقع أن سلالة حاكمة واحدة هي التي تسود إمبراطورية واحدة، من الحدود المغربية إلى الحدود الإيرانية، بصرف النظر عن التباينات المحلية للولايات التي كانوا يمرون بها...» [75]. وقد تميزت رحلات التجار بأن بعضهم دون تجاربه ومشاهداته خلال إقامته في الحرمين، ولهؤلاء الرحالة التجار دورهم في الحياة العلمية في المدينة المقدسة [76]، قام الرحالة بوصف رحلاتهم وتجوالهم ومشاهداتهم، وتدوين انطباعاتهم الشخصية، لذا جاءت رحلاتهم سجلًا وافيًا عن الكثير مما تحويه تلك المذكرات والرحلات أو الإسهامات العلمية، من جوانب معرفية، ومدونات تمت إلى الجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والعمران والأحوال الاجتماعية والثقافية، بأوثق الصلة، بل تعدى الرحالة ذلك إلى التفسير والنقد الكثير من القضايا والمشكلات التي شهدتها الفترة العثمانية بمكة [77].

كانت مكة في العصر العثماني وخاصة خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، مركزًا لتخطيط الدعوة الإسلامية، بحيث يعرض الناس من مختلف البلاد أحوال الدعوة في بلداتهم، فيطلع الناس على تجارب المناطق الأخرى، ويستفيدون منها [78]، كما يتمكن المرء في مكة خلال الموسم من الحصول على أخبار الكثير من البلاد الإسلامية([79]).

كما كان الذهاب لمكة المكرمة فرصة لمعرفة أخبار نظام الحكم في الحواضر الإسلامية، وفي هذا الصدد رصد لنا الرحالة العياشي، حالة فساد النظام السياسي للولاة خلال العهد العثماني، بظهور آفة اجتماعية وهي شراء المناصب في العالم الإسلامي تحت الحكم العثماني، حيث قال : «....والحاصل أن المناصب في الشرعية كلها في البلاد المشرقية، حجازًا ومصرًا وشامًا، عن من إمامة وخطابة وأذان وإقامة وقضاء وفتوى وشهادة... إنما تنال بالشراء من الولاة.....» [80]. ولعل أبرز صورة للإسهام العلمي للتجار في مكة تتضح فيما يمكن فهمه من أحد رأي المستشرقين بأن القوة التجارية في أية منطقة من المناطق الإسلامية يمكن قياسها عن طريق عدد التجار المقيمين في هذه المنطقة (مكة المكرمة) علاوة على القوة التى يتمتع بها العلماء من هؤلاء، خاصة وأن العنصر التجاري غير المكي يتمتع بسمعة طيبة بين الفئات القادمة إلى مكة.[81]. ولا ننسى هنا أن بحث التجار -بعدما يصلوا مكة المكرمة- عن مواطن القوة في الأمة الإسلامية, يدخل ضمن الدوافع العلمية الثقافية , وهو الأمر الذي لم تنس المصادر المعاصرة لفترة الدراسة ذكره[82] , التي أشارت إلى أن التاجر حين يصل مكة المكرمة يجد ذلك المجتمع المكي المختلط يمثل مختلف مناطق العالم الإسلامي , حتى يتبادل الناس الحديث في كثير من الأمور المعرفية , وتتولد لدى هؤلاء العديد من الأفكار والانطباعات وفي رأس هذه الأفكار تأتي مسألة : البحث عن القوة الدينية والسياسية للإسلام, ففي مكة المكرمة يرون عظمة الإسلام الحقيقية , وفي مكة المكرمة عدد الجنود ممن يقومون بأداء الصلوات المفروضة, والحكام في مكة المكرمة مسلمين .. وغير ذلك , كما أن قوة الحكومة تظهر بوضوح في استانبول أكثر من مكة المكرمة , فمكة المكرمة هي المركز الروحي , واستانبول هي مركز القوة المادية في العالم[83].

هذه الإشكاليات كانت نتيجة للإرهاصات الفكرية والمعرفية للتجار في مكة المكرمة , وهي إن كانت وجهتها وآثارها سياسية إلا أن دوافعها دينية/ ثقافية معرفية متمثلة في مقارنة الوضع الديني بما هو في مكة المكرمة عن غيره , ومعرفية متمثلة في البحث والفكر عن ما يخص موطن القوة للإمة الإسلامية , وثقافية متمثلة في جمع معلومات عن العالم الإسلامي والقائمين عليه. ولكن الأهم من ذلك كله هو أن تلك الدوافع الدينية والعلمية والثقافية أدت إلى أن ينال التاجر الذي ذهب لمكة المكرمة الاحترام والتقدير من قبل المكيين أنفسهم , إذ أن الحقيقة المهمة التي يجب ذكرها -والقول لسنوك- هي أن الكثير من هؤلاء الذين عملوا بالتجارة يتعلمون العلم ويتنافسون على أداء الواجبات الدينية في مكة المكرمة, الأمر الذي يؤدي إلى رفعة شأنهم وارتقاءهم إلى مرتبة مرموقة[84]. وقد برز من هؤلاء التجار كثير من أجلّة العلماء بعضهم استقر في مكة المكرمة , وبعضهم الأخر تاجر في مكة وتعلم ثم عاد ليذكي الحركة الدينية والثقافية في بلده[85].

المنشآت التعليمية [الكتاتيب ، المدارس و المكتبات ، الأربطة]

الكتاتيب:

الكتاتيب هي: جمع كُتاب. وهو: مكان للتعليم الأساسي، كان يقام _ غالباً _ بجوار المسجد، لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وشيء من علوم الشـريعة والعربية، والتـاريخ, والرياضيـات ... وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم[86]. وقد اسهم التجار في مجال عمل الكتاتيب لتعليم ابناء مكة, حيث يعتبر الكتاب مكان الدراسة الأولية ، والذي يبدأ الطالب فيه بتعلم مبادئ القراءة والحروف ، والعمليات الحسابية البسيطة ، إلى جانب معرفة ، وقراءة بعض صغار سور القرآن الكريم , ولا أحد ينكر دور «الكتاتيب» كمؤسسة تعليمية تخرج في جنباتها كثير من الأجيال، الذين حفظوا القرآن الكريم وتعلموا قواعد القراءة والكتابة، وتربوا على المبادئ والأخلاق الحميدة، ثم أصبحوا بعد ذلك قادة منابر وأصحاب فكر في المجتمع يشار إليهم بالبنان في مختلف التخصصات في قراءة القرآن بجميع رواياته، وأيضاً في القضاء والطب والهندسة والأدب والثقافة والفن. وفي مكة في العصر العثماني أدت الكتاتيب دوراً فاعلاً في إثراء الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في المدينة المقدسة بجانب حلقات العلم التي انتشرت بين جنبات المسجد المكي الحرام[87]. وبعد انتهاء الطالب من الكتاب يعملون له إقلابة (من الفصحى ، قلب بمعنى صرف ، فيقال قلب المعلم تلاميذه أي صرفهم) . وهي حفلة تقام في مكة المكرمة عند ختم الصبي المصحف ، أو أجزاء منه ، وانصرافه من الكتاب إلى التعليم الأعلى[88]. ومن أشهر كتاتيب التجار بمكة خلال فترة الدراسة الكتاب الذي انشأه التاجر محمد الجنجاني والذي كان مخصص لتعليم ابناء الحجاز واليمن دون أجر[89].

المدارس والمكتبات:

كان يوجد بمكة المكرمة خلال القرن12هـ/18م بجوار الحرم المكي عدد من المدارس[90] أسهمت فى إقبال الناس على العلم، والرحلة إليه، وأشهر هذه المدارس على الإطلاق هى مدارس السلطان سليمان القانونى[91] (926 – 974ه) إذ كانوا عبارة عن أربع مدارس تدرس كل منها أحد المذاهب الأربعة، والمدرسة المرادية[92] التى أنشأها السلطان مراد الثالث، ومدرسة الوزير محمد باشا[93]، ومدرسة السلطان محمود[94]، والمدرسة الداوودية[95]، والمدرسة الرشيدية[96]، علاوة على إرث المدارس المملوكية على كثرتها، والمدارس

اليمنية، التى أسهمت كلها فى إشعال الحركة العلمية والتي تسابق طلبة العلم من جنوب شرق آسيا على الإقبال عليها والنهل من فيض علومها[97]. وعلى الرغم من عدم وضوح الرؤية عن إسهام التجار في بناء المدارس إلا أن دور التجار المكيين بارزا في وقف الكتب بمكتبات المدارس وهو هدف علمي ملحوظ[98].وجدير بالذكر أن هناك أسباب معينة ساعدت على اهتمام تجار مكة بأمر مكتبات المدارس ووقف الأوقاف عليها وهي :

الخصوصية التي تميزت بها هذه الولاية والفعاليات التي تهافت عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، مما أدى إلى المساهمة في إغناء الحياة الفكرية والعلمية فيها.

تنافس أهل الحجاز ومكة خاصة في اقتناء الكتب والمخطوطات الثمينة، وفي زيادة مقتنياتهم.

فقد كان من بعض تجار مكة "يطلب الكتب الثمينة من البلاد الشاسعة، عددًا منها بخط يده" [99]، وتشير الدراسات المتخصصة إلى أن أحد التجار، حاول بناء مكتبة في الموضع الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم في (سوق الليل) واشترى لهذا الغرض مكتبة آل الكردي، وهي مكتبة غنية بالمخطوطات والمطبوعات الثمينة في التفاسير والأحاديث الدينية وكتب الفقه واللغة ودواوين الشعر والتراث، وتتميز بالذات بكتب التفسير المخطوطة والتي جمعها من أنحاء العالم الإسلامي [100]. وبطبيعة الحال كان التجار ممن لهم اختلاط بالعلم والعلماء ومن سار على سيرتهم من يتنافسون في ذلك؛ مما أسهم في زيادة المكتبات في مكة والحجاز، وانعكس ذلك على الحياة الثقافية بالعاصمة المقدسة على مر العصور [101].وتعد المكتبة الخاصة المنسوبة للعالم الذي عمل بالتجارة إبراهيم الزمزمي والتي اقتناها مؤسسها الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد اللطيف ابن عبد السلام الريس الزمزمي المكي الشافعي (1110 – 1195ه/ 1698 – 1780م) وجعلها في داره بمكة المكرمة. وقد أوضح لنا صاحب كتاب (نشر النور والزهر) المصير التي آلت إليه هذه المكتبة فقال: "واقتنى كتبًا نفيسة في سائر العلوم بردها أولاده من بعده وباعوها بأبخس الأثمان"[102]. ولما كانت أسواق الكتب الحجازية قد عرفت فئة من الوراقين تخصصت في الترويج والدعاية للكتب والنداء عليها، ويطلق عليها اسم دلالي الكتب. فقد دفعت تلك الحركة الثقافية الواسعة ببعض أبناء الحجاز إلى التخصص في تجارة الكتب من المناطق التي كانت تنشط فيها طباعة الكتب مثل مصر والهند، وكذلك جلب المخطوطات من خارج الحجاز أو شراء ما يعرض منها داخل الحجاز، والنوع الآخر الإسهام في نشر بعض الكتب وتمويل طباعتها ومن أشهر تجار الكتب في مكة في تلك الفترة أحمد عثمان الهندي المتوفي سنة 1277ه/1860م حيث كان "يتجر بكتب الحديث فيجلب منها الغريب إلى الحجاز ويحمل إلى الهند الغريب منها 15 عامًا حتى كون له مكتبة عامرة بصنوف كتب الحديث" [103].

بطبيعة الحال ليس هذه كل اسهامات التجار المكيون في جانب المكتبات التي كانت موجودة بمكة المكرمة من العصر العثماني، إذ أن هذه نماذج تدل على كثرتها ، وذلك لأن التجار كانوا من الكثرة وبما أن كثير من العلماء عمل بالتجارة فكان طبيعي ان يكون كل عالم يمتلك مكتبة تساعده على مواصلة التأليف والشروحات والقاء الدروس، فذلك يعني أن المكتبات كانت من الكثرة، ومساهمة التجار ملحوظة.

الاربطة[104]:

الرباط في الأصل بيت المجاهدين ، وكان دور هذه الربط يتمحور حول إرسال الأخبار الهامة إلى المدن عن طريق الإنذار السريع عند تعرض البلاد لخطر ما " فإن كان ليل أوقدت منارة ذلك الرباط وإن كان

نهارا دخنوا"[105] . وقد أدى توقف حركة الفتوحات الإسلامية إلى تقلص دور الأربطة، وزاد في هذا تغير نمط الجيوش الإسلامية، وهو ما أدى إلى تغير وظيفة الأربطة، وفقدها لطابعها الحربي، وصارت لها وظائف متعددة، حيث تغلبت عليها الصفة الدينية وحدها، ومع انتشار التصوف تحولت إلى دور للصوفية ، على أساس أنهم كانوا يخوضون جهادا روحيا . هكذا تبدلت الأمور، وغدت الأربطة تقام في الأماكن العامرة، بعد أن كانت تقام في أطراف المدن وعلى حدود الدولة، وصارت ملاجئ مستديمة لفريق من الناس يستحقون الرعاية، وبخاصة أصحاب العاهات وكبار السن والعميان. وكانت الاربطة تغذي الوافدين إليها بالتعليم الديني ، وتوفر لهم غذاء روحيا ، وفي العصر العثماني أصبحت كثير من الاربطة ملاجىء للفقراء من نساء ورجال يقدم لهم فيها الطعام وتصرف المساعدات المختلفة . وكانت الاربطة بمكة مراكز للتعليم الديني ، بالإضافة إلى مهامها الاجتماعية والسياسية[106] ، وكان في بعضها مكتبات وفي حين كان الصوفية يقيمون في الخوانق بصورة دائمة أو شبه دائمة ، كان زوار الاربطة يقيمون فيها لمدد قصيرة نسبيا ، غير أن التمييز بين الخوانق والربط لم يكن متيسرا في كثير من الأحيان. وقد كثر وقف الأربطة بمكة المكرمة خلال العهد العثماني[107], وقد اختلفت فئات الواقفين للأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني , ابتداء من السلاطين والأمراء وأقاربهم من النساء والتجار وحتى عامة الناس. فالسلاطين والملوك قدوة في أعين غيرهم ف التقرب إلى الله جل جلاله في وقف أربطة لهم في مكة , وسار على منوالهم ونهجهم الأمراء والعلماء والقضاة وكبار التجار وعامة الناس من الميسورين[108]. وعن دور تجار مكة إبان القرن 12هـ/18م في هذا المجال, فيأتوا في المرتبة الثامنة من حيث عدد ومراكز الواقفين, حيث بلغ عدد الأربطة التي أوقفها تجار مكة ثلاثة أربطة, أي ما نسبته 1.91%[109].

كانت الأربطة خدمة اجتماعية قدمها التجار لسكان مكة ومجاوري الحرمين الشريفين من الفقراء والمساكين والمنقطعين من أبناء السبيل في توفير المأوى لهم حيث أن غالب هؤلاء المجاورين والوافدين رغبوا في الإقامة بمكة المكرمة إلا أن الكثير منهم لم يكن له القدرة على بناء مسكنًا له مما يضطرهم إلى قضاء معظم أوقاتهم بالحرم المكي والمبيت به , فكان التجار المكيون من ضمن الفئات التي حرصت على إنشاء الأربطة وإيقاف الأوقاف عليها حتى تشارك في احتضان هذه الفئة الكبيرة من فئات المجتمع الحجازي , وقد حققت هذه الأربطة الفائدة المنشودة من بنائها في احتواء هؤلاء السكان , كما أن هذه الأربطة وفرت لهم مستلزمات السكن المريح بما كانت تضمه من آبار للمياه وأماكن للطبخ وعدد من الميضآت وأماكن النظافة والاغتسال[110]. وإلى جانب الفائدة الاجتماعية أسهمت الأربطة التي أوقفها تجار مكة خلال القرن 12هـ/18م في تحقيق الفائدة الثقافية والفكرية وذلك لأن غالب هذه الأربطة كانت ملحقة بالمدارس والكتاتيب ومراكز التعليم الأخرى, فكان هذا مدعاة إلى إقبال سكان الرباط على طلب مختلف العلوم والمعارف من هذه المراكز التعليمية , إضافة لذلك فقد كان هناك عدد كبير من هذه الأربطة موقوف على العلماء وطلبة العلم مما وفر عليهم مشقة البحث عن المأوى والسكن فانصرفت جهودهم نحو الإبداع الفكري والإنتاج الثقافي[111].

الخاتمة:

لا شك أن التجارة هي أحد أهم مظاهر الحياة في أي مجتمع، فهي تتأثر بما يجري في المجتمع من أحداث و تؤثر فيه؛ لذلك جاء البحث متناولاً موضوعاً ذا أهمية كبيرة في تاريخ مكة المكرمة الاجتماعي والحضاري، من خلال تجار مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. وقد كان المجتمع المكي الذي تناولته فترة الدراسة في عهد الحكم العثماني للحجاز، والذي اتسم بسمات خاصة صبغت على أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية صبغة خاصة، وكان تجار مكة وتجارتها أكثر من تأثروا بها وأثروا فيها. والقارئ لتاريخ مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي يتضح له أن هناك عدة عناصر شاركت في صياغة نمـط الحياة فيها، وأن تجار مكة المكرمة أحد أهم تلك العناصر، ومن خلال هذه الدراسة أدرجت عدة نتائج توضح أثر تجار مكة المكرمة، ودورهم في الحياة العلمية والثقافية في المجتمع المكي في تلك الفترة، والتي جاءت على النحو الآتي:

- الدور الكبير الذي لعبته مكانة مكة التجارية وميناء جدة بوصفه أهم ميناء حجازي وفرضة مكة الرئيس على البحر الأحمر-في تنشيط الحركة الاقتصادية في البحر الأحمر.
- المكانة الكبيرة التي احتلها مكة، لاسيما وأنه لم يكن ليسمح للمراكب الأجنبية أن تتجاوز البحر الأحمر إلى الشمال شجع المراكب العربية التابعة للتجار العرب في الحجاز ومصر واليمن للقيام بإيصال السلع من جدة إلى الموانئ المصرية. وهو ما ساعد التجار على المشاركة في الجانب الحضاري والثقافي.
- عدت مكة ينبوعًا فجر طرق التجارة، محرك أقلام الرحالة لوصف وسرد كثير من القصص والأخبار، التي سمعوها في طريقهم، ووصف المشاهدات التي رأوها في أثناء رحلتهم.
- كانت الحركة التجارية اليومية بمكة في القرن الثاني عشر الهجري كانت تتمركز في أسواق قريبة من المسجد الحرام. أما في أيام الموسم فتصبح المنطقة المحيطة بالمسجد الحرام كلها سوقاً عظيمة، يباع فيه من الدقيق إلى العقيق، ومن البر إلى الدر، إلى غير ذلك من السلع.
- اهتم التجار بالتجارة في الكتب حيث كان سوق الكتب وجه آخر من وجوه تجارة مكة وأسهم في علو مكانتها التجارية ، وكان يعقد بعد عودة الحجيج من عرفة ولا يعقد إلا فى موسم الحج فقط، حيث يقوم بعض العلماء بعرض بعض الكتب للبيع فى المسجد الحرام، بالقرب من باب السلام.
- تعددت مشاركات التجار في المجال الثقافي والعلمي ما بين المشاركة في إنشاء وإقامة المؤسسات وتأليف الكتب وإلقاء الدروس.
- -كان هناك أثر إيجابي لمشاركات التجار في الجانب الحضاري انعكس على المجتمع المكي والحجازي ككل في تطوير الواق الثقافي والتعليمي.

التوصيات :

- إذا أردنا أن نخرج بتوصيات، فإن الدراسة تخلص إلى أنه على الرغـــم من كثرة البحـــــوث والدراسات التاريخية حول الحجاز، إلا أنه مـــــــايزال غنياً بمادته التاريخية التي تصلح أن تكون مادة للدراسة والبحث، لاسيما أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية، والتي تزخر بها وثائق المحاكم الشرعية في مكة المكرمة، ولا زالت بعيدة عن يد الباحثين وفي طي الكتمان، بالرغم من المحاولات المضنية من أجل التوصل لها واستفادة طلاب العلم منها.

الهوامش:

(1) السلطان: هو الذي يحكم في ولايته حكم الملوك، ويكون رئيساً لأمراء، ويملك ممالك متعددة، وقد يطلق عليه اسم السلطان الأعظم، ويشترط أن يخطب له في ممالك متعددة، أقلها ثلاثة أيام وأكثرها ثلاثة أشهر. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دمشق: دار الفكر، 1410هـ/1990م، ص92.

(2) سليم الأول: هو السلطان سليم بن بايزيد، ولد سنة 868هـ/1463م بمدينة أماسية، وتولى عرش السلطنة بعد خلع والده سنة 918هـ/1512م، وظل متولياً للسلطنة في الدولة العثمانية حتى كانت وفاته سنة926هـ/1520م. الغزي، محمد بن أحمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبريل سليمان جبور، بيروت: دار الأفاق للنشر والتوزيع، 1399هـ/ 1979م، ج1، ص209 ؛ أرسلان، شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، بيروت: دار ابن كثير للنشر والتوزيع، 1422هـ/ 2001م، ص139-134.

(3) يلماز أوزتونا،تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعه وتنقيح محمود الانصاري،مؤسسة فيصل للتمويل،استانبول،1988م،ص -233 235.

(4) محمد أحمد ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور،تحقيق:خليل إبراهيم،ج4،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1984م، ص118.

(5) خصصت الدولة العثمانية مساعدات محددة ترسل من مصر للصرف منها على شؤون الحرمين الشريفين وسكان المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة وأهالي الحجاز عامة،وكانت تلك المساعدات تتكون من شقين رئيسين: أحدهما يأتي مباشرة من خزينة مصر،وأغلبه مواد عينية مثل القمح والسكر والقطن والزيت والشعير،والآخر يأتي من واردات أوقاف الحرمين الشريفين الموجودة في مصر التي كانت قد أُوْقِفَتْ من قبل حكام وأمراء مسلمين وبعض الموسرين من الأهالي. ينظر:محمد علي فهيم بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العهد العثماني في الفترة 1220-923هـ/1805-1517م، رسالة ط1،القاهرة: دار القاهرة للكتاب، 1421هـ/2001م،ص312.

(6) الشريف بركات: هو بركات بن محمد، أمير مكة، ولد سنة861هـ/1456م، بمكة المكرمة، وتولى الشرافة بعد وفاة والده سنة903هـ/1498م، وظل على الشرافة حتى وفاته سنة931هـ/1525م. دحلان، أحمد زيني،خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام،القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1397هـ/1977م، ص-46 49؛ السباعي، أحمد، تاريخ مكة المكرمة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، 1419هـ/1999م، ج2، ص394-393.

(7) أبو نمي: هو محمد أبو نمي بن بركات بن محمد، ولد سنة911هـ/1506م، أرسله والده إلى القاهرة لمقابلة السلطان سليم الأول وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة، تولى الشرافة سنة931هـ/ 1525م، وذلك بعد وفاة والده، واستقال عن الشرافة لابنه الحسن سنة974هـ/1566م، وبقي على حاله حتى وافاه الأجل سنة 992هـ/ 1584م. حقي، إسماعيل جارشلي، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة خليل مراد، البصرة: مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة، 1406هـ/1986م، ص106-103.

(8) العرابي، عبدالرحمن سعد، منطقة مكة المكرمة في العصر العثماني، موسوعة المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ص2.

(9) الأشراف بنو زيد: نسبة لجدهم الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن محمد بن أبي نمي الثاني بن بركات ويتفرعون إلى ثمانية فروع وهم: آل غالب نسبة للشريف غالب بن مساعد بن سعيد، الأشراف آل عبد الله نسبة إلى عبد الله بن سرور بن مساعد، الاشراف آل سعيد نسبة إلى سعيد بن سرور بن مساعد، وآل يحيى نسبة إلى يحيى بن سرور بن مساعد، وذوو مبارك نسبة إلى مبارك بن أحمد بن زيد، وذوو مساعد نسبة إلى مساعد بن عبد الله بن سعيد، وذوو ماضي نسبة لجدهم ماضي بن سليمان بن سعد بن زيد، وأخيراً الأشراف العواجيه نسبة لجدهم مسعود العواجي بن دخيل الله بن محمد بن زيد. ينظر: أبو هشام عبدالله بن صديق، الأسر القرشية اعيان مكة المحمدية، ط1، جدة،1983م، ص137.

(10) الأشراف آل بركات: ويعود نسبهم إلى الشريف بركات بن محمد أبي نُـمَـي الثاني والذي انحصر عقبة في أبنائه الثلاثة: الشريف موسى، والشريف إبراهيم، والشريف عمرو، أما ذرية الشريف موسى بن بركات فهم سبع فروع: ذوو ناصر، وذوو بركات، وذوو عبدالكريم، وذوو رضا، والرباعنة، والشواكرة، والغبوث، أما ذرية الشريف إبراهيم بن بركات فينقسمون لخمسة فروع وهم: ذوو حسين، وذوو عبدالله، وذوو إبراهيم، وذوو زين العابدين، والمفالحة، أما ذرية الشريف عمرو بن بركات فهم اثني عشر فرعاً وهم: ذوو بركات، وذوو عساف، وذوو مغامس، والحيادرة، والشعافلة، وذوو حازم، وذوو شنبر، والعرامطة، والوبران، وذوو أحمد، والعلوات، وذوو دخيل. ينظر: عبدالله بن صديق،الأسر القرشية، ص140.

(11) آل زيد مسعود بن محمد، تاريخ مكة المكرمة -1041 1299هـ/ -1631 1881م، القاهرة: دار القاهرة، 2005م، ص91.

(12) عماد عبدالعزيز يوسف , الحجاز في العهد العثماني, ط2, بغداد, شركة الوراق للنشر, 2014م. ، صـ65.

(13) الصرة العثمانية أو الهمايونية : معناها ما يصر على الشيء وهي تعني كيس النقود وهي الأموال التي كان يرسلها السلاطين العثمانيين إلى أهالي الحجاز لتوزع على الحكام والأشراف والأعيان والفقراء، سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة بلاد فهد الوطنية، 2000م، صـ144.

(14) الوقف لغة: الوقف بفتح الواو وسكون القاف، مصدر وقف الشيء وأوقفه بمعنى حبسه وأحبسه. وتجمع على أوقاف ووقوف. وسمي وقفاً لما فيه من حبس المال على الجهة المعينة. [ابن منظور : لسان العرب, بيروت, دار صادر, 1998م, ج 9ص360-359].

(15) أما الوقف اصطلاحاً :

(16) ذكر الفقهاء تعريفات مختلفة للوقف تبعاً لآرائهم في مسائله الجزئية، إلا أن أشمل تعريف للوقف هو:« تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة » [الزركشي : شرح مختصر الخرقي , ج4ص268]؛ إذ يؤيده ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب أرضاً بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله! أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمر

به؟ قال:« إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها » [رواه البخاري , محمد ابن إسماعيل, الجامع الصحيح, ط بيروت, دار الحياة, 2005م, ، كتاب الشروط – باب الشروط في الوقف 2/982- رقم 2586، وفي الوصايا، باب الوقف كيف يكتب (3/1019- رقم (2620) ، ورواه: مسلم, أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١ :ه ٨٧٥ /م ، صحيح مسلم، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي ,بيروت, دار احياء التراث العربي , د .ت . في الوصية – باب الوقف 3/1255- رقم 1632] ، وفي رواية: « حَبِّس أَصْلَه، وسَبِّل ثمرته ».[رواه النسائي احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ت ٣٠٣ :ه ٩١٦ /م ، السنن الكبرى، تحقيق :عبد الغفار سليمان البغدادي وزميله , ط١ ، بيروت, دار الكتب العلمية،١٩٩١ م.، كتاب الإحباس - باب حبس المشاع, 6/232. وهو صحيح الإسناد على شرط الشيخين] فقوله : (تحبيس) من الحبس بمعنى المنع ، ويقصد به إمساك العين ومنع تملكها بأي سبب من أسباب التمليك[0]. وقوله (الأصل) أي العين الموقوفة.[البهوتي , منصور بن يونس بن إدريس البهوتي كشاف القناع عن متن الإقناع راجعه وعلّق عليه: هلال مصيلحي مصطفى هلال, دمشق, دار سعدالدين 2004م, ج 2ص489].

(17) كمال حامد مغيث، مصر في العصر العثماني (1517 – 1798م) المجتمع والتعليم، القاهرة المطبعة التجارية، 1998م ، صـــ168، محمد علي فهيم بيومي، مخصصات الحرمين في العصر العثماني, القاهرة, دار القاهرة, 2001م, ، صـــ 55 – 126.

(18) تعتبر التكية من المنشآت الدينية التي يرجع أصلها إلى العصر العثماني، وتم إنشاؤها في الولايات التابعة للدولة العثمانية لإقامة المتصوفين المنقطعين للعبادة ولمساعدة عابري السبيل، حيث حلت مكان الخانقاوات في عصر السلاجقة. وتعني كلمة التكية الاتكاء على الشيء، والاستناد عليه للاسترخاء، وتعني أيضًا المأوى الذي يضم المسافرين والفقراء والمعتكفين، ويبقى فيه المصابين بأمراض مزمنة لحين وفاتهم، حيث تقدم لهم الرعاية الصحية من قبل منظمات دينية. كانت التكايا في بداياتها عبارة عن مبانٍ بسيطة خالية من الفنون المعمارية، وكانت فقط لتوفير الأماكن المناسبة لنزول الفقراء وعابري السبيل وغيرهم من الرواد، وتأمين ما يلزمهم من طعام ومصاريف أخرى، مع وجود من يخدم هؤلاء الرواد. مع تطور فن العمارة بدأت التكايا تأخذ شكلًا معماريًا مختلفًا لدرجة أن ما تبقى منها حتى يومنا هذا تحول إلى معالم سياحية يقصدها السياح من جميع أنحاء العالم. كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامي، القاهرة 1991م., ص122.

(19) المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، دار صادر , د.ت, ج1ص446، 447، ج1 صـــ266، 457، ج5، صـــ126، ج3 صـــ270.

(20) أحمد السباعي، تاريخ مكة المكرمة ، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، الرياض, الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، 1419هـ/1999م صـــ451 – 453.

(21) Hurgronje, C.S “make in the Later Part of The 19th century”, Leiden, Brill, 1970, P. 230 – 232.

(22) جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ترجمة عبد العزيز الصلابي عن عبد الرحمن عبدالله الشيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ / 1992م، صـــ168.

(23) مثل الطوافة , والمطوف، فهو من يرشد الحجاج إلى مناسك حجهم، ويعمل على توفير الخدمات لهم منذ وصولهم إلى مكة المكرمة حتى مغادرتهم لها، أما الطوافة فهي مهنة متوارثة يقوم بها أشخاص معروفون بمكة المكرمة . ويقال إن الطوافة أول ما ظهرت عام 884هـ على يد القاضي إبراهيم بن ظهيرة حينما كلف بتطويف السلطان قايتباي أحد سلاطين الشراكسة، وظلت داخل قطاع القضاة حتى عام 923هـ/1517م حيث خرجت إلى الوجهاء، وقد أشار إلى ذلك أحمد السباعي عن محمد المياس الذي كان من أعيان مكة المكرمة وأحد وجهائها، والذي قام بتطويف أمير الترك « قانصوه باشا» الذي حج عام 1039هـ/1616م، وكان أمراء مكة المكرمة يصدرون ما يعرف بالتقارير والتي يخصصون فيها مدناً محددة لحجاج معروفين، وقد شهدت التقارير عمليات إلغاء وإعادة على مر السنين « ينظر بالتفصيل : مقال : الطوافة.. مهنة بدأت منذ قرون وما زالت مستمرة, مقال بمجلة الرياض : عدد السبت 28 ذي القعدة 1436 هـ - 12 سبتمبر 2015م - العدد 17246.

(24) Delier Noer, The modernist muslim movement in Indonesia, 1900 – 1942, Singapore, kuala lumpurm London New York, Oxford university, press, p. 25.

(25) سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة : علي عودة الشيوخ، ج1، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ صـ547 ؛ محمد محمود السوريانى، البوتقة المكية وأثرها فى حصر السكان، الدارة, العدد الرابع شوال 1426ه صـ194.

(26) ربما من اهم إسهامات التجار المكيين في المجال الحضاري هو عمران الأسواق على طول طرق التجارة والحج , حيث عدتا نعمة كبيرة للعالم الإسلامي خلال العصر العثماني , ولولا الحج وتجارته وانتظام أوقاتهما لما عرفت الطرق والمسالك التجارية , لأن كل بلد من بلاد الدولة العثمانية, كان يرتب شؤون تجارته بحسب موقعه من الأراضي المقدسة , فقد كان الحجاج والتجار يحملون من محصولات بلادهم المطلوبة في بلاد أخرى , ويبيعون ويشترون على الطريق, علاوة على البيع والشراء داخل مكة والمدينة, وهكذا كانت ركبان الحج من عوامل الرخاء الاقتصادي للحجاز وطرق الحج والتجارة, والرابح الأكبر هم التجار بطبيعة الحال. حيث كانت الطرق المؤدية إلى مكة تستفيد من القوافل التي تمر بها , ومن تدفق السلع عليها في كل عام, وبذلك تعمر الأسواق -الحجازية وغير الحجازية- في كل سنة , فقد ذكر الرحالة المغربي ناصر الدرعي والذي أدى مناسك الحج في القرن12هـ/ 18م أن الطريق ملئ بالأسواق في موسم الحج وكأنها سوق واحدة متصلة. الدرعي, الرحلة الناصرية, ص304. وبالنسبة لتجار مكة فقد استفادوا من وجود أسواق تجارية في المناز التي كانت تتوقف فيها القوافل, وقد كانت تتم عملية تسويق أجزاء من السلع, التي تحملها القوافل في هذه المنازل إلى محطات تجارية. عبدالرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1798-1517م) دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية, تونس, منشورات المجلة التاريخية المغربية- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر, 1982م, ص76-66, ص67.

(27) أباظة, فاروق عثمان, أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح, القاهرة, دار المعارف, د.ت, ص 22؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم, المرجع السابق, ص 76.

(28) العمراني, عبدالوهاب محمد, مشاهدات وانطباعات من الشرق والغرب : رؤية يمنية في أدب الرحلات, الأردن, دار الخليج للنشر, 2017م, ص60.

(29) العمراني, المرجع السابق, ص61؛ رافق, عبدالكريم, الاقتصاد الدمشقي والرأسمالية الأوربية في القرن التاسع عشر, الندوة الدولية حول بلاد الشام خلال العهد العثماني, المنعقد فعالياته بدمشق, 30-26 سبتمبر, 2005م, اسطنبول , 2009م, ص29.

(30) الغاشي, مصطفى, الرحلة المغربية والشرق العثماني, محاولة في بناء الصورة,, ط1, بيروت, مؤسسة الانتشار العربي, 2015م, ص 461.

(31) فارتيما, لود فيكو دي, رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري) ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ, القاهرة, هيئة الكتاب, 1994م, ص53؛ جول جرقيه كورتيلمون, رحلتي إلى مكة المكرمة في عام 1894م, ترجمة أحمد أيبش, ط1, الإمارات العربية, منشورات هيئة أبو ظبي للسياحة , دار الكتب الوطنية, 2013م, ص110

(32) كورتيلمون, رحلتي إلى مكة المكرمة, ص110؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم, فصول, ص191؛ المغاربة, 68؛ الغاشي, المرجع السابق, ص460-459.

(33) فارتيما, رحلات , ص 53؛ كورتيلمون, رحلتي إلى مكة المكرمة, ص110

(34) علي كامل حمزة السرحان, قافلة الحج العراقي, ص88؛ وانظر نفس القول على البضائع الشامية عند: الوريثلاني, الحسيني بن محمد الورثلاني : الرحلة الورثلانية 1179 – 1180هـ المعروفة (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الطبعة الثانية، بيروت 1394هـ / 1974م, ص467

(35) قيصر أديب مخول، الإسلام فى الشرق الأقصى وصوله وانتشاره وواقعه , بيروت- الدار العربية للنشر 1966،، صـ95، محمد سعيد داؤد، السمات العامة لهجرة العرب الحضارمة إلى جنوب شرق آسيا، ورقة علمية قدمت فى المؤتمر الدولى : بعنوان العرب الحضارم فى جنوب شرق آسيا بين صيانة الهوية أو الانصهار، نظمه قسم التاريخ والحضارة بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بالتعاون مع سقارة اليمن بماليزيا فى الفترة 26 – 28 أغسطس 2005م، صـ517 – 518.

(36) علوى بن طاهر الحداد، المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى. القاهرة، 1971م، صـ32 – 33.

(37) أحمد شلبى، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج8 ، صـ459، .

(38) محمد سعيد داؤد, السمات العامة لهجرة العرب الحضارمة, صـ507؛ محمد عبد الله تعلب صـ هجرة الحضارمة جنوب شرق آسيا فى إطار المهاجر الحضرمية فى العالم بحث بعنوان العرب الحضارم فى جنوب شرق آسيا بين صيانة الهوية أو الانصهار، نظمه قسم التاريخ والحضارة بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بالتعاون مع سقارة اليمن بماليزيا فى الفترة 26 – 28 أغسطس 2005م، ص 428-416

(39) العياشي, أبو سالم المغربي 1090هـ الرحلة العياشية, نشر على الحجر, قاس, 1898م, ص437.

(40) العياشي، الرحلة، صـ147.

(41) العياشي، الرحلة، صـ152، 158، 407، 465.

(42) العياشي، المصدر السابق، صـ429، 545؛ القادري، سمة الرأس، صـ88؛ الدرعي، الرحلة الناصرية، ج2 صـ53.

(43) ابن سعد، الطبقات، ج2 صـ368 – 369، الأزرقي، أخبار مكة، ج1 صـ314؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج3 صـ187؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3 صـ62؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1 صـ430.

(44) الحلواني، سعد بدير، تعمير مكة المكرمة [1812 – 1840م]، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، د.ت صـ12.

(45) العياشي، ماء الموائد، صـ 49 ، 518، القادري، نسمة الآس، صـ75 – 91؛ الدرعي، الرحلة الناصرية، ج1 صـ207، الحضيكي, رحلة إلى الحرمين صـ85؛ أبو مدين، الرحلة الحجازية، صـ13 – 134، 188 – 189، الزبادى، بلوغ المرام، صـ 120 ، 172.

(46) العياشي، ماء الموائد، صـ93 ، 396، 518، الدرعي، الدولة الناصرية، ج1 صـ 15، 207، ج2 صـ5، 53، 179؛ أبو مدين، الرحلة الحجازية، صـ 133، 134, 145.

(47) العياشي، ماء الموائد، صـ335، 545، 546، الدرعي، الرحلة الناصرية، ج2 صـ8، الغنامي، رحلة القاصدين، صـ6.

(48) العياشي، ماء الموائد، صـ 201، 340، 396، 503، 504، 517؛ الدرعي، الرحلة الناصرية، ج1 صـ188 ، 190، الأنصاري، تحفة المحبين، صـ302.

(49) العياشي، ماء الموائد، صـ551؛ أبو مدين، الرحلة الحجازية، صـ175 – 176.

(50) الغنامي، رحلة القاصدين، صـ7، الوادي آشى التونسى، شمس الدين محمد بن جابر، برنامج ابن جابر الوادي آشي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، توثيق 1401هـ / 1981م، صـ 100 – 101، الدرعي، الرحلة الناصرية، ج2 صـ 43 – 44.

(51) العياشي، الرحلة، صـ 396.

(52) الأنصاري، عبد الرحمن، تحفة المحبين والأحباب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي، تونس، المكتبة العتيقة, 1998م ، صـ78، 108، 147، 170، 279، 401، 460.

(53) الأنصاري، تحفة المحبين، صـ460، 470.

(54) الدكالي، محمد بن علي، الإتحاف الوجيز "تاريخ العدوتين" تحقيق مصطفى بوشعرك, المغرب، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية - سلا المغرب، 1406هـ / 1986م، صـ17؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج2 صـ 309 – 321.

(55) العياشي، الرحلة، صـ 396.

(56) عواطف نواب، الرحلات، ج2 صـ 513، حسن عبد الغني فؤاد، أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 145هـ / 1984م صـ179.

(57) الرافعي، المعارج المرقية، صـ163، وينظر: سعد الدين عثمان، وغيره، دراسة عن الخدمات الصحية المقدمة لأهالي والحجاجي بمكة المكرمة والمدينة المنورة وتطروها خلال المراحل التاريخية من القرن العاشر الهجري حتى بداية العهد السعودي، مركز أبحاث الحج، قسم البحوث العامة، مكة المكرمة، ج2 صـ 21 – 22.

(58) الشافعي، حسين عبد العزيز، صك وقفية الوزير أبي بكر باشا بمكة المكرمة وجدة 1147هـ / 1734م، نشر ودراسة، مجلة جامعة أم القرى العلوم الشرعية، والدراسات الإسلامية، العدد 47 رجب 1430هـ صـ627؛ الأربطة مكة المكرمة في العصر العثماني صـ73 – 77.

(59) أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد، صـ 36. ولم يكن الحجاج ينتقلون في جنبات مكة إلا سألوا عن عالم يكشف كربه أو أديب يؤنس غربة، فمثلًا التقى الحجاج في أحد مواسم حج القرن 12ه / 18م بمجموعة من علماء الغرب الإسلامي، حفظت رحلة الحج أسماءهم وهم قاضي المالكية في قسنطينة إبراهيم الضرباني، وقاضي الحنفية شعبان بن جلول، والمفتي الشيخ علي الشريف، وقاضي الجماعة المنطقي المفسر عبد القادر الراشدي، والشيخ الصالح يحيى اليعلاوي، والأديب النحوي أحمد الزين, وعلي الزموري وأحمد العلمي وعبدالله التومي وعلي بن سعيد والطاهر بعداش ومبارك بن بوقرانه ومحمد الشليحي ومحمد بن نزار وعلي الشريف بن منصور، وأحمد بن الأحمر وأحمد بن ودافل وعلي بن الكيرد، ومحمد العنتري(الوريثلاني، الرحلة ج3، صـ363) هؤلاء جميعًا كانوا في موسم حج واحد ومن بلد واحدة فما بالك بباقي علماء البلاد الأخرى ممن يسافرون إلى مكة كل عام.

(60) الوريثلاني، الرحلة, ج1 صـ266 ، 359.

(61) عبدالله مرداد, المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تحقيق محمد سعيد العامودي، وغيره, جدة، عالم المعرفة، 1986م صـ471.

(62) أبو القاسم سعد الله، تابع الجزائر الثقافي، ج1، صـ431.

(63) الجبرتي، عجائب الآثار، ج1 صـ595.

(64) مرداد، نشر النور، صـ385، العياشي، الرحلة، ج2 صـ 172، ؛ السباعي، تاريخ مكة، ج2 صـ554.

(65) العياشي، الرحلة، ج2، صـ143، ويحسب للمجاورين تأثرهم الإيجابي بالتطورات الحادثة في المشرق، من ذلك مثلًا تضامنهم واندفاعهم التلقائي للزود عن حياض مصر وبيضة الإسلام، بعد وصول خبر الحملة الفرنسية على مصر إلى بلاد الحرمين. حيث شرع المجاورون في تعلُم استعمال السلاح، والجدّ في التدريب العسكري، استعدادًا للتعبئة من أجل جهاد الفرنسيين وحماية مصر أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج2 صـ554. فقد ذكر الجبرتي أنه أثناء الحملة الفرنسية 1798م قدم وفد من المغاربة للحج، ولما سمعوا بالحملة الفرنسية، أرادوا مساعدة المصريين ضد الفرنسيين، حيث يقول :".....حضر مغاربة حجاج إلى بر الجيزة... ، ووشى شخص إلى الفرنسيس أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم وأنهم اشتروا خيلًا وسلاحًا وقصدهم إثارة الفتنة، فأرسل الفرنسيين إليهم جماعة ينظرون في أمرهم، فذهبوا إليهم وتكلموا مع كبيرهم، فقالوا : إنما جئنا بقصد الحج لا لغيره : فقيل له : "ولأي شيء تشترون الأسلحة والخيول، فقال نعم لازم لنا فقيل لأنه عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنساوية وتقولون الجهاد أفضل من الحج فقال هذا كلام لا أصل له..... وإن هذه البلاد ليست لنا، ولا لسلطاننا حتى تقاتل عليها، ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدى جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح...." الجبرتي، عجائب الآثار، ج3 صـ 93 – 94. .

(66) ينظر : حسن الصادقي، الوجود المغربي في المشرق من خلال كتب التراجم المشرقية، مجلة المناهل، منشورات وزارة الشؤون الثقافية – المغرب، ع38، السنة 25 جمادي الأولى 1415هـ / ديسمبر 1989م صـ298 – 299.

(67) طرفة العبيكان, مرجع سابق, ص 192.

(68) سعد بدير الحلواني, تعمير مكة المكرمة , ص207-206.

(69) سميرة فهمي علي عمر, إمارة الحج في مصر العثمانية, القاهرة, هيئة الكتاب, 1999م, ص401-400

(70) سنوك، صفحات صـ49؛ جوجيين تجوان، «الوضع التجاري المتغير للصين في جنوب شرقي آسيا»، ترجمة محمد اينش، ضمن المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، ع 8، السنة الثانية، يوليو ـ سبتمبر، 1972، ص. 57

(71) كان الجيلدر الهولندي بمثابة العملة الهولندية المُستخدمة في الفترة الواقعة ما بين ثمانينيات القرن السابع عشر الميلادي حتّى مطلع القرن العشرين وكان الجيلدر وحدةً فرعيةً لليورو؛ إذ لم تكن العملات المعدنية والورقية لليورو متاحة، وكانت البلاد تستخدم مصطلح جولدن (بالهولندية: gulden) وهي صفة هولندية للإشارة إلى أنَّ العملات المعدنية كانت مصنوعةً من الذهب . عادل حسن الرباط , من تاريخ النقود , مقال بمجلة الحياة , 10 مايو 2019م .

(72) سنوك، صفحات, صـ549.

(73) الدوسري, عبدالرحمن محمد , الحج : أحكامه أسراره منافعه, ط1, الرياض, دار اشبيليا للنشر والتوزيع, 1421هـ, ص53.

(74) بناهض عبد الكريم، التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية (ماء الموائد) مجلة الذاكرة، منشورات مخبر الدراسات اللغوي – الجزائر،ع10 لسنة 2018م، صـ58.

(75) نوال عبد الرحمن الشوابكه، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية: حتى نهاية القرن التاسع الهجري، القدس, دار المأمون للنشر, 2008م، صـ27, 47.

(76) حسن الصادقي، الوجود المغربي، في المشرق، صـ 291.

(77) ماتزان، مرجع سابق صـ 564.

(78) طرفة عبد العزيز العبيكان، مرجع سابق صـ 143.

(79) وحيد الدين خان، حقيقة الحج، ترجمة ظفر الإسلام خان، القاهرة، دار الصحوة، 1987، صـ7.

(80) وحيد الدين خان، حقيقة الحج صـ7.

(81) الجبرتي، عجائب الآثار، ج3 صـ 93 – 94.

(82) العياشي، الرحلة، ج1 صـ440.

(83) سنوك , صفحات, صـ563.

(84) سنوك , المصردر السابق ص 575-574.

(85) سنوك, نفسه, ص 575.

(86) سنوك , صفحات من تاريخ مكة , ص 576.

(87) سنوك, صفحات من تاريخ مكة ص 577؛ السباعي , تاريخ مكة , ج2 ص 571؛ السيد حامد القادري , كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي في إندونيسيا, ترجمة زكي صالح, عدن- دار جامعة عدن للطباعة والنشر, 1998م , ص 140.

(88) المعجم الوسيط: مادة (كتب)

(89) جاء في أول تقرير رسمي للحكومة العثمانية عن ولاية الحجاز، والذي صدر في عام 1301هـ الموافق (1883م – 1884م) أنه كان في مكة المكرمة ثلاثة وثلاثون كُتّاباً بها 1150 طالباً. ويظهر أن هذا العدد أخذ في الازدياد عاماً بعد آخر، ففي عام 1309هـ (1891م – 1892م) جاء في التقرير الرسمي للحكومة العثمانية أن عدد الكتاتيب في مكة المكرمة بلغ 43 كُتّاباً، وهذا يعكس مدى اهتمام أهالي مكة بتعليم الأبناء. وأكد القنصل البريطاني في جدة في تقريره الذي كتبه عن ولاية الحجاز في عام 1889م / 1306هـ اهتمام أهالي مكة المكرمة بالتعليم، وأن «الكتاتيب» الخاصة التي تقوم بتأسيسها الطبقة المثقفة في هذه المنطقة، تجد إقبالاً شديداً من أبناء مكة وغيرها من المدن في منطقة الحجاز. عبداللطيف بن دهيش, الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما, مكة المكرمة, مكتبة النهضة الحديثة, 1997م, ص21.

(90) لموسوعة العربية الميسرة , ج 2 ص 1819.

(91) العيدروس, النور السافر, ص200, وفيه ترجمة محمد الجنجاني مؤسس الكتاب ص 200-199.

(92) كان يوجد في مكة المكرمة من المدارس ما يلي: مدارس الأربعين، مدارس الثلاثة، مدرسة داود باشا أو المدرسة الداودية، مدرسة شمس الدين الذهبي، المدرسة المجيدية، المدرسة المرادية، المدرسة الباسطية، مدرسة دار الشفاء، وحسب ما يظهر أن هذه المدارس بالإضافة إلى تعليم الأولاد مبادئ القراءة والكتابة والنحو والصرف، وغيرها من المعلومات العصرية، كانت مدارس دينية متخصصة، أما المدارس الأخرى على غرار المدارس الحديثة فكانت هناك مدارس الصبيان، والمدارس الإعدادية والمدارس الرشدية، ودار الشفقة وهى خاصة بالأيتام من الأولاد، وقد تَمَّ إنشاؤها في الدولة العثمانية عام 1282هـ /1865م(وكما جاء في سالنامات ولاية الحجاز كان عدد مدارس الصبيان في مكة المكرمة عام 1301 هو ثلاث وثلاثون مدرسة، أربع منها في سوق الليل، وخمس في القرارة، وثلاث في القشاشية، وخمس في شعب عامر، وواحدة في كل من نقا، والسليمانية، والمسفلة، وأجياد، وأربع في الشبيكة، وثلاث في حارة الباب، وست في الشامية. وكان عدد الطلاب فيها يقدر بألف ومائة وخمسين، وذكرت السالنامة أن أشهر مدارس مكة المكرمة هي السليمانية والداودية، ومدرسة الشهيد محمد باشا والمدرسة المحمودية، كما أفادت أن عدد المدرسين بالمدرسة الرشدية - التي تقابِل في عصرنا هذا المدارس الثانوية - في مكة المكرمة عام 1305هـ ثلاثة، وأوردت أسماءهم، وذكرت أن عدد الطلاب فيها كان ستين طالبًا. يراجع: حجاز ولايتي سالنامه سي، مكة المكرمة: مطبعة الولاية، 1301هـ ص63.

(93) سليمان القانوني(1566-1495م(: أحد أشهر السلاطين العثمانيين، وحكم لفترة 46 عاماً منذ عام 1520، وبذلك يكون صاحب أطول فترة حكم بين السلاطين العثمانيين. زادت مساحة الدولة العثمانية بأكثر من الضعف خلال فترة حكمه ، حيث فتح شمال أفريقيا وفي أوروبا قضى على دولة المجر وفتح ڤيينا وبلغراد, راجع : بول كولز – العثمانيون في أوروبا – ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة 1993م .ص23-22؛ وعن منجزاته العلمية والحضارية ينظر : محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة , القاهرة- المركز المصري للدراسات العثمانية 1994م ص96.

(94) مراد بن السلطان بن سليم بن سليمان القانوني هو أحد خلفاء الدولة العثمانية. ولد عام 953هـ وتولى الخلافة عام982هـ بعد وفاة أبيه، توفى السلطان مراد الثالث بعد اصابته بداء عياء شديد وتوفى 8

جماد الاولى 1003 / 19 يناير 1595 م وله من العمر خمسون سنة وكانت مدة ملكه إحدى و عشرين سنة تقريباً, وعنه يراجع:. محمد عبد اللطيف هريدى , الحروب العثمانية الفارسية وأثرها فى انحسار المد الاسلامى عن أوربا , ط1, القاهرة , 1987. ص95 ;. سعيد أحمد برجواى : الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسى والعسكرى , ط 1, بيروت , 1993م, ص 112؛ أكمل الدين إحسان أوغلو وغيره , تاريخ الدولة العثمانية, اسطنبول- المركز الإسلامي1996م ج1ص15.

(95) ولد محمد باشا في سنة 912هـ وقتل في العشرين من شعبان من عام 987 غيلة، عن 75 سنة، الصدر الأعظم محمد باشا صُقُللي، وقد خدم ثلاثة سلاطين: سليمان القانوني وسليم الثاني ومراد الثالث، وبقي في منصب الصدر الأعظم مدة 14 سنة، وكان من كبار رجال الدولة العثمانية في زمانه، وقام صقللي باشا في سنة 977 بإرسال حملة عسكرية ضمت الحجاز واليمن للسلطنة العثمانية، وكان هذا أمراً في غاية الأهمية لمواجهة الأساطيل البرتغالية التي كانت تبحر من مستعمراتها في الهند، وتجوب البحر الأحمر وبحر العرب بغرض الاستيلاء على بعض الموانئ لتأمين تجارتها مع الهند ومالقة، وهاجمت جدة لأهداف دينية وهددت في فترة سابقة باحتلال الحجاز، وكان من مشاريع صقللي باشا التي ماتت بعد خطوة من مسيرها شق قناة تصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر بهدف قمع البرتغاليين ومهاجمة الصفويين من خليج فارس. ينظر: يلماز أوزتونا, تاريخ الدولة العثمانية, تحقيق محمود الأنصاري , تركيا- مؤسسة فيصل للتمويل, 1998م . ص 431

(96) ولد السلطان العثماني محمود الثاني ابن السلطان عبد الحميد الأول في 20 يوليو 1785، وتولى السلطنة العثمانية في 1808، وكان عمره 24 عاماً كان معروفاً بحبه للأدب والثقافة والفنون وكان يكتب الشعر ومتميزاً في الخط العربي بأنواعه حتى عرف باسم السلطان الخطاط. وشهد عصره خطوات إصلاح واسعة وحاول إعادة الدولة العثمانية لسابق عهدها وتصدى لنفوذ الانكشارية مقتدياً بما فعله محمد على بالمماليك في مصر وأمكنه التخلص منهم في 1826، والتفت لإصلاح الجيش وتحديثه على غرار النظم الحديثة مستعيناً بالأوروبيين، وأنشأ العديد من المدارس الحربية وأخذ بنظام التجنيد الإجباري وأرسل الضباط في بعثات للخارج وأصلح البحرية وأعاد فتح مدرستها وأنشأ عددا من الترسانات البحرية وتوسع في إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية. واعتنى بمدارس تعليم اللغات وأرسل البعثات العلمية إلى أوروبا وعنى بإصلاح أجهزة الدولة المركزية وأجرى إحصاء للأراضي الزراعية التركية وأدخل تحسينات على شبكة المواصلات وأنشأ طرقاً جديدة وخطوطاً للسكك الحديدية وتوسع في حركة التعمير وصيانة المرافق القديمة التي أصابها الإهمال، لكنه دخل مع محمد على في مواجهة حين أراد ضم بلاد الشام إلى ولايته في مصر إلى أن أصيب بعدوى السل ثم توفى في 2 يوليو 1893 وتولى السلطنة خلفاً له السلطان عبدالمجيد , محمد عبداللطيف البحراوي, :حركة الإصلاح العثماني, القاهرة - دار التراث, 1978 م, ص 122.

(97) المدرسة الداودية التي كانت ضمن أوقاف داود باشا في منطقة الحرم الشريف وهي في الجهة الغربية من الحرم المكي دون باب العمرة، ولم تعد موجودة الآن، إذ تمت إزالتها خلال التوسعة السعودية الأولى للحرم المكي، وهي مسجلة في وثيقة داود باشا ضمن حجج الأمراء والسلاطين الموجودة بدار الوثائق القومية بالقاهرة. : بئر الداودية.. تثير خلافا بين المكيين والمؤرخين, مقال بصحيفة مكة , عدد الخميس 22 ربيع الأول 1435 - 23 يناير 2014.

(98) أنشئت المدرسة الرشيدية عام 1302هـ في سوق المعلاه ولقد اعتمد اللغة التركية للتدريس فيها بجانب اللغة العربية عنها يراجع : خلوصي ياوز: دراسة حول العلاقات العثمانية الحجازية في القرن السادس عشر الميلادي، «مجلة الحضارة الإسلامية» (التركية) ع2، مج4 (تشرين الثاني 1979م) ص 66 - 80 .

(99) خليل ساحلي أغلو: مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة إستانبول (مصادر تاريخ الجزيرة العربية: ج 2)، الرياض: جامعة الرياض: كلية الآداب، 97 - 1398هـ ص 155-154. ؛ سنوك، صفحات, صـــ851 – 583، جولدن صارى، يلدز، الحجر الصحى فى الحجاز 1865 – 1914م، ترجمة عبد الرازق بركات، الرياض، 2001م صـــ95 – 96.

(100) هند أبو الشعر، الحياة الثقافية والتعليم في ولاية الحجاز في العهد الشريفي من 1800م – 1918م «المدارس المكتبات، الزوايا الصوفية، المطابع، ودور النشر، مجلة جامعة مؤته مجلد 2 ع1 نيسان 1930م، صـــ 90، صـــ 100، وينظر: موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، لندن، مؤسسة الفرقان، 2012م المجلد الأول صـــ 499؛

(101) هند أبو الشعر، الحياة الثقافية، صـــ100، القبلة العدد 105، الأثنين 2 من ذي القعدة 1335هـ / 20 / 8 / 1917م، صـــ3؛ عبدالله، عبد الرحمن صالح عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، جدة، دار الشرق 1982م، صـــ78.

(102) هند أبو الشعر، نفسه، صـــ 100؛ صديق آمال رمضان، الحياة العلمية في مكة المكرمة (1110 – 1334هـ - 1703 – 1916م) مكة – مركز تاريخ مكة، 2011م مجلد1، صـــ 370.

(103) صابان، سهيل محمد، نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، تقديم وترجمة وتعليق، صابان، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز، صـــ 189 – 198؛

(104) مرداد، عبدالله، المختصر من كتاب نثر النور صـــ45.

(105) طاشكندي، عباس صالح، خزائن الكتب الخاصة في بلاد الحرمين من العهد النبوي الشريف حتى الوقت الحاضر، جدة، شركة الفرقان، 2019م، ص48.

(106) قبل ظهور الأربطة بمكة المكرمة كانت هناك ما يسمى بالدور والرباع وتقوم بدور الرباط الى حدما ,ومن اشهر الدور والرباع:-1ربع آل أبي العاص بن أمية -2رباع بني نوفل بن عبد مناف عند العلم الاخضر بالمسعى -3ربع آل دواد بن الحضرمي -4رباع بني عامر بن لؤي -5دار سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه-6دار العباس رضي الله عنه -7دار الأرقم بن ابي الأرقم -8دار العجلة ,وفي عام 312هـ ظهر في مكة المكرمة ولأول مرة أسم جديد يعرف بالرباط (رباط السدرة ويقع بين باب السلام وباب النبي صلى الله عليه وسلم). حسين شافعي, الأربطة, ص 42؛ حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة 1981م. ص122؛ كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامي، القاهرة 1991م, ص26 ؛ خالد عزب: الأربطة من منشآت رعاية المرأة في الحضارة الإسلامية، الإسلام على الإنترنت، 30 نوفمبر 2000م

(107) عبد الرحيم غالب, موسوعة العمارة الإسلامية ص ١٩٥- ١٩٧ .

(108) حمد الجاسر, الآثار الإسلامية في مكة المشرفة ، محاضرة في (جامعة أم القرى) بمكة بعد مغرب ليلة الأربعاء 13 جمادى الآخرة سنة 1402هـ ثم نشرها كبحث في مجلة العرب (س 17 ج 4-3.)

(109) ذكر أحد المتخصصين في هذا الصدد أن العدد الإجمالي لأربطة مكة المكرمة في هذا العصر , والبالغ مائة وسبعة وخمسين رباطًا , المعروف تاريخ وقفها مائة وسبعة عشر رباطًا, والباقي منها لم يعرف تاريخ وقفها بالضبط , ولم تذكر المصادر تاريخها. وهذا يعني أن نسبة الأربطة المؤرخة 74.52% وهي أعلى نسبة الأربطة غير المؤرخة والتي بلغت 25.47% . حسين الشافعي, الأربطة في مكة المكرمة في العصر العثماني, ص 182.

(110) فوزية مطر, تاريخ عمارة المسجد الحرام, دمشق, دار سعد الدين, 2015م, ص382.

(111) وزعت الأربطة الموقوفة بمكة المكرمة خلال العهد العثماني من حيث مناصب ووظائف الواقفين إلى عشر مجموعات كالتالي: المجموعة الأولى : السلاطين ومن حولهم وقد بلغ عدد الأربطة التي أوقفوها أربعة أربطة , أي ما نسبته 2.54%. المجموعة الثانية : أمراء مكة ومن حولهم وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها خمسة أربطة أي 3.18%. المجموعة الثالثة : ولاة الأمصار التابعة للدولة العثمانية وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها أربعة أربطة 2.54%. المجموعة الرابعة أمراء الهند وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها أربعة أربطة 2.54%. المجموعة الخامسة : العلماء والصالحين, وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها اثنى عشر رباطا 7.64%. المجموعة السادسة شيوخ وأعيان القوم وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها سبعة أربطة 4045%. المجموعة السابعة كبار مناصب الدولة العثمانية مثل قاضي العسكر وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها رباطا واحدا 0.63% . المجموعة الثامنة التجار المكيون اوقفوا ثلاثة أربطة أي ما نسبته 1.91%, المجموعة التاسعة المحسنين وفاعلي الخير من عامة الناس , وقد بلغ عدد الأربطة التي أوقفوها سبعين رباطًا أي نسبة 44.58%. المجموعة العاشرة: غير معروف كل اسماء واقفها بالضبط وبلغ عدد الأربطة التي أوقفوها ثمانية وأربعين رباطا بنسبة 30.57%. حسين الشافعي, الأربطة في مكة في العصر العثماني, ص 183.

(112) فوزية مطر, تاريخ عمارة المسجد الحرام, ص382.

(113) حسين الشافعي, الأربطة في مكة في العصر العثماني, ص 183.